

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

فهرس

طه حسين	المعذبون في الأرض — المنزلة (قصة) ٣٤٧
محمود عزمي	العالم اليوم بين التأميم والتمويل ٣٦١
محمد رفعت	الحرب الباردة والقتلة الذرية ٣٦٦
سليمان حزين	كيف نشأت المدينة في مصر ٣٧٥
سهير القلماوي	في الأدب الجاهلي — صور من صحراء نجد ٣٨٥
بشر فارس	نهار وليل ٣٩٢
محمد عبد الله عنان	ابن الخطيب سياسي وشاعر وفيلسوف ٣٩٤
سلامة موسى	هذا الانسان ٤٠٢
حسن محمود	المرحيات الراقصة ٤٠٩
ابراهيم محمد نجما	الفتانة الحائرة (قصيدة) ٤٢٠

من هنا وهناك (عبد الحميد الالوسي — رفاثيل بطي)
شهرية السياسة الدولية — شهرية السينما — من كتب الشرق والغرب
من وراء البحار — ظهر حديثاً — في مجلات الشرق
في مجلات الغرب



تصدرها دار الكاتب المصري
شركة مساهمة مسندة
القاهرة

تحت الطبع

كتاب البخلاء للجاحظ

تحقيق وشرح الاستاذ طه الحاجري

تأريخ قضاة الأندلس

نشره وعلق عليه إ. ليثي بروغنسال

قطوف

كتاب في جزأين يجمع عدة مقالات وبحوث

بقلم عبد العزيز البشري

البيت السبكي

بيت عالم في دولتي الممالك

تأليف محمد الصادق حسين بك

تربية سلامة موسى

بقلم سلامة موسى

النفس في الصحة والمرض

تأليف الدكتور محمد زكي شافعي بك

الجواهر لا توضع في المرحل من الأوراق..



بَل توضع في

علب جميلة انيقة

... كذلك الكتب التي تحتوى كنوزاً
أثمن من الجواهر ، يجب أن تظهر في ثوب
بديع من حسن الطباعة وأناقة المظهر .
وهذا ما تعمل له دار الكاتب المصرى ،
فهى تختار أجمل الثياب لأقيم الكتب .

دار الكاتب المصرى ، قسم النشر بإشراف الدكتور طه حسين بك

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين
مكروثير التحرير : حسن محمود

تصدر مجلة الكاتب المصري في أول كل شهر عن دار الكاتب المصري ، شركة مساهمة مصرية ، وتطبع بمطبعها .

الاشتراك

١٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان ،
١٢٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يعادلها .
يدفع الاشتراك مقدماً بأيم دار الكاتب
المصري . لا تقبل الاشتراكات لأقل من
سنة كاملة .

تتم العدد بمصر : ١٠ فروش

مجلة الكاتب المصري تصني بكل
ما ورد إليها من المقالات والرسائل
ولكنها لا تلتزم نشرها ولا ردّها

أدارة الكاتب المصري

٥ شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

تليفون التحرير : ٤٩٢٥٤

الإدارة : ٤٥٠٣٤-٤٧٨١٥-٤٢٧٣



AL KATEB EL MASRI

Monthly literary magazine published
by LE SCRIBE EGYPTIEN S.A.E.

5 Kantaret el Dekka Street
Cairo (Egypt)

Editor-in-chief : Taha Hussein

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري

الكتاب المصري



ديسمبر ١٩٤٧

محرم ١٣٦٧

مجلد ٧ - عدد ٣٧

السنة الثالثة

المعذبون في الأرض

المعترلة

لا أريد تلك الفرقة الاسلامية المعروفة من فرق التكلمين ، وإنما أريد أسرة مصرية بائسة كنت أنسيت ، أسرها ، حتى كان هذا الوباء الذي ألم بمصر فذكرتها ذكراً متصلاً ملحا ، وحاولت أن أخلص من التفكير فيها فلم أستطع ، فأردت أن أتسلى عن ذكرها بالتحدث عنها لعل هذا التحدث أن يخرجها من ضميري الخاص إلى الضمير العام ، فيكون في ذلك تخفيف للعب ، وتفريج للكرب ، وشفاء لبعض ما في النفس . والهموم الثقيل تخف إذا شاركت في حملها ضامراً كثيرة ، ولم يقصر ثقلها على ضمير واحد منهما يكن أليداً قويا ، فكيف إذا لم يكن له حظ من قوة أو أيد !

وأردت أن أهدي حديث هذه الأسرة البائسة إلى الترفين المنعمين في الأرض ، لا لأبغض إليهم الترف بل لأزينه في قلوبهم ، ولا لأصرفهم عن النعيم بل لأرغبهم فيه ترغيباً وأدفعهم إليه دفعا . فقد تحدث الحكماء منذ الزمن الأول بأن الرجل الخازم خليق ألا ينظر إلى الذين يتفوقون عليه ، تملأ قلبه الحسرة ويثقل نفسه هم ، وأن ينظر إلى من دونه من الناس فيعرف ما أتيج له من حسن الحظ ، ويحمد رفق الله به ، ورعاية الله له ، وإسباغ نعمته عليه ؛ ويستمسك من أجل ذلك بما قسم له من الخير ، ويستمتع من أجل ذلك بما قدر له من النعيم . وأنا أبعد الناس عن التفكير

في أن أزهّد المترفين في ترفهم وأرغب النعمين عن نعيمهم ؛ لأنّي أعلم من جهة أنّ لن أبلغ من ذلك شيئاً إن أردته سهما أنفق من الجهد ، ومهما أفرع في تدبيح القول وتنميق الحديث . ولأنّي أعلم من جهة أخرى أنّ ترف المترفين إنما يأتيهم بحكم القضاء المكتوب والقدر المحتوم . وليس من سبيل إلى تغيير القضاء ، أو تبديل القدر ، أو إلغاء سنة الله في الناس . فالله قد خلق الناس على ما نراهم من هذه الفرقة فيما بينهم ، يترف بعضهم حتى يطغيه الترف وينعم حتى يبطره النعيم . ويحرم بعضهم حتى يضيق به الحرمان ، ويشقى حتى يمجّه الشقاء . ولأنّي أكره بعد هذا وذاك أن أكون كالشعلب الذي حاول أن يصيب العنب ، فلما لم يتح له ذلك عاب العنب وزعم أنه فجع بغيبض . وقد خطر لي أن اتخذ لهذا الحديث عنواناً آخر ، هو أمّ تمام . لا أريد به زوج شاعرنا العظيم ، وإنما أريد به زعيمة هذه الأسرة المصرية البائسة ، فقد كانت تكنى بأكبر أبنائها . وخطر لي أن أهدي حديث هذه الأم وبنيتها الثلاثة إلى البائسين المعذبين الذين مسهم الضر قبل الوباء ، وألحّ عليهم بعد الوباء حين تحطفت الموت أبناءهم وآباءهم وإخوانهم وعائلتهم وتركهم نهياً للشقاء ، لا يدرون كيف يتقونه ، ولا كيف يحتملونه ، ولا كيف يخلصون منه . لا لأبغض إليهم حياتهم البائسة وعيشهم النكد ، فما ينبغي أن تبغض إلى البائس بؤسه ولا أن تكره إليه شقائه ، وإنما ينبغي أن تحب إليه البؤس ، ليحتمله وليزيد منه إن استطاع ، وأن تزين في قلبه الشقاء ، ليصبر عليه ويمعن فيه إن وجد إلى الامعان فيه سبيلاً . فالبؤس قضاء محتوم على البائسين ، كما أن النعيم قضاء محتوم على النعمين . والشقاء قدر مقدور على الأشقياء ، كما أن السعادة قدر مقدور على السعداء . والرجل الخازم العازم الحكيم خليق أن يرضى بالقضاء المكتوب ، والقدر المحتوم ، يحتمل الخير غير زاهد فيه ، ويحتمل الشر غير ساخط عليه . ولأمر ما وُصف الشرقيون بأنهم أصحاب إذعان للقضاء ، واستسلام للقدر ، ورضا بالمكروه . فلنصدق على أهل تقدير قول الغرب عنا وظنه بنا ورأيه فينا ، ليصطنع الترفون الشجاعة ليحتملوا الترف ، وليصطنع البائسون الشجاعة ليحتملوا البؤس ، وليصبر أصحاب الثراء على محنتهم بالثراء ، وأصحاب الحرمان على فتنهم بالحرمان ، حتى ينتهي أولئك وهؤلاء إلى الوطن الذي

لا يكون فيه ثراء ولا حرمان ، والذي لا يكون فيه فقر ولا غنى ، والذي لا يكون فيه يسر ولا عسر ، والذي تتحقق فيه المساواة بين الناس جميعاً حين يصيرون إلى تراب كما خلقوا من تراب . ومهما يكن من شيء فقد ترددت بين هذين العنوانين : المعتزلة وأمّ تمام ، كما ترددت في إهداء هذا الحديث بين المترفين والبائسين ، ثم آثرت آخر الأمر أن أخبّر القارئ بين العنوانين ، وأن أهدي الحديث إلى الفريقين ؛ ففي حديث هذه الأسرة ما يرضى المنعمين والمُعذّبين جميعاً . وأى مطمع للكاتب أجل شأنًا وأعظم خطراً من أن يرضى قراءه على ما يكون بينهم من الاختلاف ! وفي حديث هذه الأسرة البائسة ما يسخط المنعمين والمُعذّبين جميعاً . وما قيمة الكاتب إذا لم يسخط قراءه على ما يكون بينهم من الاختلاف ! وأنا أريد دائماً أن أكون كاتباً ذا خطر ، فأرضى قرائى وأسخطهم ، وأسر قرائى وأسوءهم ، وأعجب قرائى حتى يكفوا بي أشد الكلف ، وأغیظهم حتى يمتقون أعظم المقت . وأنا زعيم للمترفين بأن يجذوا في حديث هذه الأسرة ما يحبب إليهم ترفهم ، فيعضون عليه بالنواجذ كما يقال ، ويرضون عنى كل الرضا ، ويأمنون بأصولهم هذا الترف منكراً بشعا ، ويسخطون بغیضا ، فيسخطون على أشد السخط . وأنا زعيم للمُعذّبين بأن يجذوا في حديث هذه الأسرة البائسة ما يعلمهم الصبر على المكروه فيرضون عنى ، وما يلقى في قلوبهم أن حياتهم لا تطاق ، وأن من حقهم أن يخرجوا منها إلى حياة ألين جانباً وأرق ملمساً ، وأن ليس لهم سبيل إلى هذا الخروج ، فيضيقون بي أشد الضيق ، وأبلغ بذلك كل ما أريد ، وهو أن أَرْضَى القراء وأغیظهم سهما يكن بينهم من التفاوت والاختلاف . فأنا لا أريد إلا هذا ، ولا أفكر إلا فيه . وما الذى يعيننى من أن يترف المترفون حتى يقتلهم الترف ، ومن أن يشقى الأشقياء حتى يهلكهم الشقاء ! لا يعيننى من ذلك شيء ؛ لأنى رجل من أهل العصر الذى أعيش فيه . وأخص ما يمتاز به هذا العصر الذى أعيش فيه الأثرة وحب النفس . فأنا رجل أثّر لا أحب إلا نفسى ، ولا أفكر إلا فيها ، ولا أعنى إلا بها . وأنا رجل كاتب لا يعيننى إلا أن أسلك على القراء أمرهم بما أثیر في قلوبهم من رضا وسخط ، وبما أشيع في ضمائرهم من حب وبغض . ولست أزدري شيئاً كما أزدري إلقاء الدروس في الأخلاق . ولست أنفر من شيء كما أنفر

من توغيب الأغنياء في العطف على الفقراء ، ومن تشجيع الأسقياء على احتمال الشقاء ، ما أنا وهذا كله ! إن الناس من حولى لا يدوقون للتضامن طعما ، ولا يعرفون للتعاطف قدراً ، لا يحفل بعضهم ببعض ، ولا يفكر بعضهم في بعض ، ولا يأسى بعضهم لآلام بعض ، فمالى أحمل نفسى من الأعباء ما لا يريد الناس من حولى أن يحتملوا ؟ وما لى أدفع نفسى إلى هذا الشذوذ الذى لا خير لى فيه ولا خير لأحد فيه ؟ وما لى لا أسير سيرة الجيل ، ولا أعيش عيشة المعاصرين ، ولا أنتفع بقول أبى العلاء :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ، تجاهلت حتى قيل إنى جاهل

الأثرة ، ياسيدى ، هى الأساس المتين الذى يقوم عليه نظامنا الاجتماعى البديع ، الذى نفتديه بأنفسنا ونحميه بما نملك وما لا نملك من جهد . فمن أراد الدفاع عن هذا النظام وحياطته وصيافته من أن يعيث به العابثون أو أن يمسه الخطوب بما لا يجب وبما لا يحب ، فليكن أثراً إلى أبعد غايات الأثرة ، محبا لنفسه إلى أقصى أماد حب النفس ، لا يحفل بالناس إلا بمقدار ما يهيئون له من الخير ، وما يحققونه له من المنفعة ، وما يبلغونه من الآراب . فإذا بُعد الأسد بينه وبينهم ، أو خفيت عليه أسرار الصلات التى تجعلهم محتاجاً إليهم وتجعلهم محتاجين إليه ، فلا عليه من أن ينكرهم إنكاراً ويؤذريهم ازدراءً ، ويمضى في طريقه مستمتعاً بطيبات الحياة ، غير ملق بالآ إلى ما يكتنفهم من الهول ، وما يصب عليهم من المم ، وما يسلط عليهم من الكوارث والنكبات .

كذلك نعيش ، وكذلك يجب أن نعيش . وأيسر الخراف عن هذا اللون من ألوان العيش عن هذا النظام من نظم الحياة خلق أن يحسننا أهوالاً ، ويحملنا هموماً ثقلاً . وكيف تستقيم حياتنا إذا غنى أصحاب الترف المترف والثراء العريض بأصحاب البؤس البائس والعذاب الأليم ، فزادوا عنهم بعض ما يتلهم من البؤس ، ورفعوا عنهم بعض ما يضنيهم من العذاب ، وشغلهم ذلك عن الاستمتاع ببلذاتهم والانتفاع بهذه الثمرات الخلوة المرة السائغة الفجة ، التى تأتيم من بؤس البائسين وعذاب المعذبين ، وشغلهم ذلك عن أن يجتمعوا إلى سخف الحديث حين يرتفع الضحى ،

وإلى سخط المتاع حين يقبل المساء ، وإلى اللهو واللعب حين يتقدم الليل ، وإلى النوم الثقيل حين يهيم الصباح بالاشراق ؟ إذن تفقد الحياة بهيجتها ، وتفقد الدنيا زينتها ، ويصبح العيش المصري كله نكدًا كدرًا منغصًا ، لا صفو فيه ولا عفو ولا جمال . حسب الأشقياء أن تعطف عليهم السنتنا وتنأى عنهم قلوبنا ، وأن نرثي لهم بالقول ونقسو عليهم بالفعل ، ونغلي بينهم وبين أحداث الزمان وتوائب الأيام ، نجرحهم الآلام غصصا ، وتعلمهم كيف يكون استعذاب العذاب المر ، وإساعة الشر الذي لا يساغ . وأقول هذا كله جادًا لا عابثًا . فالله قادر على أن يمس الأرض بجناح من رحمته ، فيفتح لأهلها جميعاً ما يتمنون من الترف والثراء والنعم . والله قادر على أن يمس الأرض بجناح من تقمته فيفرض على أهلها ما يكرهون من البؤس والشقاء والعذاب . وما دام الله لم يجعل الناس جميعاً سعداء ، ولم يجعلهم جميعاً أشقياء ، وإنما قسم حظوظهم بينهم على هذا النحو الذي تراه ، فليس لنا وليس علينا إلا أن نرج أنفسنا ، وأن يرج بعضنا بعضاً من اللوم والتكبر والتريب ، وأن يرضى كل منا بما قسم له من الحظ ، وأن يحقق السعيد إرادة الله في الأرض فينعم بالسعادة كأقصى ما يستطيع ، وأن يحقق الشقي إرادة الله فيغرق في الشقاء إلى كنفه أو إلى أذنيه ، أو إلى شعر رأسه إن شاء .

وقد يظن القاري أني قد أسرفت في البعد به عن هذه الأسرة المعتزلة ، وعن حديث أم تمام . ولكنه يخطئ . أشد الخطأ إن ظن بي هذا الاسراف . وعبه يصيب كل الصواب حين يظن بي هذا الاسراف ، فليس يعينني من خطئه أو صوابه شيء . وإنما الذي يعينني هو أني أنا لا أعتقد أني أطلت القدمات أو انحرفت عن موضوع الحديث . فقد قلت إن هذا الوفاء الذي ألم بمصر أذكرني من أمر هذه الأسرة المعتزلة ما كنت ناسياً ، ثم ألح عليّ ذكرها إلحاحاً شديداً . وأكبر الظن أني لم أذكر هذه الأسرة البائسة ذكراً متصلاً ملحاً ، ليقف منها عقلي وقلبي موقف الناظر لها المحقق فيها ، دون أن يثير ذلك في العقل بعض الخواطر ، ودون أن يثير ذلك في القلب بعض العواطف ، ودون أن يثير ذلك في الضمير بعض الحزن . والكتّاب البارعون في الفن يؤخرون خواطر عقولهم وعواطف قلوبهم وأحزان ضمائرهم

إلى آخر الحديث ، يجعلون من هذا كله عبرة لمن يريد أن يعتبر ، وموعظة لمن يريد أن يتعظ . فيجعلون من أنفسهم أساتذة في الأخلاق ، ويصلحون لنظم الاجتماع ، ويرضون عن أنفسهم بعد ذلك كل الرضا ، ويجهلون أن القارىء أشد منهم مكرًا وأبلغ منهم دهاء . وأنه يقرأ أول الحديث لما قد يجد فيه من تسلية ، أو لما قد يلتبس فيه من تسلية ، ويترك آخر الحديث لأنه يضيق بدروس الوعظ والارشاد والاصلاح أشد الضيق .

ومن الكتّاب البارعين من يشيعون خواطر عقولهم وعواطف قلوبهم وأحزان ضمائرهم في حديثهم كله منذ يبدءونه إلى حيث يفرغون منه . يتخذون من قصصهم أغشية لهذه المواعظ والعبر ، فيخدعون بذلك بعض القراء عن أنفسهم ، ولكنهم لا يخدعون القراء جميعاً . فلا يكاد الأذكياء منهم يقرءون حتى يستكشفوا مكر الكتّاب ويعرفوا حيلته ، فيقرءون على كره أو يزورون عن القراءة ازواراً . فلما أنا فقد قلت وما زلت أقول : إني لا أريد أن أعلم جاهلاً ، ولا أريد أن أعظ غافلاً ولا أن أنبذ ذاهلاً . فليست من هذا كله في شيء ، لأنني واثق بأن القراء جميعاً علماء لا يمكن أن يرقى إليهم الجاهل ، أذكياء لا يمكن أن تسعى إليهم الغفلة ، متنبهون لا يمكن أن يعرض لهم الذهول . وقلت وما زلت أقول : إني لا أريد أن أخدع أحداً عن نفسه ، لأنني لا أسئ الظن بالقراء ، ولا أنظر إليهم على أنهم أطفال يجب أن يلجوا عن الدواء بهذه الأغشية التي تحببهم سرارته وكراهته . فكيف وأنا لا أقدم إليهم دواء ، لأنني لست طيباً ، ولأنهم ليسوا مرضى ، ولأنني راض عن حياتنا التي نحياها كل الرضا ، مطمئن إليها كل الاطمئنان ، معجب بها أعظم الاعجاب ، لا أريد أن أغير منها قليلاً ولا كثيراً ، ولا أحب أن يتغير منها قليل أو كثير . وأول هذا الحديث يدل فيما أظن دلالة واضحة على أني من المحافظين المتشددين في المحافظة ، ومن أصحاب اليقين الذين لا يضيقون بأحد كما يضيقون بأصحاب الشك .

ومن أجل هذا كله اخترت أن أتحدث إلى القراء في هذا المقال عن أمّ تمام وأسرتها المعتزلة ؛ لأن أمّ تمام كانت تصور المحافظة الميامنة أبرع تصوير وأصدق وأقواء . فهي كانت من أهل الصعيد الأعلى . وأهل الصعيد محافظون كما يعلم القراء ، لم يفسدهم العلم ، ولم تنحرف بهم المعرفة عن الطريق

العدو . . . هم أعدائهم حصاره وما أكره فيهم من البدع أن في الأرض حوراً
يجب أن يرفع عنها ، وأن في السماء عدلاً يجب أن يهبط إلى الأرض
بالملائكة ألسنة ودعه ورضاء . وإنما هم قوم يعيشون على فقرهم ، ورسول
يؤسسون على سحابتهم . رأوا الأرض مملوءة لقلل من ملائكة العدل
وأنه من ساطين أجور . فأحوا أولئك وألغوا هؤلاء . ولم ينسوا من
أولئك ولا هؤلاء إلا أن تمصوا في استأنفوا من لعب . فإن منهم من
هذا اللعب خير لعموا به ، وإن منهم منه شر شقوا به ، غير متكبرين
ولا معبرين ولا محاولين تعبيراً ولا سبلاً . ويقال إن الكلاب يحذر
أشخاصها على صورتها . وقد ينقضهم من نفسه افتطاعاً . ولولا أن أم تمام
كاتب عارفه في البؤس واستغناء . وسرفه في الدماء والفتيح ، لقلب إلى
أفتنعتها من نفسي فتضاع . ولكني لست غارقاً في البؤس والشقاء . واحمد
الله على كل حال . وسيرى القاري أن صورته أم تمام ليست مني في شيء .
بله ذلك من غير شك على أني لم أخترعها ولم أبتدعها . وعلى أن
خيالي الضعيف الكليل ليس له في حياتها ولا في حياة أسرتها أثر ما ،
وإنما هي حقيقة واقعة حلفت بالله الذي يخلق الحقائق كلها . والذي يقسم
بين الناس حضورهم من الجمال والفتيح . كما تقسم بينهم حضورهم من
السعادة والشقاء .

وقد كاتب أم تمام هذه غريبه الأضوار من كبر حواشيها . حتى لا أستطيع
أن أحتار لصور الذي أبدأ به من أصولها . وربما كان الخير أن أعرض
عن صورته حينئذ حفره لبيب الصلح احتقر الذي ثابته يعيش
مع أبنائها فيه .

فقد كان هذا البيت أشبه شيء بألفه القدرة التي نفسد جهل التوب
جسم النبي . كان ضيقاً في انحصاء أسد الصبى . مخفصاً إلى الأرض أسد
الانحناض ، قد أقيم من هذا الطرس لساذج مدى يخلقه الملاحون بسى من
السر والنس وسموونه مسويه مقاربه ويسموه في مصر نوسى « بالصبوب » .
ثم يجمعون بعض هذه الأصواف إلى بعض حول قصعة من الأرض . يرفعونها
في الحوضين ويمسونها في القصاء شيئاً ، ويلقون عليها طائفة من سعف الخيل
ومن قصيب الدرة . ويحدون لها باماً من حبيب زيمى . فصيح بيناً بأورون

إليه وسنول فيه برد شلاء وحر نصيف وبصر السقاء إن كان من الممكن
 نمل هذا الشلاء المهليل أن في الديس أوون إليه برداً أو حرّاً أو مصراً .
 وكان سب أم تمام هذا الصغير احتقر يقوم بين درين صيحين وحسن .
 أو قل بين فتائين واسعين هاتين الدارين . وفي كل فتاه من هذين
 انشاءين قامب أشجار وسجيرات ، بحيث هم كل فاه منهم أن يكون حديقته
 يقوم أسد الدار ، ولكنه لم يبلغ أن يكون حديقته ، فكان سنناً بين النساء
 المهمل وحديقته التي يمنحها الناس شيئاً من عذبه . ويحدون فيها شيئاً من
 راحه وروح . ولم أدر كيف قام هذا السب احتقر الصغير بين هذين
 الدارين العظمتين . وقد سألت الناس من حولي عن هذا ، كما سألتهم عن
 مقدم أم تمام وبسبها إلى القرية وإدبتها في هذا البيت . فم أحد عند أحد
 منهم جواباً : لأهم كانوا جميعاً صارتين على القرية دعتهن إيهب الدائرة السنية .
 ولأن القرية نفسها كانت طارئة على المكان أنساب فيه الدائرة لسنه : فم
 يكونوا يعرفون من أسر جيرانهم ولا من أسر فرسهم . لا فيلاً أو قمل
 من القليل . وكانت سيره أم تمام وبسبها تمنع جيرانها من أن يعرفوا شيئاً
 من أسرها : فقد كانوا يعزلون الناس اعتزالاً غير مأوف . ولكن أوام
 الحديث عن هذا الاعتزال لا يثن بعد . فقد ينبغي أن تعرف قبل ذلك
 أم تمام هذه ، أو أن ترى صورتها على أقل عدير : فصورتها حينه أن رسم .
 كانت أم تمام قصيره مسرقة في القصر ، سحبه مسرقة في الانحناء . همت
 قامتها أن ترتفع في اجوف لم يستمع أن يستقيم وإنما العصف أعلاها على
 أسطفا كأنها حطت ستصق بالأرض التصفاً . وكانت من أهل ذلك أسد
 بدواب الأربع منها بالانسان ذي القامة المعتدلة وبعد المستقيم . وكانت من
 أهل هم إذا مشيت حبثت إليك أبى مدحرج كما مدحرج الكره . وكان
 مسهب بصناً رفقا ، فكان سبه حرّكه الكره عندما تخف سبها قوة الدفع .
 فصعرب مسخته نسعى إلى السكون . وكان صوب أم تمام محلا صشلا ، ووس
 قد فعدت بعض أسنانها ، فكان صوتها التحيل الصشل مسجل إذا تكلمت
 إلى هوء خافت لا يكاد السامع يميز حروفه . لا في منسبه وجهه . وكان
 بعض من معي في بينها ذاك الصغير الخثير علامان ، كاد أحدهما أن يسع
 العسرين وهو تمام ، وجاوز الآخر الخامسة عسره قليلا وهو أبو اعلاء .

من دم ونحوه عملال في السماء ، يحاول تمام أن يكون نساء ، ويحمل أحده
من الماء وغيرها من الأدوات التي تتصل بعمل البنائين . ويصيب
عدها من هذا العمل لدى بنصر أحياناً ويستريح أحياناً أخرى ، يسبح
لأسرتها قوفاً يقيم الأود ولا يكاد .

وكانت لأم تمام بنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها ،
دعى سعدى التي كان لجسار والدتها يحفل على وجهها وحسبها ذلك
حساب مديداً : يريد الحمل أن يستخلص نفسه مستعينا بنوع الصا
الساب ، ويريد فتح أن يؤثر بها نفسه مستعينا بالبؤس وما تستبعد من
حربان . ورأت القبيح بين عذبتين الخصمين أسببه سيء بالكره بقاذفها
الاعتدال . ولم يعرف أحد هذه الأسره زعم ، بل لم يعرف أحد كيف هيض
الأسره من أحدى بصعيد إلى هذه القرية من قرى قصر الوسطى . وإنما كان
نفس محدود أن أم تمام قد هيض وحيداً أو كزوجيه نسي ، بها الثلاثة
وقد لقيت في ذلك جهداً حقيقياً ، وثناء مديداً . لم هيض بهم من صعيدها
لأعلى إلى قرية بيت إلا مسافة بين المدن والقرى ، تقيم في هذه المدسه سه
و أقي أو أدر . ونظم في هذه القرية أسيراً ، وفي هذه القرية أسير ،
في هذه أسره ثاماً مثله أو كثيره ، حتى انتهت إلى فرشت ذلك . وأقامت
بها وأطالت المقام .

وه سكر اسم أم تمام أقل غرابه من كينها ، بل لم يكن أقل غرابه من
حسبها . فأنت إن أردت أن تنصق به ، قد كان الناس ينطقون به في القرية
بب سب أبوها ، وإن أردت أن تنصق به على أصول اللعد انصحي قلب
سده أسها ، أو سب فيها كما كان الناس ينطقون في بعض عصورها القديمة .
هذا هذا الاسم مع من أذاناً موفعاً خريباً : وكنت تنصق به على أنه كند
واحدة لا كلمتان ، وكنتا نسأل أنفسنا عن معنى هذا اللفظ الغريب .

وه نحاول أم تمام فقط وه نحاول أحد من سب فقط الانصاف ساس
لا حين كانت أسروره المنجته بصبرهم إلى ذلك اضطرر . بعد كانوا يحذون
من أن يسروا اسلعاه ليعموا أودهم . ورأت أم تمام بحاج أحياناً إلى أن
يس ، فقد كان تعريض لها في بعض الوقت أن يخرج إلى الطريق الرزقه
عده . وفي سنط من هذه الطريق روت البحر واحاسوس تنصعد فعلاً

مشاربه . ويجتفده حتى سقط بسببها ، ونفذ منه وقوداً لمسخ إن أسبح هـ أن
 سخبخ . وتبع فصله بين حين وحين بعض نساء القرية بامرس أو بعض
 القرش ، توسع يدها على نفسها وعلى بيبها . ولم يخطر في أدم لأحد من
 الموسرين ولأهل الدارين الذين كانوا يكفون بها أن يبرو هذه الأسره
 بقبيل أو كثير من أخير ؛ لا لأن الموسرين كانوا يبخون بالمعونه على الدرس
 يحتاجون إلى المعونه . بل لأنهم في أكبر الضن قد همشوا أن يبرو هؤلاء
 الناس فردوا برؤهم عليهم في شيء من العطف الذي لا يحب من الفقراء .
 وكف الموسرون عن محوود الرق بهم ولتوسع عليهم في الرزق . ومثال
 أم تمام في القرى توسع على أنفسهم وعلى أبنائهم وأرواحهم أحسباً بعمل
 في دور الموسرين والأغنياء بكسب من هذا العمل فوث أنفسهم وفصلوا من
 خير يحمسه إلى البيوت . فأكبر اجائع وبكسي عربون ويذوق المحروم سن
 من طيبات الحياة .

ولكن أم تمام لم تحاول سين من ذلك ولم تفكر فيه . ولأنها قد خرجت على
 ابنها أن يحاول بعض ما يحاول السباب الفقراء من الاتصال بسباب الأغنياء
 وأحب نسعه . فلم يكر العلامان يساركان في لعب ولا في جد . وربما راهم
 الرءون وقد جلس كل منهما إلى أخيه بمحض في لأرض أو طبعان لعب
 الصاب . و ذلك نظر أهل القرية إلى هذه الأسره على أنها أسره سريه فقد
 سمجه . ليست منهم وليسوا بها في كل شيء . ولأن أهل عرته مع ذلك سجدون
 في بينهم من هؤلاء الناس في إنفاق كثير لا يخلو من سحرته . وربما نفسه
 - إن أمكن أن يكون لاساق نسبه - فيشمل على شيء من سماته . كانوا يرون
 هذين الغلامين يحملان أسه العناء وأسى اشتد لكسبهم اندوس السبه
 في بعض الأيام . ويساءلون كيف يعسر هذه الأسره من هذا الكسب
 اغنيل . وكان يرون هذين الغلامين وقد بيت شيهما فكسبت عن مواده
 من اجسم من حميا أن يسر . ورفعت حتى ملأ البرقع . وكانوا يرون اصبه
 سعدى في أسمها السبه . فيرحون هذا اصبا التضر في هذا الغشاء المتدل .
 ويقول بعضهم بعض نولا الكبرياء لأصاب هؤلاء الناس غيباً أرو رفة وأين سند .
 أما أم تمام فلم يرها أحد قط . لا مدمه في سقها لسوءه من حرج من
 الأرض حين تسرى الشمس ساعة إلى انطربو العاصه . وسدح -

على لأرض حين يرفع الصبحى أو يصفى النهار ، حامله ما جمعت من روث .
وربما رثى الرائون مسدده على سف بهم يمتص الروث ويسويه . فأوا سقراً
سعاً وكللاً محفلاً .

وتنسى أودده وما يبلغ هذا القرن من عمره سسين . ويتم الوباء بالفريده
في علمه من المدن والقرى . ويجمع الناس في أنسهم وأبنائهم وذوى قراباتهم
ومحسبهم . وسكون أم تمام في صلبه لمن يعجزهم الوباء ؛ فهو يخفض
أيديها جميعاً في أقل من خمسة أيام . وعلى مع ذلك هادئة سائلة مطرقة
تجسده كله إلى لأرض . لا يرفع لها صوت بالأنوال . ولا يخفض لها صوت
بالسحب . وإنما على مشمة في بيتها ، وقد أوب إليها عنها كأنها تنتظرون أن
يلم الوباء منها ويحسبها كـ خضف العلاس . ولكن أودده قد أرضى
حاجته من هذا النسب فهو لا يعود إليه . فإذا طل انقطار أم تمام به في غير
ضائل ، نظر الناس فاذ أعوارها قد تغيرت من جميع جوانبها ، وإذا حلتها
قد نمت بديلاً . يمي لا تألف منها ولا تحب الاستمرار فيه . وإنما تمست
قد الصبده وخرج حبيبها أن يخرج منه . وينطلق على مع الشمس المسرودة
سعود إلى يمينها وأيسرها حين تنسر الليل طلعه على الأرض . وسعى أوب
والمرض مستخفين إلى البيوت .

كانت أم تمام تخرج من بيتها حين تشرق الشمس ملفقة في شقتها
لسوداء مسرودة تجسده كله إلى الأرض . تمف أمم بها وفقه قصيره
سمن العرب . وزرع رأسها في سلف سديم إلى السماء . وقد حشرها أممها
كم يمس إلى تبر وفي شمال . تجدد أهواء بأفها حدياً إلى أممها . كأنها
تحاول أن تنم رائحة خفيه صئبه . وقد كانت باعول تنسم رائحة الموت .
في سفع إلى يمين أو إلى شمال . لا يرى الناس نساء النهار كله إلا في دار
من هذه الدور التي أمم بها الموت وقام فيها المأثم سدين ويبيكين . وكانت
أم تمام تصل إلى عده الدار أو بيت فلا تقول لأحد شيئاً . ولا تلى إلى
أحد شيئاً . وإنما تقصد قصده المأثم ساكبات . ويجلس حيث يدهي بها
أجلس . لا يرفع صوتاً . ولا يخفض صوتاً . لا تلمح وجهها
ولا تخمس صبرها . ولا تصنع صنيع أحد من هؤلاء النساء . وإنما تجلس
ما كنهه معتمده على نفسها . كأنها وضعة من صخر قد سوت على عجل وحيف

في عمر تمام . ومما من سببها دفع سرير سيرة مستقع ، بأنه بعض تلك المصائب
الضائلة التي تنجر عنها تنجر في احسان . حتى إذا بلغت حاجتها من البكاء
في هذه الدار تركتها إلى دار أخرى ثم إلى دار ثالثة ، وما تزال كذلك
حتى تنتهي بهار لا يحلم أحداً ولا يكاد يحلمها أحد . ولا ترد على الذين
لادعوا بحسبها رجع الخدم . أكلت سكرى أمها ؟ أكلت سكرى أبناء تلك
الأسر التي كانت مع بها ؟ أم كانت سكرى صرعى الوفاء جميعاً . أم كانت سكرى
نفسها وانتهى بس الدرس . خسرهم الوفاء ، وثبت ثابت بعين ، وكيف
كانت تنجح لاسمها لصبيته أن يعيس ؟ . ستنتفع أحد فتر أن تعرف من ذلك
فدلاً ولا كسراً . . يحاول أحد أن يُعيبها . وم يحاول على أن يستعين بأحد .
وإذا أنقذت أمام الوفاء سبب ربح لموت حين يسر يسبح ، ويسبح دموعها
في سائر ليل أثناء النهار . ويعود إلى بيوتها وانتهى حين تنس اللبس . وسبحى
صبره الوفاء . ويخرج أدهم من سكرى مع الصبح أماماً ورفاً . فتستكمل
بوجهها بعرب سبب ربح الموت فلا يحملها إليها النسيم . فترجع أذراعها
ويدخل منها وتغلق من دونها الباب . ولا يراها سهار إلا حين تخرج مع
الصبح لتسبب ربح الموت . ويراها بعض أهل بقرية ذات يوم وقد
خرجت قبل أن يربح الضحى . وأحدث بند ابنها وجعلها تسعد في بصر
نحو لغز . فيقول بعضهم لبعض : هذه أم تمام قد مدت ببطان . وسبب
استكون وسق عليها وعلى ابنها اجوع ، فخرجتا تنسسان الرزق ويبعدان
من فضل الله . وسكن لهما لا يكاد ينصف حتى تأتي نير من الفلاحين
يحمون حبه قد شاع فها الموت . وجبة أخرى تمنع على الموت استسماً . وقد
رأوا أم تمام تعرف نفسها وبينها في الغناء الأبراهيمية . فاسترخوا إلى
استنقاذها ، وسكن الموت سببها إلى تسخه وسفوه عم في أصبيه . وقد
دفع أهل آخر أم تمام . وآووا سعدى . في هذه الدار أمماً وفي بيت أسرار
أمماً . ولكن سعدى خرجت من ثناء بقاء لبسها حص من عقل ولا نصيب
من صواب : فهي قبله على الدرس مؤوها . بعضها إلى الذين الضموم . وما على
لا أسمع حتى لتتصفا السور والنبوت . وقد على سمرده سبب ما استسبب
اسمى . وتسكن حين تنصرف إلى السكون نواها في هذا السراج من سوارج
استسبب مستحده وفي هذا الرفاق من أرقها مسسه . وتواها من ذلك في الطريق

عدي سعي رفقاً كأنها استلحناه . أو عدو عدواً سريعاً كأنها
الزبيب . وقد تراعى أحداً جسده على صاحبه انقذه نظراً إلى الماء كأنها
برية أو نعوس فيه . أو سطر إلى اسمه كأنها تربة أن ترى فيها . وحرف
ناس سعي البلهاء . ونسى الناس أم تدم ، وجعل الناس يمشرون إلى
سعي السلياء كما ينظر أهل الريف إلى أسبها ، يعصفون عليها حناً
ويضحكون منها أحياناً ، يوثون لها مرة ويقسون عليها مرات .

وسعي سلياء على ذلك نعوس ونسب ويستدير جسمها ويستقيم مدها .
وسحر ابثس منها فمى على وحبب مسعد من جمال . وعلى غنى دلت حتماء
خرقاء لا يحسن أن يعمل ولا يحسن أن يقول . ولا تستر في مكان . وإنما هي
مسفة بين امرئ : ترى في هذه غربة يوماً وفي بيت القربة يوماً آخر . وقد
ترى في هذه غربة مسحة وفي القربة الحياورد من قرب أو من بعد مسسة .
وسكر أهل القربة برونها ذات يوم فيرون مسطراً عجيباً من شأنه أن يمشى
الغروب حزناً وسفر السوس حسرة وأذى . يرون هذا المنصر المؤدى البسع
سعي . فلا يمشى في نفوسهم رجاء ولا يجرى ألسنتهم بكلمة راء . وإنما ينظرون
في ضاحكون به سادون هذه الانفاظ الغليظة التي تصور سحره أهل
ريف . لأهم يرون سعي السلياء سعي ويصعب سعي بين يمين . قد سكت بها
عول من أغوال الطريق فوضع في أحسابها جيت . وعلى يلهاء لا يفرو بين
عول والرحل ولا بين الميت والستار . ولا تعرف ما يراد بها ولا تعرف
ما تريد إن كان مثلها أن تريد .

أين سعي سعي مهد الجبر لدى كذب تحمده في أحسابها ؟ ألسبح
لهذا الجنين أن يرى التور أم لم يتح له أن يراه ؟ ما خطبه وما حسب
له ؟ إن أحدثك من أمرهم سعي لأنى لم أعرف من أمرهم شيئاً . وإنما حدثت
بما وقع عنده سعي . فقد ارتحلت عن الغربة قبل أن يبلغنى أنباء الخبيث وأنه
ابلهاء . ثم سعلت عن الخبيث وعن أمه اللهاء وأنست أم تدم وابنيها .
وقلقت في شاء الله أن أقلب فيه من شؤون الحياء خمسة وأربعين عاماً . ثم
أنود إلى مصر بعد غيبه عنها فصعده أو صولته ، فأحمد فيها ابوابها . وما هي
لا أن أذكر أم تدم وابنها سعي السلياء وما هي . لا أن أسأل نفسي أينكن
أن يبيد ابوابه أحديت ما وجد ابوابه انقده من حال أم تدم وأسببه أم تدم ؟

يقال إن شؤون مصر قد تغيرت ، وإن حياة مصر قد صلحت فما يقرب من نصف قرن . ولكن شؤون مصر التي تغيرت ، وحياة مصر التي صلحت لم تمنع الولاء من أن يجدد عهده بزيارة مصر . فمن يدري ! لعل تغير الشؤون وصلاح الأحوال ورفق الشعب الاجتماعي والسياسي ، لا يمنع من أن يوجد في قرية من قرى مصر العلياء أو من قرى مصر السفلى ، أو قرية حداثاً من القاهرة ، أسرة معتزلة كاسرة أم تمام .

طه حسين

العالم اليوم بين التأميم والتمويل

حسب الناس أن مؤتمر سان فرانسيسكو ، إذ انعقد في ربيع سنة ١٩٤٥ ، كان بمثابة بسير العالم سيراً حثيثاً في سبيل التعاون بين سائر أجزائه . لكن هيئة الأمم المتحدة التي انبثقت من مسنأى ذلك المؤتمر لم تلبث أن تاب اجتمعها ساراً لكن من بين أعضائها من خلاف ، كما لم تلبث المؤتمرات الدورية التي عقدت في باريس ووسطن وواشنطن وموسكو ، أن سجلت مواضع سافسة بين اتجاهات الدول الكبيرة الخاصة ، فكادت الحوادث تعود بنا إلى لأوضاع القديمة انصله تتعادل القوى . ونوازى النفوذ ، لولا أن هذه الحوادث قد كشفت عن جديد ، تتميز به حركة العودة الملاحظة ، والرجوع المرتقب .

ذلك بأن العام قد أخذت معالم الانقسام فيه تبيى بين ما يعبرون عنه شرق والغرب ، أو بين ما يحدده الواقع بين الاتحاد السوفيتي والولايات محده الأمريكية ، بعد أن كان الانقسام فيما مضى يقع بين دول المنطقه واحدة ، وبطل فاره تأكلها منعزلة عنه عزالاً . وذلك بأن التميز الواقع كان إنما يستند إلى اتجاهين اقتصاديين اجتماعيين متقابلين متنافسين : اتجاه التأميم ، واتجاه التمويل .

أما التأميم فيرمى إلى تمسك وسائل الانتاج كلها في الأمة ، ويهدف إلى نمو الأرباح الفردية وبوجهه القروض بين الموارد والسكلف لزياده أجور مهال والمساهمة في مهته أسباب انتهاء للجمعية التي تكسنتهم . وأما التمويل فيخص أرباب المال تمتد الوسائل جمعها . ويهدف إلى زيادة أرباح الفردية يوزمها على حملة الأسهم والغراطس .

واسواق أن الاتحاد السوفيتي يمثل نظامه الاشتراكي التأميم إلى أقصى

حدوده . وأن الولايات المتحدة الأميركية تمثل نظامها الرأسمالي التمويل إلى أقصى حدوده : وكل شيء في الأول سبب لدولة ، وكل شيء في الثانية ملك لأصحاب رؤوس الأموال المهيمنة . ولوائح كذلك أن العالم متروج بين النظامين . بل إن التراوح ذاته يتوافر داخل أكثر من دولة من دوله . ولا تخفى فيه إلا نسبة الميول إلى اليمين أو إلى اليسار . وفي بعض السلاسل الرأسمالية الحرة نجد أكثر من مرفق من المرافق ممكنا لدولة دنسك الحديدية والساجم مثلا ، وفي بعض السلاسل الجماعية نجد أكثر من نسبة إنتاجية متروكة لأفراد ، وإن خضع تركه لبعض الشروط كالمصانع التي تعمل فيها عن عدد معين أو المزارع التي تنقص مساحتها عن قدر محدد . وقد يكون مهيمنة سلا للنوع الأول ، وقد يكون سيكوسوفيا مثلا لسوق الشيء . على أن المشاهد المقرر إنما هو المثل الواضح خلال العالم كله إلى اليسار في سبيل التأميم والابتعاد عن طريق التمويل . وقد تمت في إنجلترا حركات التأميم للبنوك والاسجيم وطرق المواصلات أو كادت ، كما تمت حركته أو كادت كذلك في فرنسا وفي إيطاليا ، وكما سبب وينجبي في سويسرا وفي هولندا . وكل تلك البلاد واقعة إلى حارب لخط الفاصل بين المصنفين المتقابلين ، وهو اتخذ المنفذ من قبل وشمس في الشمال إلى ترستا في الوسط وإلى جريزة كورفو في الجنوب .

وقد لست الولايات المتحدة بهذا الاتجاه البادي . ولعل لمسها إياه هو ابدي دعائها إلى الخراج مسرور مارسال . وهو يهدف في مهدف إليه ، وإعاققة السير في سبيل التأميم عند البلاد التي تمنعها نالغائه والمساعد . بل إن هدف الولايات المتحدة قد وضع وصوح حيز سعب إليها إنجلترا للحصول على فرض جديد أو لتعديل مواد فرضها لتقديم ، فشرطت أن بعدا إنجلترا عن حرته تأميم صناعة الصلب والفولاذ التي كادت وزارة العمال منجيهة إليها في هامة . وهو كذلك يصبح مدين الواسين في نصيبها سرور . إعانتها العاحلة لفرنسا وإيطاليا والنمسا تعهد هذه الدول باستعمال هذه الآلة استعمالا دنا . ولا شك أنها تعني بالذات تمام الانسجام مع النظام التي سطر بها هي إلى ما ينبغي أن سوافر في العالم من أنفسه الاقتصادية واحتتم . تتفق مع مصباحها بل تقدم هذه المصاح بالذات .

والحق الذي بدا منذ قامت قيامة الرئيس ترومان في سبيل مساعدة
الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى ، وبما عو رجوع اساط الامريكى في ميدان التنظيم
الاقتصادى ونسب المالى الى اعتبار موجس احدى مكسب ارباب المال
في الولايات المتحدة ذاتها من جراء انفسار فكرة التأميم في اعمام ذلك ان
التأميم يقضى على استثمار الأموال القردية ، وذلك أنه ينظم التوجيه
الاقتصادى . والولايات المتحدة سبق أن كررنا مستهيك من ناحية ، وقد
مكسب في الأموال من جراء مكاسبها أثناء الحرب من ناحية ثانية . ودول
الولايات المتحدة قبلت من قدره السراء فيها : فقد ضاعت أموالها
في الحرب ، وساءت وسائل اسبابها . ومصلحة الولايات المتحدة تقضى باعادة هذه
الاموال اليها حتى تستطيع أن تنسج فيها منتجاتها التي تهدد بالتكدس داخل
حدودها . وقد رأيت تحقيقاً لهذه المصلحة أن عين الدول الأوروبية عن طريق
مروض بل عن طريق الهبات ، حتى تستطيع أن تشتري منها الزائد عن
احتياجها . فستمر مصانعها محتفظة بمستوى انتاجها وبسمر حملة
مهم هذه المصانع محتفطين بمستوى ارباحهم من ناحية ، كما رأيت أن
عدم بأسواق المعطله لانشاء المصانع وتنفيذ المشروعات فيفسد ارباب هذه
أموال من دخول هذه المشروعات ونبت المصانع . وفي هذا كله درة
حارثة أن نخل بالاقتصاد الأمريكى ، ودرء للانفلاس أن يزل بالمولس
الأمريكى .

سكن نصربه التأميم يعوق ذلك التحقيق الذى تريده الولايات المتحدة
أرباب المال فيها . فهو تمليك للأمة ، وإذن فلا صاعاب ولا مشروعات
لأفراد أو شركات . وهو تمليك الأمة الدولة ، فلا يوصف لمال أجبي في أى
اساط اقتصادى داخل حدود هذه الدولة . وهو من ناحية أخرى ينظم
مجرد الاقتصادى ، فهو دفع لقدرة السراء حجب يرى مصالحه جماعته ، وقد
نصره داخل حدود هذه الجماعة ، وقد بقصرها على أصناف غير تبت
نعنى الولايات المتحدة بتصرفها وبخلق أسواق لها .

ورجح التأميم تهب عاصفة من ناحية الاتحاد السوفيتى . وإن كانت
تعد أحواء بلاد لا تمت للسيوعية ولا للاستراكية بسبب ، وتحميها الآراء
التي تقول أن نقرأ حتى ستم العالم الحديث . فلا بد من ناحية

النصر الأميركي أن تجند الجهود في سبيل مقاومة الشيوعيين بصفته عامه
 وفي سبيل مقاومة اتجاهات التأميم بصفته حاكمه . وفي اليونان سار شيوعى
 قسطنطين القضاة عنه في مهده ، وفي تركيا عداوه قليدنه لبروس فيجب
 لغديتها ، وفي تشيكوسلوفاكيا عدم تبين لقوى الاتجاه الشيوعى على الاتجاهات
 اليمينية فلا يجوز ترك أمورها بنفسها خشيبة انتهاء ذلك الاتجاه إلى القوى ،
 وفي فرنسا وفي إيطاليا نساط شيوعى برر وديهما أزمة اقتصادية حادة ، فصح
 مسوئتهما بالمعونة على الخروج من الضيق الاقتصادى يكذب ذلك الناس
 الشيوعى ، وفي إنجلترا - الأخت السكسونية - مثل استراكي يدعو إلى
 التأميم ويحقق بعض جوانبه ، وفيها كذلك ضيق مالى ونقص تموين ،
 فليقرض حلها توقف في وجه التأميم إذا هى سبب الانتعاش من نقص
 القروض وشروطها الميسرة .

وعبر دول أوروبا لى نزلت بها نوازل الحرب فأحلت سوازمها لامتصادى
 والاجتماعى ، دول أخرى في أميركا الجنوبية وفي الشرق الأوسط ، فتمس
 بعضها إلى الأخذ بمبدأ من مبادئ التأميم ، وقد تنكر بعضها في الخروج من
 حقله الزراعة نصينه إلى مضمحل الصناعة لواسع . وإذن فلندقق الولايات
 المتحدة إلى ربط هذا لعين من الدول باتجاه تصمن هذا فمن السوق
 وأميركا الجنوبية وفعه في ، لنصف العربى من أسكره الأرضيه ، فلندحر
 في نطاق الدفاع عن هذا النصف ، وليجرب هذا الدفاع إلى الوقوف بوجه
 انتمس اعتموم من مناوأة الاتحاد السوفيتى ومن منهضة الشيوعه
 وفي الشرق الأوسط احتلال بقرونه برغبات صادقة في سبيل التصنيع ،
 فلندقدم الولايات المتحدة لدوله بافتراحات مساعده أدليه وانفذه في ،
 التصنيع حديده . وليكن بينها المصانع الحربيه . ونصنع بذلك يدنا من
 الانباج اجديده ، وسوجد الحرب منه بخاصه الوجهه الغربيه التى تتمسك
 أغراضها الاستراتيجيه . فتقلب هذا الشرق الأوسط مع ركبه اسمالى إلى
 - ركن برنا واليونان حصون حربيده وامصاديه للدفاع عن
 وكيان أرباب المال فيها .

ذلك هى الشواهد التى يستقرها من سبيع صوراث الحوادث الحاده
 طوال العامين المنقضيين على فساد هيئه الأمم المتحدة التى ظنها المنشوب

أما من أدوات الموفقى ووسيلة من وسائل أحد من المطمع . وإنها لناطقه
أن نزاع المسوى على الاجتهاد في العالم ، إنما هو نزاع مسند إلى
مدرستين متنافستين : مدرسة التأميم ومدرسة التمويل . تقوم بينهما حرب
سواء بلغت الصفران المتحان فيها إلى كل ما تستطيعان الاستجداء إليه من
أماليب ووسائل ؛ فهي في نظرها على سواء حرب قيام أو فناء .

محمد هزيمى

في أفق السياسة العالمية

الحرب الباردة والقنبلة الذرية

وصف أحد الكتاب السياسيين حالة الجفاء والتوتر القائمة الآن بين الدول الكبرى بأنها الحرب باردة أو الجامدة ، التي لا يراى فيها الدماء ، ولا يسيل الجيوش ، وإنما يصطدم فيها السياسات ويصارع مصالح الشعوب ، وينسحب من أجنحها بأنفسها ، ويصلب إليه جهود البشر في الحرب لأخيره من تعاون وسلام . ومن علامات هذه الحرب الجديدة ، أن الكتاب والسياسيين الذين كانوا في الماضي ينبذون اسم الحرب ، وينحاسون ذلهم في أحاديثهم أو يياناتهم . قد أصبحوا الآن لا يكذبون يوم دون أن يجري فيه كلمة الحرب المستتومة على ألسنتهم وعلى أسعد أفلامهم ، لا في حفصهم وصحفهم فحسب ، بل كذلك في ساحه الهيئه ادوليه وأمام الملا من مسدوب الدول الذين احسموا في نيويورك لأمين فضيه لسلام وموطد أردن التعاون بين الشعوب . فمسدوب روسيا هناك لا يرى حرجاً في أن يجه حكومه الولايات المتحدة علماً بأنها حكومه استعماريه يدعو في سياستها إلى الحرب ، وبأنها تجرى في خصلتها بوحى من أصحاب رؤوس الأموال الذين يفتيدون عاده من الحروب . ثم تنحرف لندوب إلى بريدها فحصى مسه لمرسل بقارس للوم والتفريع ، ويقول عنه : « إن لمرسل تحرض على شن حرب أخرى ضد روسيا وديكتراطات أوروبا الشريره . . . وإيه لا يخرج من أن يهدد بعقد محالفه عسكريه بين أمريكا وبريطانيا لاسمع . حرب حديده . . . وأخبر غول المسدوب في خطابه أمام الجمعيه العموميه لهيئه الأمم :

« إن هؤلاء المشاء الذين ستميدون من الحرب يحاولون تخويف الشعوب بالأكاذيب المبلغة عن استعدادات بزعمون أن الاحاد السوفيتي يسه بها مهاجمه أمريكا ، وهم يعلمون من غير شك أنهم كاذبون . وأن روسيا

السوفييتي لا يهدد أحداً بالاعتداء بأية صورة . ويرد التدويع البريطاني على هذه الاتهامات فيقول : إن روسيا مارالت مؤس بالظلمة التاريخية البالية خيرة اسبقصره والساده المضطهه فى العالم ، وإنه إذا لم تكن روسيا مستعدة قبول مبدأ المساواة التامة عن رضا واختيار ، فلن يكون هبته الأمم المتحدة سعى . ويكون اجتماع مندوبى الدول فى جمعياتها وبجاليها ضريباً من العبت . ولا يكاد يفتضى أسبوع على هذا التراسق بالتهم بين مندوبى الدول الثلاث اسكرى حتى يفتقر كتاب ساسى لوزير الأمريكى السابق مستر جيمس برز ، وقد جعل عنوانه : « لتسلم بصراحة (١) وقد فتد فيه سياسة روسيا ، بين أنها بعمل جاهده مهتسه على أوربا . لا فى سرفيها ووسطها فحسب ، بل فى غربها أيضاً . وقد جاء فى كتبه خاصاً بمسئله ألبان : « إنه إذا سلم اختلاف بين الدول العربيه وبين اتحاد السوفيت سأن مصير ألمانيا فمن جب الدول الغربيه أن تدعوا سائر الدول إلى مؤتمر عام . وإذا أصرب روسيا على مومها ورفضت سحب قواتها من المنطقه الألمانية اتى تحتها ، فما على الدول عربيه إلا أن تعقد مع ألمانيا معاهده صلح على انفراد . ثم يسعون الجميع على فرد روسيا خارج ألبان بالقوه . » وكذلك لم يحاول مستر بيتن وزير خارجيه انجلترا أن يخفى قلقه حين قال فى خصه حديثه : « إنه إذا اعصى الاتفاق بين الدول فى مؤتمر وزراء الخارجيه الأربعه المرمع عقده فى ٢٥ نوفمبر ، فإن الموقف بين الدول لا بد أن يتطور بالغاً مسهلى الخطورة .

ولم يفت اتهام لبريقين بعضهم بعضاً عند حد التراسق بانهم والمهازله . إن كتابه والخطابه ، بل يبدو أنهما قد وطأ انفس على اجتياز حدود الكلام . ودحول إلى منطقه الأعمال ، فقد مندوبو الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة سرفيه مؤتمراً عاد فى مرسوفيا عاصمه بولنده حضره أيضاً مندوبون عن الحزبين الشيوعيين فى فرنسا ويطالب وفرزوا فيه إنشاء مكتب دائم للاستعلامات سيوعيه تُعى بتنظيم جهود الأحزاب الشيوعية فى سائر الدول ونفسى ها . وجعلوا مركزه فى بلغراد عاصمه يوغسلافيا ، ليكون المكتب على اتصال

وثيق روسيا من جهة ، وقريباً من استنفه الدوله في برنسته من جهة أخرى .
والنس سكهفون برنسته لها سكهون «داترج» الجديده حتى تمهد للحرب
العالمه السشه . ويعرف مكيب اجنده « باسكوفورم » Cominform أى
الاستعلامات الشيوعيه . تسيطره عن «الكومنترن» Comintern أى الشيوعيه
الدويه ألى أعين روسه رسمياً في بان احرب الأخيره في مارس سنه ١٩٤٣ .
ووجه احصر من هذا المكيب أنه يجعل الأحزاب الشيوعيه في الدول المختلفه
تأبده في خضطها ووجبهها لهينه المرنزيه وإرسادها . وأن ولاء الشيوعيين
سحرف ببعاً بده إلى حانب المرنز برنسى الدول دون غيره من
الهيئات الوطنيه .

ومع أن أعضاء مكيب اجنده لا يزبون على سبع دول فان إحياء
حركه الشيوعيه الدوليه تحب العنوان اجنده من ساه أن ينير مخاوف الدول
الأخرى اسي مازالت ترى في لمبدي الشيوعيه حصرأ مهدد لسمها لأنها تحصر
على العنف وعلى الثورة العالميه . ولقد خطب ارفيق مولوتوف وزير خارج
الاتحاد السوفيتي بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على اسوره ايسنفه الكبرى فقال
عن إنشاء « الكومنفورم » ما يأتي : « إن احزب ايسنى السوفيتي ليرحب
بانشاء هذا المكيب الذى سظم حركه تبادل الآراء ووجهات النظر بين
الأحزاب الشيوعيه في بعض الدول . بقصد تمهيد سس ستمو هذه احركه
وإن الحزب ليمنى هذا المكيب لنجاح . إن انعس الآن في عصر نوذى
لفرو فيه إلى الشيوعيه . » وقال مشيراً إلى مهمه الحركه الشيوعيه اعالمه
« إن الشعوب نى أيقظهم إدر لها الحقائق الأسور ترى في نجاح الاتحاد
السوفيتي حاسلاً يمكنه من أن تدنو من اليوم الذى سبسنى لها فيه أن سخص
من نير الاستعباد . »

وليس من شك في أن مولوتوف إنم أراد يحملته على الاستعباد أن سده
احظر الأبريكى الذى تعرضت له بعض دول أوروبا منذ أعلن ابريك
ترومان في مارس الماضى مساه الجديد الذى قضى له على سساده سده
الامريكى اقديمه الى انتهجتا لولايات المتحده في الماضى فأن سساده سده
جانب أوروبا وانطوى اهتمامها على نفسها وعلى شؤون أمريكا بصنفه خاصه .
ترومان وأعلن أمام الكونجرس أو المؤتمر الأمريكى الذى يجمع بين شيوع

وعنه، حرمه على التدخل لمساعدته اليونان وتركيا وتقديم قروض مما يتبع
أربعين مليون دولار، وقال محصا الكونجرس: إنه في سبيل تقدم شعوب
في خلال السبعين وإعداد أساطين التدمير والاستعداد، محصا الولايات المتحدة
بدور رئيسي في تكوين هيئة الأمم المتحدة... ولا يمكن أن نخفق أغراضنا
إلا إذا عقدت اليد على مساعدة الشعوب الحرة في المحافظة على نفسها الحرة
وسلامه وطنها من محركات العدوانية التي تحاول فرض نفسها الدكتاتورية
عليها... هذا أمسكنا عن مساعدة اليونان وتركيا في هذا الوقت العصيب
فسيكون لامسكنا هذا آثار بعيدة المدى بحبيب العرب والسوق جميعاً.
وقد ذكر الرئيس ترومان صراحة أنه إنما قصد بتدخله حدّ عدوان روسيا عن
تركيا واليونان وهما الدولتان الوحيدتان اللتان وفقتا حجر عمره في طريق نهضة
حكومات الشيوعية في شرق أوروبا. لذلك وطلب روسيا عزيمتها على الكفاح
والتحدى والمقاومة.

وأخذت وسط أركان الأحزاب الشيوعية في البلاد امداخلة في دائرة
سودده، فصمم بلاد انجر إلى حصاره البلاد التي تعتنى الشيوعية، وغتلب
زعيم الحزب المعارض شيوعيين في روسيا تهمة التآمر على خيانة الدولة.
وحولّم هذا السبب سببه زعيم المعارض في بلغاريا وتقدّمه حكم الاعدام رغم
اغراض الحكومتين البريتانيّة والأمريكيّة. ولا يزال حرب تعصبات مسعلة
في مجال اليونان لهنّ الشيوعيون الشاحون لسلالة. وفي منتصفه رئيسه الدولية
ب روسيا أن يوافق على نعمس حاكم عام لمتفقته ما لم يكن احكام من
مرشحيها. وأخيراً قام الشيوعيون في فرنسا وإيطاليا باضرابات
ملايين ذات معنى إلى صفوفهم السياسي لولا تصافير العناصر المناوئة
للشيوعية ضدهم.

وزّدت حكومه الولايات المتحدة وحثتها بريطانيا أن الدرع الوحيدة التي
ستطيع الحكومات لغرمه أن تنقذها ضربات الشيوعيين أن تنهض كل منها
عاس الحالك الاقتصادي في بلادها. ومعون الأعداء على استعادة انتاحيم
تررسي وانصامي. حتى نمسح حركة التبادل بين الشعوب ونعود البلاد
سرمها الأولى. ولا ذات الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي تستطيع
بذلك أوروبا من حزمها والأحد بيسها في محسم، المنة احاضره. هذا مسر مارسل

الوزير الأمريكى الحديده أن يفتتح الفرصة ويخفف من وقع السياسة احدهم التي أعلنها مستر برومان وخص بها اسونان وتركيا . فصرح في يونيو الماضي بأن حكومة الولايات المتحدة رغبة منها في إنعاش أوروبا اقتصاديا مستعدة لمعاونتها ماليا إذا انفقت الدول البراعة في هذا التعاون على إنشاء برنامج مشترك للتنمير والانتاج في بلادها . ولاحظ حينذاك برفه أمل في إمكان توحيد أوروبا اقتصاديا وإن عزت سوحدها سياسيا . وقد ساعد على تعزيز هذا الأمل أن وزير خارجية اتحاد السوفييت قد استترك بنفسه مع وزيرى انجلترا وفرنسا في اجتمع عقد في باريس في النصف الماضي لبحث هذا المشروع الخبير الذى عرف « بمشروع مرسال » . ولكن وزراء الدول ثلاث ما كادوا يجتمعون حتى بدا اختلافهم من جديد . ورأت روسيا أن تدخل أمريكا الاقتصادى ما هو في حقيقته الأمر إلا مقدمة لتدخلها السياسى في شؤون دول أوروبا لصغرى . وعلى ذلك عاهد الوزير السوفييتى باريس وقاضى روس المؤتمر الذى دعت إليه انجلترا وفرنسا وقاطعتها معها دول شرق أوروبا . وأخيرا اجتمع مندوبو ست عشرة دولة لاعتماد البرنامج الاقتصادى الذى طسبه حكومة الولايات المتحدة . وقد تقدمت الدول ببرامجها في السهر الماضي . ولكن الأزمه الماليه الحاققه في بلاد كفرنسا وإيطاليا واتحسا جعلت أمريكا تعجل بانقاذ الحاله . وتقدم رئيس الولايات المتحدة أخيرا يهيب أعضاء الكونجرس الأمريكى أن يلبوا حاجه أوروبا الملحه بالمساعدته فيعتقدوا جميعا غير عادى يقررون فيه إسعاف أوروبا بمبلغ يداى . وذلك إلى أن ينسبر للمجلس دراسة مشروع مرسال برسته على مهل . وبهذه الضرته تقوى حكومات أوروبا على إنقاذ شعوبها من خطر المجاعة والتعطيل من جهة وتستطيع الولايات المتحدة التغلب على حركه التضخم المالى وارتفاع أسعار ااحايات فيها من جهة أخرى .

وعلى ذلك ظهرت معالم اسكتشتن السرفيه واغريبه واضحه ليعيان : فإن ست عشرة دولة (١) في أوروبا قد آرت أن تبلى دعوه أمريكا وتشترك مع

(١) هذه الدول هي : بريطانيا - فرنسا - هولنده - بلجيكا - لكسمبورج - ألمانيا - الدنمرقه - النرويج - السويد - إرلنده - اليونان - إيطاليا - البرتغال - سويسرا - إيسلنده - تركيا .

روسيه برضت في إعداد برنامج مشترك للنساء والتعمير . وقد ساهمت
الكنيسة المعرصة عند ادول انطله على تخطيط الأصصى تركيا واليونان وإيطاليا .
وم منهم أساسا إنها لتجبر اسياى ادى فرصه هئله الأمم المتحدة
في العام الماضي وأقصت به أسباب من المؤتمرات انموله . ولأجل أن يكون
الوزن مدحوظا بين الكنديين رأى اتحاد السوفيت أن يسعر دول الكتلة
الشريفة بأن مصالحها المشتركة هي أيضاً موضوع الدرس والاهتمام ، فأشأت
مكتب الكومنفرورم الذى سبقت الإشارة إليه (١) .

وقد بدا لانسداد وانحيا بين الكنديس في المسائل والقضايا التي عرضت
أمام هئله الأمم المتحدة سواء أمام مجلس الأمن أو في جمعيتها العمومية . وهنا
ستنصع الباحث أن يستخلص من أسباب النزاع بين الفريقين مسألتين هما
إن صح اعتقادنا مصدر الداء وأصل الخلاف : القبيلة الذرية وحق القيسو .
وسنحاول هنا مسأله الصافه الذرية التي فوحتت بها روسيا والعالم كله عندما
أنقذ القواب الأمريكيه في السرى الأقصى بقسله الأولى على هيروسيما
في أغسطس سنة ١٩٤٥ أى بعد دخول روسيا الحرب ضد اليابان بأسابيع
قليله . وثألما الضباب السسم ادى خلقتة القبيلة واحتوى على هيروسيما
المنكوده قد غطي أيضاً بسومه حو العلاقات السياسية بين روسيا وحنائها
سكسونيين . فأوجد بينهما منذ إلقاء القبيلة هوو ما برحت تسع وتغور نحو
ساح ، حتى لمست الهوة الصخر الصلد الذى لا يلين ولا يلبجس منه الماء !
وبمس أدل على عظم هذه الهوة وسعها من مظاهر الجفاء والاشكك وفقدان
الثقة التي سادت بين الحففاء منذ اجمع الزعماء في بوسدام في صيف
سنة ١٩٤٥ ، إنى الآن . ونو أن الولايات المتحدة وبرصانيا ولندا وهم
ضحاب سر اقبيله هم أربوا ضميرهم ووسعوا سر القبيله بين أيدي هئله
لأمم المتحدة من أول الأمر لأنكن رأب الصدع ونفادى الحشر في حموى
حففاء . ولكن أساساً طيروا في أمريكا وأوربا . ومنهم كثير من رجالاب
حرب ، بادو بالاحتفاظ بأسر الرشمب حتى يمكن مفاحاه روسيا به إذا

(١) ويتألف المكتب المذكور من الدول الآتية : بلغاريا - تشيكوسلووا كيا - انجر -
روسية - رومانيا - يوغسلافا - اتحاد سوفيت . يضاف إليها الحزب الشيوعى في فرنسا
 وإيطاليا .

افتضت الحال قبل أن تصل إلى سر صنعها . وكان العلماء قد أقنوا بأن كشف الطاقة الذرية لن يبقى طويلاً سراً مجمولاً . ولكن الاهتمام إلى صنع القنبلة ونتاجها قد يستغرق سنين طويلة . وعلى ذلك سرعان ما ظهرت محاولات ومؤامرات أراد بها مدبروها من لسوفيت أو غيرهم الوقوف على سر القنبلة في كندا . فعدى رئيس الولايات المتحدة رؤساء الحكومات الثلاث إلى اجتماع عقد في واشنطن وقرروا استعدادهم لترك الدول الأخرى معهم في سر القنبلة متى وافقت هيئة الأمم المتحدة على اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع استخدام الطاقة الذرية في أغراض التدمير والعدوان . وتأسست على أثر ذلك لجنة سُميت فيها الدول التي ستكون منها مجلس الأمن وبمعهم مدوب من حكومه لندا وهي إحدى الدول الثلاث صاحبات السر . وعرفت هذه اللجنة باسم مدوب أميركا برنارد باروخ Bernard Baruch وهو من سياسي أميركا القداماء الكفاءه . وقد عقدت اللجنة جلساتها في نيويورك في ربيع سنة ١٩٤٦ وقدمت تقريرها وفيه اقترحت تأليف هيئة دولية تعمل لاحكام جميع المواد الخام التي تدخل في صنع القنبلة حتى وجدت . كما تحتكر أسرار صنعها . واقترحت اللجنة أن تتعهد الدول بالامتناع عن إجراء السحوب لحاصه بالطاقة الذرية إلا بأذن من الهيئة . على أن يكون للهيئة حق التفتيش في البلاد الخدنة وتوقيع العقوبات الرادعه على الدوله التي تخسها نفسها بمخالفه هذه التعهدات . وذ كرت اللجنة أنه متى تم تكوين الهيئة المذكوره فإن واجب حكومه الولايات المتحدة أن نعدم القنبلة الذرية لمدخره لديها ونصف إنتاج القنبلة بعد ذلك بماناً . ثم أضافت اللجنة شرطاً أساسياً ينبغي بمقتضاها . وهو أن تنزل الدول التي قد حق الصنوف في مجلس الأمن عن حطب في نصيبه في حالة اقتراح العقوبات التي توقع عند مخالفه التعهدات المذكوره . حتى لا يفلت دوله كبيره أي كانت من العقوبات متى نكنت عيهه وأخلت بسروط عدم إساءه استخدام الذره . ومع أن جميع الدول التي مثلت في اللجنة المذكوره قد وافقت على هذه السروط فإن حكومه اتحاد السوفيت قد عارضت بشده في حق التفتيش الذي ستخول للهيئة . وفي نبرها عن حق الصنو . ورفضت روسيا في حماسها مد هذه لسلح المدمر على المتصالحه بعقد معاهده دوليه يحظر فيها استخدام القنبلة الذرية قانوناً . وما قبلت روسيا

إلى اليوم منهم ، الولايات المتحدة وبريطانيا بأنهما مهددان العالم بهذا السر ،
وعملان لمساعدته حرره نزع السلاح أو تخفيفه . واحتفاظهما بسر
نفسه الذرية . ولكن الحكوميين نصران على صروره قبول الشروط التي
وسمها المحته قبل إقضاء السر ، ويقولان إنه ما دعا روسيا إلى معارضة
حتى السلس والسبب هو الفيتو إلا إصرارها على حفظ أسرارها الخربية ،
تمسك بفائدة السر الحديدي بينها وبين دول العالم . وإنه يكنى برهاناً
على تجرد دولتين من أية مصلحة داسة هما أنهما قبلتا إعدام القنابل الذرية
وجوده بينهما ، والبرول طوعاً عن حقهما في استخدام الفيتو فيما يخص
العقوبات المتعلقة بمخالفة شروط الذرة .

وقد سخر الرفيق مولوتوف أحراراً من موقف الدولتين إزاء القنبلة الذرية .
على في حقيقته الأحرار . بمناسبة الذكرى الثلاثينية للشور الروسيه : ... وخلف
... ثم أن قرر أن الاسمعيين في أمريكا لا يتقون بطقه بلادهم ادخله ،
بهذا نراهم يعتمدون كل الاعتماد على القنبلة الذرية . مع أن هذا السر قد أفضى
مضبوحة منذ زمن طويل . ولا يخفى أن الاسمعيين يحتاجون إلى هذه الثقة
سند الذرية التي هي سلاح لعدوان لا للدفاع كما هو معروف . وهذا كلام
. خصه . مع أنه أن روسيا تسلمح باقتبلة كما تسلمح أمريكا وبريطانيا . وما
لست قد أن اقتبلة الذرية سواء أكانت سلاحاً لهجوم أم للدفاع فهي قبل كل
شئ أخطر سلاح خسرته الإنسان ضد المدنية والانسانية جمعاء . وإذا كان
من الناس قد نعموا على الولايات المتحدة في نهاية الحرب أنها استخدمت
سلاحين اثنين ضرب اليابان وحملها على التسليم في الحرب الأخيرة . فهل
تدر أن مختلف الدول الكبرى في يوم السلم وأمام اهتد المتوضه بصيانة
سلام بين شعوب العالم على مرافقة الصافة الذرية وتأثير الانسانية ضد
أخطارها ؟

إن الخلاف بين دول الكتلتين حثيث ومتعدد الجوانب . ولكن أسد
من هذا الخلاف هو ترك موضوع الطاقه الذرية دول رغبة دوله وإهدار
السر وحمله خطراً مباشراً بناس . قد كسبت الروس غداً والألمان
... غد . ثم عيهم استلذان واليابانيون والهنود واليهود من بعدهم . إلى آخر
سند . وهكذا لا تنصر الخطر من الكلام عن الحرب على اصطدام قوى

بين الكنديين أو قيام حرب عليه بالند ، بل تكاد يكون أن اعداء سيمسحوا بعد ذلك إلى حقول تجريبية هائلة تستتب فيها الشعوب القبيلة الذرية ، كما استتب كدموس في الأسطورة الاغريقية القديمة أسد التين التي يدرها في سديه طيبه الاغريقيه فلم تبت الأسد أن أمرب وأخرجت سلالة من ابوحوس الكسره كان كدموس نفسه مؤسس طيبه أول من تعرض لأقام ولتسمها .

محرر رفعت

كيف نشأت المدنية في مصر

تتبادر أسلوب العلماء وطلاب العلم في يكتبون بدقة التعبير وعديد دلالات الألفاظ ومصطلحات تحديداً دقيقاً تنتهي معه اللبس وتجنب مواطن الخلط وسوء الفهم . ومن المصطلحات التي يعرض لها المعنويون بدراسة التاريخ المصري العام . ألفاظ ثلاثة يحسن بنا أن نحدد معانيها وما يقصد بها تحديداً واضحاً . وثالث هي : الحضارة ، والمدنية ، وانفاقه . وهي الألفاظ درج ثلث تعريبه على أن يضيفوا عليها معاني فضفاضة بعض الشيء . ويحسن . فمن أن نعالج نشأة المدنية أن نحدد ما نقصد بكل من تلك الألفاظ الثلاثة . أو أن نصلح - في القدر - على دلالات كل منها ولو مجرد اصطلاح .

وننظر أحضاره أكثرها شمولاً وأوسعها دلالة . فهو شمل مجموع نتائج جهود البشرية على سطح الأرض أو في جزء منه ، وهو يجمع بين الناحيتين دية وغير المادية من حياة الإنسان : ثم هو يمتد في الزمان كما يمتد المكان : ولا يجوز إطلاقه إلا بهذا المعنى الواسع السائل . فبالحضارة بشرية ، أو يقال حضارة الشرق ، أو حضارة مصر القديمة : يقصد بذلك سس الحياة المادية وأدواتها ووسائلها التي ابتكرها الإنسان ليحصل على به ومعاشه في البيئه . كما يقصد الحياه ذاتها بمظاهرها ونظمها وأدواتها دية والمعنوية جمعاً ، بل يقصد بها وصف تلك الحياه في فرد من الزمن . طول أو قصر حسب نجاح تلك الحضارة . أما لفص المدنية والثقافة فأضيف شيراً في مدلولهما : بل هما في الحقيقة يدلان في بينهما على ما يجمعهما فقط حضاره بمفرده . والمدنية يقصد بها أو لعنا نستصع أن نصلح على ذلك و هذا المقال . ذلك الجانب المادي من حياة الإنسان ، وما تنفق منه حيلته في تيسير أسباب حياته العملية : فهي تشمل الحرف بأنواعها المختلفة .

من صاعده ، وصيده للحيوان أو رعى به ، ومن زراعته وسنته ليلس أو استغلال له . ومن تجارته وبيادله ومواصلاته وطرقاته لسدس والانسار . كما تشمل بعض الفنون العملية في الحياه . كبناء المسكن أو حفر ذلك . أما الثقافة فسمي اجاب غير مادي من حياه الانسان ، فيها الناحيه الروحيه . وناحيه العقيدة والتفكير . وناحيه الادب والسياسة والفنون الجميله المختلفه . ثم نأحيه التعبير عن كل هذه الجوانب من حياه الانسان . من الحياه الماديه داخلها بوساطه اللغة ومبناها الأدبيه (١) ومع ذلك فاحد القاصص في الدلاله بين الماديه والثقافه لا يمكن أن يكون واضحاً دقيقاً ذلك أن بعض ألوان الثقافه ، كالشعر مثلاً . قد ينصب على نأحيه ماديه من حياه الانسان ، كما هو حاصل في حالة فنون العارة والزخرفه مثلاً ، فهي من بعض نواحيها حرة من الماديه الماديه ، ولها كنه مع ذلك تشيع عاده عند وإحساساً زوفا عند الانسان . كما تنجلي فيها بروع النفس أو الروح أو الذم مما تتجلى حرقه البناء أو حرقه الزخرفه من حيث هما عمل مادي آلي . وواقع أن الانسان منهم صانع فلن يستطيع . بحكم تكوينه . أن يتخطى فصلاً تاماً بين حياهه الماديه وحياهه المعنويه أو غير الماديه . وسكن به الخير لنا مع ذلك أن يلتزم حدود الدقة بقدر الامكان عند ما نتكلم عن الماديه أو الثقافه ونصيب كل منهما في تراث حضارتنا العام .

وإذا نحن اتفقنا على هذا الاصطلاح في التعريف ، فقد يكون واجبا أيضاً أن نتفق مع الساده على ما نقصد ، بالماديه المصريه . فحينئذ نقصد بها تلك الحياه الماديه التي حياها المصريون أو سكان مصر على ضفاف نهر النيل . والتي ارتبطت فيها ألوان معيشتهم وما حققوه في مجال الماديه . واعمل نظروف هذه البيئته المصريه التي سكونت حياهم وصيغتها بتأثيرها المعنوي الخاص . بل إننا نقصد بهذه الماديه ما كان من « نافع » بين « الإنسان » . انتهى إلى هذه الحياه المستشره المعيشه . التي سارت مع الزمن . واخذت في بعض الأسس بحياه غير المصريين وأبناء ابوادي من سائر

(١) مكاتب معاه موضوعه « مصر حرقه » لانتقال الثقافه بين الشرق والغرب . وقد ذكر فيه تعريف الثقافه بمعناها الأعم أنظر « السكات » مصري « عدد ٣ (ديسمبر ١٩٥٥) »

اسرى أو شعوب الغرب ، ولكنها مع ذلك احتفظت بمسمىها الخاص ، وبكثير من أسسها وشؤونها الأولية ، لا لشيء إلا لأنها كانت أصيله في بيئتها النيلية ، التي وفرت لها من عوامل الدوام والاستمرار والتجديد ما سيجول أن نكشف عن بعضه في هذا المقال .

ويرجع أول ارتباط الحياة بالبيئة المحيية في مصر إلى ما نسميه بالعصر الحجري القديم الأعلى . ومع أن علماء عصر ما قبل التاريخ لا يميلون كثيراً إلى تقدير حضارتهم بالسنين والتواريخ ، فقد لا نكون بعيدين كثيراً عن الحقيقة إذا نحن قسروا تاريخ هذا الدور الأول من أدوار الحياة والمدنية في مصر بأنه يرجع إلى حوالى العشرين ألف سنة . وفي هذا العصر بدأت صناعة الآلات الحجرية في مصر تتخذ طابعاً خاصاً بها يميزها عن صناعات بقية العدم القديم ، بما في ذلك فئسطين ذاتها مع أنها بلد مجاور . وظهر أن مصر لم تتلق غزوات دنيعة في ذلك العهد ؛ لأن نهر النيل لم يكن قد اتخذ صفته الخاصة التي أعرب به سكان الصحارى فيما بعد . ذلك أن الصحراء إذ ذاك لم تكن جافة ولا عديمة النبات ، إذ كان هناك ما يعرف باسم العصر المطير . وكان نظام المسر والنبات في صحارى مصر والشرق العربى المجاور يشبه ما نعرفه الآن في حوض البحر المتوسط . وبذلك وجد الانسان كفايته من النبات والحيوان وصيد البر . ولم يستشعر حاجه لأن يسعى إلى وادى النيل ومجراه . وبعبارة أخرى لم يكن هذا الوادى موطئاً لأولئك الصيادين القدماء في العصر الحجري القديم الأعلى . وبذلك استطاعت العناصر التي تعيش فيه وفرباً منه أن تنامح حياتها في أمن نسبي . فالتحذت صناعاتها ذلك الصانع الخاص ؛ وكان ذلك أول دور من أدوار تخصص المدنية الأولى في مصر .

ثم جاء دور لاحق فيما نسميه العصر الحجري الحديث . ويرجع بداءه إلى حوالى سبعة آلاف سنة حلت . وفيه تعلم الانسان أن يستنبت النبات بدلا من أن يكتفى باجمع والتقاط الحب والثمار من نبات الطبيعة البرى ، كما تعلم استئناس الحيوان وتربيته بدلا من اقتناصه وصيده . وكان هذان انقلابان خطيرين في حياة الانسان إلى أبعد الحدود ، بل إن بعض الباحثين يرى فيهما أخطر انقلابين في تاريخ الانسانية كله . فبعد أن كان الانسان يعيش عيشه عديم واستقلال قصير النظر لموارد الطبيعة ، أصبح يعيش بطريقة

« إنتاجه » ، وأخذ يعاون الطبيعة ويستدر خيراتها بدلاً من أن يستعصم بها ،
يؤدى في النهاية إلى الاقمار والاجساد . ولابد أن موارد الانسان ببل أن
يهبط إلى استناب النبات واستئناس الحيوان كانت محدودة ، كما كانت حياته
نمطه غشمة . أما بعد ذلك فقد تعلم كيف يصيغ صديقاً للطبيعة بدلاً من أن
يكون عدواً لها وحرماً عليها ؛ فعلم على أن يزيه من مواردها ويستحضر فطرته
تلك الموارد لصاحبه ؛ ونضاعف بذلك موارده في الحياة ، فزاد عدد السكان
بل بضعف . كما أن الرعاة وتربيته لحيوان كانتا موردان منظمين ومضمومين
إلى حد كبير ، بخلاف الصيد الذي يتوقف كثيراً على عنصر الحظ والمصادفة .
ويش من شك في أن حياة الزراعة والرعى كانت أكثر صحة وأوفر أمناً من
حياة الصيد التي يهددها الجوع في كل حين . ولقد كان ضمان العسل وأمانه
عاشين أساسيين في بناء الحياة المصطنعة ؛ ذلك التي يستطيع فيها الانسان أن يفرغ
إلى شيء من العيش التمدن حقاً ، بل إلى العيش الذي يجمع بين المدنية الحديثة
والثقافة الروحية والعقلية ، وهما كما ذكرنا أساس كل حضارة .

ويش هذا مجال الافاضة في نشأة الزراعة والرعى ، وما كان لها من
أثر في تاريخ الحضارة ؛ فذلك موضوع قد يستحق مقالاً بذاته . ولكن
من الخير هنا أن نسير إلى بعض العوالم في البيئة المصرية ، مما ساعد على
نشأة كل من هذين الحرفين العظيمين من حرف الانسان في بداءه حياته
الأمنة وحضارته المستقرة .

كان العصر المصير قد انتهى قرب نهاية العصر الحجري القديم ؛ وجاءت
فره جدد في صحارى مصر . يقال إنها كانت سبباً في نزوح السكان من
الصحارى واتجاههم إلى جوانب وادى النيل حيث الماء والحباء . وقد يقصر
النزوح بالطبع على الانسان ، وبما شمل ذلك الحيوان أيضاً كان لعبس
على نبات الصحراء . وبذلك أصبح الانسان والحيوان في واد واحد ، وفي
مجال خفي محصور ، كان لابد فيه للانسان من أن يحارب المنكر من
الحيوان حتى يقضى عليه ؛ كما كان على الوديع من الحيوان أن يعين في
جوار الانسان ويأسس إسهامه ، مما تسر مهمة الاستئناس . وهكذا كان جمع
الطبيعة للانسان والحيوان في مكان واحد إيداعاً بمجهود جديد ، عاون الانسان
فيه الطبيعة على نحو يزيه من إنتاجها ، بدلاً من أن يسير على استغلاها

استغلالاً هداماً كما كذب الخراف في غود الصيد وانقض . وطبعي أن وادي سنل كان من خير المواطن لهذا النوع من الحياة . وسكنه كان في ابواب نفسه وصلاً صالحاً لأن مهسي قد الأسال إلى نوع آخر من الحياة المتجدد هو الذي تمثل أخيراً في مستنبتات النبات . ففي هذه العهود الذي ولدت فيه الأمصار في صحارى مصر ، وإن ذلك قد يجدد بعض الشيء في بعد براد المصر زائده طبيعته بغيره . فمصر السيل اعتماداً كلما على مناعته العليا من خص الأمصار وفي المعتمد الحبيسة ، واتخذ مضمونه دورته المعروفة من ارتفاع ذروة الماء في أواخر الصيف وأوائل الخريف ، ثم انحساره عن حوائط الوادي في أواسط الخريف وأواخره . وهو موسم مناسب جداً لزراعة المحاصيل بسهولة . بمعنى أن النيل كان يغمر على حوائطه فمعهها بالماء والعرين ، أي يبعدها للآسباب . ثم يحسر عنها في أصلح الأوقات لأن سبغ فيها مياه النبات وحويته كالشعير والتمح . وهي لحسن المصادفة (منسج أوطم) من الشادب التي كذب سمو بربه بقدمتها في شمل إبريقه المرفى . وحاوره من أنصار أسبا العريسة . وانفاهر أن طبيعته النيل وسوءه فيضيه قد ساعدت على أن تنعم الإنسان في مصر زراعه مثل هذه الأسباب . ومن اليسير أن نتصور أن يكون نساء الزراعة في مصر قد جاءت بمفجدة مشهور بقى . يعلم فيه الإنسان هذا الفن من الشجعة نفسها : ففي فصل الحصاد ماء المنضول يذوق ارباب بعض أسباب البرية وحيوها من حافة الوادي إلى أراضي الخصبة التي انحسر عن الماء ، فنبت ذلك النبات لتربية طامعه بربه ، وتغذى من برى البرية النسله المستخيه . ثم بأى أمطار الشتاء المصرى فتغذى النبات وتمده بالماء حتى يكمل نموه ونضجه في أشهر الربيع فيحصد الإنسان . ولا يبعد أن يكون القبائل المنسرة على حافة الوادي في ذلك الوقت قد رافبت هذه الدورة الطبيعية عاماً بعد عام ، فاهتمت عن طريق الملاحظة إلى أن تقلد الصيغة : فكان الإنسان في أول الأمر يحرس حقول الشعير البرى مثلاً بعد أن نبت بربه وحششة ، فيمنع الحيوان من أن يأكلها والظير من أن يضا من سنايلها وحبها عند نضجه . حتى يتم الحصاد . ولا يبعد أن يكون ذلك قد مثل مرحلة من مراحل نشأة الزراعة بطريقه يعاون فيها الإنسان مع الصيغة ، فبكمّل عملها ويبنى عليه . حتى

يذهب الأمر به إلى أن يتولى بنفسه غرس الحب واستنباه . وذلك صحيح
زارعاً بالمعنى الكامل الصحيح .

وإذا صح هذا التصوير لنشأة الزراعة في مصر — وهو ما تهدينا إليه
الدراسات المتصدة لعصر ما قبل استارخ ونشأة المدنية الزراعية في وادي
النيل — فإن الإنسان يكون قد تعلم الزراعة من الطبيعة ، ويكون سبل
مهده لأن يقوم على جوانبه تلك الحياه الزراعية المستقره المهيمة ، التي رأينا
أنها ترجع إلى نحو سبعة آلاف من السنين .

ولكن المهم أن الزراعة في مصر لم تكن من النوع تعدادى الذي ظهر
في كثير من جهات الأرض ، فلم ينته بالحياه إلى أن تقدم وترفع بالجماعات
الزراعية من مرحلتها ابتدائية إلى مرحلة رفعة نسبيا من الساحة الاجتماعية .
فللزراع في غير مصر كانت يقوم كلها على المنظر ، وما كان على الزارع إلا
أن ينثر حنرات صغيره في الأرض يضع فيها الحب ثم تركه لمطر نفسه
وتغذيته حتى يتم نضجه فيحصيه . وهذا النوع من الزراعة يعرف بالنوع
المصري ؛ وهو وإن كان قد ارتفع بأمله فوق مستوى الجمع والاستط ،
وأس حياتهم ووقوعهم شر الجوع ، فإنه مع ذلك لم يعلمهم ضمنا من لاجتماعي .
فاستطاع الزارع أن يزرع بمفرده أو أن يستعين في حرفته بأسرته الصغيره
دون حاجة إلى الارتباط بجمتمع كبير . وبذلك بقي اجتماع مذكرا ، ولم يربح
حياه انزاعين إلى مستوى من التضامن الاجتماعي ومن داخل المصالح المادية
بين الأفراد والجماعات الصغيره يفرض على تلك الجماعات وأفرادها تضامنا
معيناً من الحكم هو أساس حياه الممديه بمعناها الاجتماعي المعروف . فضلا
عن أن مثل تلك الزراعة النظرية لا يجد صاحبها حاجة لأن يستمسك بحقل
معين يسفر فيه ويقصر جهوده عليه ، وإنما هو مستمع . بل يضمن .
النفس من عام لعام ، فيزرع في كل سنة فصعة جديده من الأرض لم يضمن
الانبات في موسم سابق . ويدلك كله لم تكده حيله الزارع بحقله أو موصه
المستقر بوجه ؛ وذلك ما حدث فعلا في بعض جهات إفريقيا الداخلية
مثلا ، حيث نسات الزراعة وبقى على أصولها النظرية ، فلم تقدم بالحجم
في سلم المدنية وحياته المستقره ، بل بقي بهاثا متقللا ، وسمر فصر .
في حياته وحضارته العامة . أما في مصر فإن الزراعة قامت في أرض بغيره .

منه السن . وذن من الضروري منذ ابداءه أن ينظم مضان هذا السهر
 لا أن يراد ان يرسون أن موسعون في أرضهم حتى يفتحون ؛ وهذا الموسع
 لا يمكن إلا أن يكون داخل حدود الوادى وفي الأرض التي يحدد حصص
 هذا السهر اعظم في كل عام . وذن كانه لم يكن هناك مجال لأن ينقل
 ترابع من حقن لخلل في كل عام . بل كان عليه أن يستعمل بقتله .
 يتم مضان الماء عليه في كل عام ، ثم ينتظر انحسار ماء عنه ليعرس الحب
 في أرضه التمهيد مجده . وكان تنظيم ماء الفيضان هذا عمراً عما من
 حصر الحد والكم في الزراعة والخصاء الزراعه المصريه منذ نشأتها
 الأولى ؛ لأنه كان عملاً ضخماً يقتضى تضافر الجهود في الجميع . فالزراع
 لا يستطيع وحيداً أن يتم الجسور ليقسم الوادى إلى حياض يمر فيها ماء
 مضان مروراً منتظماً يمكن معه أن يرسب الغرين بانتظام على سطح التربه ؛
 لا يستطيع أن يحفر السواى التي تحمل الماء من النهر إلى الحوض ثم
 يخرقه عنه بعد أن يكون قد أرسب ما به من غرين . لذلك كان من
 ضرورى أن تضافر جهود الزراعين في مصر من أجل تنظيم رى الأرض .
 بدون هذا الرى المنظم لا يمكن للزراعة أن تتقدم ؛ لأن الأمطار في الخريف
 لا تكفى لانبات النبات ، وإن كانت كافية لأن تغذيه وتم التربه ببعض
 رطوبة أثناء فصل الشتاء . لذلك كانه كانت الزراعة في مصر محتلفه عن
 الزراعة النظرية التي سادت معظم إفريقيا ؛ فهى زراعة من نوع
 منظم العمل اشفاق والجهود المنظم والتضافر الاجتماعى ؛ وهى عوامل
 أساسية في بناء الحضارة بمعناها العام . بل هى أساسه بصفة خاصة
 بناء البضام والإدارة و« الحكومة » في مثل هذا المجتمع القديم .
 وذن كما قام « الحكم » على أساس الحاجة والضرورة في حياض الزراعة
 . . . أقدم جهود الاستقرار على صناف النسل ، واسمى أبرز الزراعه في مصر
 أن أصبح أساساً للحياه المتعمده ، حتى غدا وادى النسل الأدنى موطناً
 من مواطن المدنية والحضاره الأولى في إفريقيا والسرف القديم .
 ولكن نشأه المدنية في مصر لا يقتصر على الزراعه وفلاحه الأرض ،
 وإنما هى تشمل الحياه والاستقرار والسكى فوق أرض هذا الوادى الذى
 يعمده الفيضان في كل عام . وقد استعصى استواء الأرض أن تقوم قري

أبراع فوق كومات صناعة من تراب بني المسكن في أعلى ذراع، يكون
 بمأمن من الفيض الجارف . وما كان لزراع بمفرده ، ولا لجموعه صغيره من
 الزراع ، أن تقوم مثل هذه الحكومة التي يجب أن يكون من الخصخصة
 بحث ثب للماء والسماد ؛ وإنما ينبغي أن تتضافر جهود عدد كبير من
 لزراع في إقامة هذا التل الصناعي ، وينبغي أن يعين هؤلاء الزراع في
 بيوت تكثف وتكاثف فوق هذه التلال المبعثرة في أرض الوادي . وقد
 فرضت الطبيعة على أهل هذا الوادي أن تتضافر جهودهم ، وأن يقيم
 الحكم بينهم في قري يمثل فيها روح التعاون والتضامن والتكافل ، وبمساعدة
 بين أفرادها الحرف المختلفة التي تحصل بالحياه الزراعية من جهد ، وبمساعدة
 القريه العامه من جهه أخرى . فهذه القري يجب أن يقيم أساس العيش
 فيها وإسعاد عنها وقت الحاجة ، كما يجب أن يقيم اتصال بعضها ببعض
 في التبادل وغيره بوساطة أسواق أو فوق الجسور أيا من التماسك . وهذا
 يستلزم قيام حكومة وإداره ، ويستلزم بمعنى آخر قيام اتحاد لعمد زراع
 الوادي وسكان قراه ؛ وهذا أساس آخر من أساس اتحاد الممدين ، تلك
 نشأت في قري مصر ، ثم امتدت فشملت أقاليمها ، ثم وجهها القبر
 والبحري ، قبل أن تشمل الأرض كلها ، وتقوم حكومة مصر الزراعية الحديثة
 عند مطلع التاريخ .

وهكذا وُضعت أساس الحياه المستقره والحده التي تقوم على تعاون
 والمضامن الاجتماعي ؛ بل هكذا وضعت أساس الحكم والنظام في مصر من
 يزرع في التاريخ . وكانت حياه المصريين وجهودهم ومدنيتهم في ذلك
 مسأله أسد التأثير وأبلغه نظروف البنية الطبيعية ؛ تلك التي أسسها
 الخصوص بتكامل عناصرها في هذا الوطن الصالح ، ولقد تمثل ذلك اسد
 في صور وأشكال متعدده ، ربما كان أظهرها ما نلاحظه في دوره الفصول في
 مصر . فلبيل يعلو بالنبضان كما ذكرنا في أواخر الصيف وأوائل الخريف ،
 ثم ينحسر في وقت الانبات بالذات ، فتبدأ الأمطار غفب ذك ويسمر
 فصل نمو النباتات الشتويه حتى يقبل موسم الحصاد فيحل الجفاف ، وينحسر
 مسموى النهر إلى أدناه ، وتبقى الأرض بواراً تصلبها أسعد الشمس من
 النصف الأول من الصيف ، فتجففها ويظهر تربتها من الآفاد واحده من

اسمائه لى تنصر خير الأرض ولا تنيد سناً ، بل تنفق حروره الشمس
سطح الأرض وتسمح للهواء بالنفوذ إليها وتغذيها بعناصره المفيدة ؛ حتى إذا
الرياح ماء الممطر ملائ تنفوق الأرض وتسرب إلى الأعماق وغنى السطح
تستمد من الغرين عدى التربة وبعددها للعام الزراعى الجديد . وهكذا
صافرت عذس السنه الصبيعه وأجم بعضها بعضاً في دوره مستفهمه على طول
عام ، من تمام النهر في الفيضان والتجاربى ، إلى نظام المناخ بين الشتاء
العمل المصير والصيف الشمس الجاف . وبهذا كله كانت الصبيعه في خدمة
الإنسان ، ونهات لملاد لأن يكون مسرعاً ساخناً لنفسه المدنية الزراعية ،
بصل ما من حياه الاستيطان والاستقرار . ولم يكن على الإنسان إلا أن
أبى يجهده في الوقت المناسب ، وسخر الطبيعة لصالحه ، فتجرى الأمور فيها
على نظام رائع بـنع ، زاد من روعده وإبداعه أنه كان متكرراً بانتظام وفي
دقة عجيبة على مر السنين والأعوام .

وهو نجى مبلغ تكامل عناصر البيئة في ظاهره أخرى غير الزراعه . ذلك
أن السن كان يجرى من الجنوب إلى الشمال ، فندفع تباره الميث في ذلك
الوجه ، على حين كانت الريح السائدة في مصر تلى من الشمال إلى الجنوب
ملائ أسرع ذلك الفتى ولعينها على التصعيد ضد التيار . وهكذا أصبح يجرى
من شرقاً للمواصلات واسجاره بين الدلتا والصعيد . ولو أن النهر كان
يسير من الشمال إلى الجنوب ، أو لو أن الريح السائدة في مصر كانت تلى
من الجنوب إلى الشمال ، لما استطاعت مصر أن تستكمل أسباب وحدتها
في ذلك العهد السحيق ، غداً ما اتصل أهل الجنوب بأهل الشمال ، وسبق
مصر غيرها من الأمم ، فظهرت موحده أيام الميث نارسر (مينا) منسى الأسره
برعونيه الأولى قبل الميلاد بأثنين وثلاثين قرناً أو تزيد من الزمان .

يمثل هذه المفومات جمعاً نشأت المدنية في مصر ، وكانت نشأتها قديمة
بأبعد ما يكون القدم في الحياه الزراعيه المستقره . . . بل يمثل هذه
الأسباب جمعاً سبق مصر غيرها من الأوطان في الحياه المنمونه ،
في مطايعر الحضاره بمعناها الأوسع الأعم . وعندما وجد نارسر وحده
هذه المقعر الأسين ، وخرج على الناس بمصر التاريخيه ، لم يكن ذلك

« بداية » عهد جديد كما كان المؤرخون يترقبون في وقت من الأوقات ؛
 وإنما كان في الواقع « نهاية » عهد طويل من التطور البطيء
 في مصر ؛ ذلك التطور الذي أخذت دراسة عصر ما قبل التاريخ
 تكشف عنه رويداً رويداً في هذه العقود الأخيرة من السنين
 زاد الكشف عن معالم هذا العصر برزت أساساً عظمة هذه البيئة
 السخية ، وهذا الشعب الذي عاش فيها ووضع أسس المدنية والحضارة
 في حياتنا التاريخية ، وكان في جهاده وكفاحه مهتدياً بدينه ، مستجيباً
 لمتطلباتها ودوافعها الظاهرة والخفية ، حتى غدا شعباً عظيماً منصباً
 متكافئاً منظم لجهود موحدة الغايات ؛ فكانت لضعفه في خديسه ،
 وبارك الله في جهوده ، حتى ازدهرت به الحياة وارتفعت على يديه
 المندم ، وطبعت مصر العظيمة على العالم بأنهم الحصاراء سارحة
 وغدت منذ ذاك بحق كنانة الله في أرضه .

سليمان مزين

في الأدب الجاهلي

صور من صحراء نجد

نجد الصبيغة الرسامين تصور مخلقه يخشرون منها ما يمكن أن يحمله فهم ،
وبودعوه حساسهم . ويختلف اختيارهم لسمات الصور باختلاف الفنان ويبنته
وسرسته . ولكن صوراً ببعض من صور الصبيغة تمتاز بأنها كانت على مرّ
العصور مصدراً إلهام الفنانين جميعاً في كل قطر وكل بيئة وكل عصر . ذلك أن
عنده الصور استأزت بسبب من الحماة والقدرة على التعبير ، تجارها به غيرها ،
تخبر ودر اختارها ، وتوددت على مرّ العصور توديات مختلفة وميل
برداها . فلتد قصص صور الشمس عاربة على أية صورة أو أي وضع من
أوضاعها حتى عليها سارقه ، فاختار الفنانون مغرب الشمس في كل العصور
موضوعاً للرسم يختلفون في تفاصيله باختلاف ما يريهون منه من تعبير .
ومنهم من يترك الجمال في هذا التعبير ، ومنهم من يترك الحب ، ومنهم
من يترك الإنسان في إخراج الفكره ، أو إحياء الشعور الذي يريهون
أن يحسه الناظر إلى لوحاتهم . ولكنهم يتفقون جميعاً في أن الشمس واقتربها
من الأرض وخفوت ضوءها ، اتخذ أساساً أو مادة أولية كالألوان لتعبير .
وكان لهذا التحديد في الاختيار تحديد يسير في ما قد عُبر عنه . ولكن كان
اختلاف التفاصيل اختلاف كبير جداً في هذا الشكل الذي أريد به الصورة .
وفي عالم النحت ترى هذه الظاهرة أوضح منها في عالم الرسم لضيق دائره
حيز النظر ، بل لضيق دائره اختلاف تفاصيله أيضاً . فخذ مثلاً جسم
الإنسان عارياً : كم مره استعمل في النحت للتعبير عن مختلف الاحساسات
المعاني ، والأصل في ذلك لا يختلف بل إن التفاصيل مشتركة إلى حد بعيد ،
وكن مجرد الوضع أو الحركة هو الذي يختلف ، ومع ذلك استطاع النحاتون
أن يؤدوا بهذا الاختلاف اليسير مشات من المعاني والتعابير والاحساسات ،

بل إنهم لبأخذون أقوى أجراء هذا الجسم في القسرة على التعير ، وهو
 الوجه ويكثرون من نخته ، بل قد بأخذون وجه إنسان بعينه لوجه
 العذراء ، فيؤدون بهذا الوجه المعين أكثر من معنى وأثر من إحساس :
 فهذا وجه عذراء يمثل الضعف الانساني والاستسلام للقدر والخضوع لحكم الله
 الذي لا مرد لحكمه . وهذا وجه عذراء يمثل جسد والصبر والسعالي والأمل
 في انفراج الكرب ، وهكذا : والوجه واحد والملامح واحدة ، ولكن الاختلاف
 بسيطاً في الأبعاد والخطوط يؤدي إلى هذه النتائج القيمة في الفن . أما في
 الأدب فإن ميدان الاختلاف في تصوير الصورة الواحد أوسع وأرحل . ذلك
 أن الأدب فن لا يسمي بصبغه أن يصور الجسد ، وإنما هو تصور الجسد
 والحركة ، يصور لنا أجزاء الصورة مفردة كل منها على حدة ، ولا يمكن
 أن يعطينا الصورة كاملة بكل تفاصيلها في دفعة واحدة . لذلك كانت القصيدة
 في تصوير الصور حرة في الأدب لا تنقيت تقيداً لازماً موحياً بالجمال والانسجام
 أو حتى بالواقع في بعض الأحيان ، وإنما يكفي فيها أن تكون مناسبة مستطرفة
 تؤدي إلى غايتها فتصور الحياة والحركة . ومن هنا كان السبب في رسم
 الصور الأدبية يكاد يكون مستحيلاً . فإذا كان كل رسم أو مقال مستطرفة
 أن يحمل الصورة الواحد محدود معنى يخفف عن غيره وإحساساً يشار إليه
 سواء فإن الشاعر لا يستطيع مهما دقق في التمثل أن يرسم صورة على نفس
 الوجه الذي يرسمها به غيره . نصبغة الكلام وما يدل على كل كلمة . . .
 وتحديد تمنع من أن يكون هناك تكرار في الصور الأدبية . بل إننا إذا
 استطعنا أن نجد لكل كلمة مرادفاً فإنه لا يمكننا أن نوجد بين هذه المرادفات
 ما بين الكلمات الأصلية من تناسب وناسق . فإذا وجدنا صوراً في الأدب
 تتكرر في ظاهرها ثم أعيننا انظر في تحليلها ، وجدنا أن هذه
 التكرار غير موجود ، ولكننا نعلم إلى هذا التحليل فنخرج بنتائج خصة .
 إذ نجدناه وسيلة لتميز الصور الأدبية الحقة من الصور الزائفة ، أي أن
 الصور الجيدة في ميزان استمداد الأدبي من الصور لرديفة التي لا تصح
 لأن تكون أدباً . ونخرج بنتائج خصة حقاً إذا نحن عمدنا إلى هذا التحليل ،
 لنرى الفرق بين تصويرين أدبيين متمازين لنفطر بعينه .
 فلعل تمييز الجيد من الردي من هذه الصور سهل مبسوط ؛ لأن السمة

الشمس وسمو اسماذ في الصورة المفسدة تنبذاً فاحشاً سير في سيرة ما
أول وعمله إذا ما بدأنا بدقي أو متى ستمع إلى وصف الشاعر . ولكن
مع الاختلاف المتاحيل وما يضمه هذا الاختلاف البسيط من أثر في الصورة
عامة ، ومن عون على الخروج بالصورة الجديدة للمنظر نفسه إلى مصاف
بصور الأدب الحالية أصعب ، ونعمه أسس بالدراسة الثنية ، وأجدي في
نصل إليه من نتائج .

وهذه صورة من صحراء نجد كثر تردادها في الشعر العربي الجاهلي ،
وكان لكل ترداد نم خاص ، ولكل إخراج وقع جديد على النفس . هذه
صورة الخمر الوحشي كما رسمه لبيد في معلقته ، وكما رسمه أبو ذؤيب في
قصيده المعروف « أمن السون وزيبه نتوجع » . فليكن أراد كل من الشعراء
أن يصور حياة هذا الحيوان في صحرائه ، ليؤدى بهت الصورة غرضاً خاصاً
في قصيدته . أما لبيد فقد أراد أن يصف سرعة ناقته التي سبقته برؤوسها
لبانة من تعرض وصلة ، فان جفت نوار فهو خليف بأن يقطع أسياح
المودة ، وفي ركوب الناقة وفي مغامرات السرعة في الصحراء تسرية
سوى . وأما أبو ذؤيب فهو يريد أن يرسل على أن لا شيء يبني على
حادثات الدهر . لقد مات بنوه وخلفوه يائساً حزيناً يعاني حسرات الفراق
والسب الموت ، ولكن كل حي يموت . وبالاختلاف هذا الغرض المحتجب
بصورة الصورة . لا لأن الشاعر أحده نفسه يرسم التناصیل على نحو معين
حسب ، ولكن لأن الشاعر نفسه كان يرى هذه التناصیل على هذا النحو
حده أمره بالصورة . أما لبيد فكان يرى الحمار محباً غيوراً ، لأنه كان
من الحب والغيرة . فلماذا انفرد الحمار بزوجه على ربوه ؟ فان لبيد يرى
أنه أفردا غيرة عليها ، وحرصاً على أن يستأثر بها وحده . وإذا حياة
حب التي يحياها لبيد مع نوار يعكس ظلالها على حيوان الصحراء مملوفاً
وهو وفماً وغرماً وحياً وبنافساً وفوراً . وأما أبو ذؤيب فقد كان حائته
سبه تخلف كل الاختلاف : كان حزيناً يرى ما حوله في ظلال سوداء
من حزن والأسى والارتياع من هذا المصير المحتوم ، هذا الموت الذي
يتر على الإنسان ألا يستصعب له مرداً . والموت لا يحس إلا إذا أحسست
حياه من قبله ، وهذا حمار أبي ذؤيب يمثل الحياه بكل ما فيها من نشاط

وحياة . هو حمار صاخب الشوارب ، يصيح كالسبع من قرط ما يحس من فتوة . وهو يظهر لنا ومع من الزوجات أربع ، يأكل ما شاء من المرعى المنبسط أمامه ، مرعى خصب وافر الخصوبة ، فإذا شبع فهو يذهب مع زوجته عاضاً هازلاً وجاداً . وهنا يكتفى أبو ذؤيب بتصوير الحياة والحياة ، ويريد إكمال صورته عن الحياة كما هي . وكذلك ليبدى أن يسائر حماره في حياته العادية . فالشتاء يفرد الحارين وما معهما فرق الربوة ويفرض عليها قوتاً رطباً يغنيها عن الماء . ولكن الصيف يأتي ، والحر تعاني العطش وشدته . والحر يشتد ، ولابد من تغيير المكان الناساء . ويعبر المكان في حيد الخوان عند السعراء القديس نهر الأحواض والأحجار . وشاعون حماره يرى أن لا بد من أن يسرع نحو الماء . وفي عر الاندفاع كما في مفارده الأولى يروحه حسب ارتباب في أرض فرجة لتصوير السرعة . بل لعل هذه الفرصة خير من سابقتها ؛ فهو عطش قد يسد به العطش ، وسكنه يروى أن يحافظ على روجه وأن يسائر بها . وهنا يفيد ليبدى من الفرصة فيصف سرعتها وفي هذا الاندفاع نحو الماء واعبر الذي يثريه من سده العدو . ويزيد في سرعته أن الأمان يروى أن نفس منه وهو يلاحقها لا يعبا بسوك الأرض . وأخيراً حصلنا إلى الماء .

أما الطريق إلى الماء عند أبي ذؤيب فهو ثانوى في صورته . ولكن الحياة بين هذه الأبن وحمارها هامة ؛ فهي تحمى به من احقر ، ويسير معه بجمعته ومتارفة كقداح الميسر ، والحمار حاسبها يديرها كنف ماء ، ويد الحمار يصل إلى الماء ونجم العمود يرفقه هو وأسد . فانظر إلى هذه الأسارة النافذة إلى نجم العمود من فوقها ؛ فهو عين القدر التي ترفق لحاء والأحواض تستفد فيها أحكامه في دمة وصبر وؤده . بل إن الشاعر لبسبه السجدة بترائب اللعب في الميسر . وكأنما الأحباء في الدنيا مداح يسيرها في اللعب أفواها ، ولكن القدر هو الذى يوعى تنفيذ الأحكام اللعب فيها .

وهنا تعود الصورتان إلى الشابه القريب ، فالماء عذب ، والحمر تشرب أعناقيها لتشرب حتى ترتوى . أما ليبدى فقد استوفى غرضه من الصورة . ووصف السرعة مرتين ، كانت الثانية فيهما أقوى وأدق ، وهو يريد الآن أن

حجم وحيد ، وانه يمدد تنظر جميل يحسن أن يقف عنده . وهو . . . يحجب
جمال . . . يهدده عيدان القصب قد أحنّت الريح معها . . . الأرض
تسبح . . . والآخر قائم يمد ظله على الماء من تحته . وأما أبو ذؤيب
فقد انبى من المقدمة ليس غير ، وهو يريدنا الآن أن تؤدي غرضها الأصلي .
إن سر الحياة لا يدوم ، والموت آت لا ريب فيه . فإذا ارتوت الحمر فقد
زال سر . وسكر الضر الأكبر ينتظرها ، وإذا برىب قرع يترع . وإذا
سبحر شبر . وإذا أسهمه يرى بها ، وإذا الحمر خائفة قد اضطربت
واحسد فم ينجها اضطرابها ولا احتاؤها ، ولم يغن حاميها عنها شيئاً أمام
الموت كما كان يفعل في الجوع والعطش . وإذا الغنح يحبب بالسكنة
خرج سها . وإذا . . . الآخر بورع الخوف بالعدل والغسوس ، فسبحر من
الحمر ما يتعثر ، ويفرمها ما يفر . ولكن الحمار يحور الصورة وأس الحياة
فيها يموت . وهل يبقى على أحداث الدهر شيء ؟

وإذا كانت صورة الحمار عند حسين الساعريين رث شيئاً من هذه المشابهة
والاختلاف في صور ، وبسببها من اختلاف جوهرى في الصورة العامة .
وإذا هي سقى بأثر فى غير مدى لطفى به الأخرى . فإن الصورة مشابهة
في نفس تقسيمه عند كل من الشاعرين تماماً مماثلة أخرى طريفة من
المشابهة والاختلاف ، لهذا أبرز في بيان ما هذه الصورة الشعرية حاله
من جمال . وهذا الاحراج انتهى الذى يخرجها عليه الشاعر من أثر في
أحداث الأثر الفنى المطلوب .

هذا ليد يختار لوصف سرعة ناقته مره أخرى بقرة وحشية على حين يختار
أبو ذؤيب لتقرير واقع الموت ثوراً وحشياً . ويجرد هذا الاختلاف سبب ،
فالأول يصف حياته العاطفية ، والأنى أليق بأن تحمّل هذه العواطف
وسكشفت عنها . إن ناقته المسرعه تشاركه في الألم لفراق من أحب . فهي
تسرع وها من وحيب قلبها مما يعنيه من ألم نفساني حافر إلى الزيادة من
سرعتها . على حين يريد أبو ذؤيب الثور التابت الصبور القوي المدرب ذا القرنين
الحادين ليقول إن هذه الضخامة وهذه المرانة لم تجديا عليه شيئاً ولم تغنيا عنه
فئلا يوم أراد الموت أن ينزل به ، وهكذا تستمر الصورة من وحي حال
الشاعر انفسية لتؤدي غرضها الفنى التميز . فالبقرة عند لبيد قد فقدت

وبدها فهي ليحجب عنه لاهته متعبه ود جف ضرعها من البأس ، وانقضت الأيام وانصرمت الأيام ، وهي لا تعرف ليلها نهاراً ، والصحراء بجدها تعرف أين هي أسلاكه . وسكن انصر منزل عديها أثناء بحرها ، ثم تنهر ببلجتها إلى شجرة ضخمة تحمي فيها ، وقد ازدادت فمزاج قلبها من الخوف . وانصر بجمع ظهرها ، فادا شو كجبهه البحري وسط دما الليل الدامس خالك . وينفس النجر ويتمطي شعاعه استعداداً بصباح ، فادا الفجر قول أزلها عن الترى . ثم يسترجع احنين ونوفين بلهاس ، ولكنه رز الأنيس يروحها . وسنى ظهر الانسان في حياه الحيوان الوحشي فهو عنوان السر وبشاره الموت . وإد البهره تعدو وأى عدو! عدو من نوترت أعصابها من خوف وحزن وأم ، فهي سرهته قافزه تعرف أنها مقدمه على معركة الحياه أو الموت إن لم يستصع أن تنجو بنفسها . وهما فعله الصوره عند ليلها هذا هو أصلها وأساسها . وب حوه من مضر كان أدله لا برزه . ولكن الكلاب سحنتها . إذن لقد انتهى العدو وبدأت المعركه . أكلت المعركه هدمه تامسيه إليه ؟ كلاب ! إنها نفيه ثابته ، فقد استكمل صورته وهو لا يريد لأن أكر من أن ينهب . والكلاب تصدى لبقرة وهي منهوثة متعبه . أعلم الكلاب أم تتغيب هي عليها ؟ حتى هذه السيجة لا تهم أصلاً . ومضت ليلها هذا الخمر الأخير ففضاباً قد يراه السامع لأول وعده غير ملائم لما سبق من تفصيل في وصف الحال النفسية ، وما تقود إليه من سرعة . ولكن هذا التفصيل كان هو الأساس . وأما المعركه وسيجتها فلا يمكن أن يستعمل في الغرض الأصلي . أما أبو ذؤيب فالمعركه عنده كل شيء ، هي الدليل الشعري على أن محاربه النمر لا تغنى ، وعلى أن الجهاد لا يندود عن الانسان حكم الموت ولا يعبره . لذلك يحذر الثور عند أبي ذؤيب فطم البهيان ، دائم الحذر والخوف من وط احتياطه وخبرته ، مترصد لكلاب الصيد يرقب مقسمها . ولكن الرياح تهب والمطر ينزل عليه . وبأوى هو أيضاً إلى سجره ضخمة يحتمي بها ، وب أصلاعه قوب هنع ، لا من يأس على نفسه . ولكن من ارتباب لما سحى . وهو يرمى بعنيه العيوب ، وطرفه مغص يرى بل يصدق ما سمعه الأذن من شدة الخوف . ومع خيوط النجر الأولى ينفذ المطر من على ظهره يسمع صوت الكلاب وصاحبها . والكلاب عنصر عدم في الصوره ، لذلك يصحبها

نو دؤيب ، ممها ذئب أدمع . وهو نصف مقسمها . ويصف كتم يجتمعها صاحب ، حتى لا يحم على السور فرادى منهزم . وإذا الكلاب تسد عليه القريب . ويعدو ، ولكن العدو لا يهم أى دؤيب فهى تصل إليه ، بل إنها أخذت نهس لحده ، وبدأت معركة الحياة أو الموت . وإذا قرنه وهو سلاحه القوى يظهر فى لمدان ، وقرنه حاد ومرانته فى استعماله ضويله ، فهو يحتال على الكلاب حتى يصيها . وعمر دمسها من قرنيه فيشبهان حديد الشواء يقطر منه دم اللحم . وازندت عنه الكلاب صرسي ، أو حائنه هاربة . فهل نجا بذلك من الموت ؟ إن كل شئ يقول نعم ، ولكن القدر يقول لا . وإذا صاحب الكلاب يظهر على اسرح ويبدد السهام . والسهام لا ينفع فيها من الثور ولا مرانته وهو متعب مسكين . والسهم ينفذ والنور يهوى كخجل الضخم تهتز الأرض لكبوته . وهل يبقى على أحداث الدهر شئ ؟

وهكذا سبى صوره أى دؤيب الثانية يريد بها أن يسر برهانه على ماء اندسا خطوة أخرى . فى الصورة الأولى موت يحيى ، وفى الثانية موت يحيى ، أثر حياء موثق فى ظاهره خائب بحكم الأمدار . ثم ينتقل إلى الصورة الثالثة التى تسير بهذا البرهان خطوة ثالثة ، ولكنها لا تمم إلى الطبيعة ولا إلى الصحراء بشئ .

أما انقراءه الأولى للقاصدين فإنها تقول لنا إن صوره الخمار وصوره الثور كسبهما عند الساعرين سواء ، وهى صور ألف الشعراء أن يتزعروها من صحرائهم ليحتملوا بها شعرهم ، ويعبروا بها معانهم . ولكن الامعان فى هذه الصور ومحاولة لمح الاختلاف والتشابه ترىنا أن الصحراء والحيوان ، والمصر والماء ، والكلاب والشجر ، كل هذه أدوات كالألوان فى يد الرسام ، كل فنن يقول بها شيئاً ويضرب بها نغماً قد ينطق فى ظاهره ولكنه فى الحقيقة مختلف كل الاختلاف ، يحدث فى النفس آثاراً قنبه قد لا ننص من فرسب ولا حتى من بعيد إلا بخيوط رفيعه دقيقه بصله الشبه أو القربه ، كما يحصل كل لوحة تمثل وجه الانسان أو جسمه أو كل تمثال يمثلهم بصله التشابه والقربى .

نهار و لیل

بودی لو آنحض والنهار باسم
فألح إلى عجائب فأستملی
لكنی أخو العجز
لا أزال ظلاً للنعاس المشائب
فلو اندفع النور لفتك بالأشواق

ذات مساء إلى وليجة نفسي تحدّرت
— بدوة من بدوات —

هل أردت تصفّح البستان لا تمر فيه ولا زهر ؟
تحدّرت وما استطعت الصعود
لوجهی صرغنی هول[ۛ] ما دریت[ۛ] ما يكون

الحب وحده كان يقوى أن يسعفني فأصعد
لكنه جاء من يعد ، من عل ، من مغيب البعد
أقبل عاجلاً مترعاً بالضوء . فيض[ۛ] غير مستحق[ۛ] !
شدّ ما فتنني فذوّبته في خاطري

وفي الخاطر ظلمنا روحاً لصق روح
كلانا جاثم مخنق

هل كان في وسعي أن أدرك
قبل أن أغفو وأذهب في الغفوة
— ياله من سباتٍ لطيفٍ في ضميره خِصْبٍ ونشاط —
هل كان في وسعي أن أحلُم باليقظة الناعمة
بالأعجوبة يعانقها النور ؟

في البدء داخل الليل نهاري وأسرف
فعلتُ العَمَل

ولكنني أصررت على التبصّر
أصرُّ

والآن الآن أذكر كيف لثقت العتمة خاطري
يا ظلمة ! يا ظلمة تُجْرى الخوارق في وليجة نفس
يا ظلمة أصبحت منبت مصيرٍ محيّرٍ مصيري الوهاج .
بشر فارسي

ابن الخطيب

سياسي وشاعر وفيلسوف

كان ابن الخطيب أعظم شخصيه ظهرت بالأندلس في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وكان عشريه متعدده النواحي : فهو طبيب وفيلسوف ، وهو كاتب وشاعر من الصراز الأول ، وهو مؤرخ بارع . وهو أخيراً وزير وسياسي ثاقب النظر قوى الادراك .

وهو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب ؛ ولد في لوسه من أعمال غرناطة في بيت من أكرم بيوت الأندلس في رحمت سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) ثم انتقل بهم إلى غرناطة ، وخدم أبوه عبد الله في القصر والخاص في عهد السلطان يوسف أبي الحجاج . وتلقى ابن الخطيب دراسته حسبه ، ودرس الطب والفلسفه والتفه والأدب ، وبرز في الشعر والنثر . حدثته . ولم توفى أبوه في سنة ٧٤١ هـ حل مكانه في خدمه القصر وهو في غنوانه . وتولى أمانه السر للوزير أبي الحسن بن الحبيب وزير السدس يوسف ، وكان من أعظم الكساب والسعراء في عصره . ولم توفى ابن الخطيب في لوباء كبير سنة ٧٤٩ هـ خلفه ابن الخطيب في الوزارة والكتابه إلى حد كبير الوزراء يومئذ الحاجب أبي النعيم رضوان . ولم توفى السلطان أبو الحجاج يوسف (٧٥٥ هـ) وخلفه في البيت والده محمد الغني بالله ، استمر الحاجب يومئذ في الاصطلاح برئاسة الوزارة . واستمر ابن الخطيب معاوناً له ، ونائباً للوصاية على الأمراء القصر ، وأرسله السلطان لأول ولاية سفيراً إلى السلطان أبي عثمان النميري سلطان المغرب على رأس وفد من رجال الأندلس يستنصره ويستغيبه على مقاومه بيت فشتالة . وأثناء ابن الخطيب بين يدي السلطان قصيده مضممة :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنه كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر

فنازل اسطوان لفصيده أيماء مار ، وودهم بجايه مدمهم ربحيق مطالبهم .

وفي سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) نشبت ثورة في غرناطة قتل فيها الحاجب رسوان وأنسى العنى بالله عن الله ، وتوى مكانه أخوه سماعيل فترأت ، نى أثر ، واعتقل ابن الخطيب بعد ذلك قليل . ويصف لنا ابن الحقيب فى ترجمته نفسه فى كتاب « الاحاطة » هذه المراحل الأولى من حياته العامة فى قوله : « فقدنى السلطان سره (يريد أبا الحجاج) وكما يستكمل السباب يستعملنى فى السفارة إلى الملوك واستأخى بهار ملكه ، ورمى إلى بختائه ومدم ، واثمتنى على صون حضرته وبيت ماله وسجوف حرره ومقل استناعه . ثم هلك السلطان ضاعف ولده حضوق ، وأعلى مجسى وقصر السوره سى نسحى ، إلى أن كانت الكائنة فانقدى فى أخوه المتغلب على الأمر ، فسحل لأحصاص وغتد القلاده ، ثم منه أهل انشحناء من أعوان نوره على لقبض على ، فكان ذلك . »

وتدخل السلطان أبو مام الحرسى ملك المغرب فى شأن السندان المخلوع عنى بالله ، ولأن تربطه معه موده وصدافه مذ كان أيام محمده يلوذ بحبيبه مريضة ، وأرسل إلى ملك غرناطة الخبير سذيراً يطالب أجازة العنى بالله ليريه المعتل إلى المغرب ، فأجابه السلطان اسماعيل إلى مطلبه : وجاز عنى بالله وابن الخطيب إلى المغرب (المحرم ٧٦١ هـ) واستقبلهما السلطان أرسام فى فاس بمرحاب ، واحتفل بتدويمهما فى يوم مشهور ، وأشبهه ابن الخطيب فى الحفل فصيده المسهورة التى يسعوه فيها لنصره سديانه ، وهذا مطلعها :

سلا هل لسيها من مخبره ذكر	وهل أعشيب الوادى وهم به الزهر
ومن باكر الوسمى داراً على اللوى	عفت آيها إلا التوهم والذكر
نرى التى عاطيب مشموله الهوى	بآكناتها وادعيش فينان مخضر
وجوى الذى ربي جناحي وكره	فهانذا مالى جناح ولا وكر

وكان لانشاء ابن الخطيب فى السامعين أعظم وقع ، ويقول لنا ابن خلدون وقد كان من شهود ذلك الحفل : إن ابن الخطيب أبكى سامعيه نأزراً وأسى .

وكان هذا أول ما بين هذين المنكرين العظيمين الذين يجمع بينهما مشاهد
عديدة ، فقد كان كلاهما أستاذة في السكر والكسبه ، وقد حاضرا كلاهما
نفس الحياة السياسية المضطربة ، وأخذ بقسط بارز في حوادث عصره وفي
سوءه مؤثمة ، وكان من خدوشه سعل في دول مغرب نفس امراة ربي
سنة ان الخطيب بالاندلس ، وقد استأثر في المغرب بزعامه المنكر
والكسبه التي ساء بها ابن الخطيب بالاندلس ، ووثقت بين المنكرين
معضمين مدى حين أوامر المؤددة واصدء ، ثم فرقت بينهما عوامل اعبء
والسفس حتى عثر ابن خلدون بعد ذلك إلى الأندلس ، وانصل بسفهم
الغنى بالله ، وكان كل منهما يفسر صاحبه وتعل مواهبه ، وقد ترجمه كلاهما
صاحبه ، بما سمع عن هذا الشهير والاحلال ، فسول لنا من خلدون مث
في ترجمه لابن خنيسب إليه ، ألمع في الشعر والفرسل حيث لم يجري فيها
وبلاؤه بمذائحه وانسرب في الأفق السماء ، ثم سوءه بعد ذلك برود
رسائله السلطانية وبراعته في الادارة والحكم (١) .

ويصف لنا الأمير الأديب أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر معاصر ابن
الخطيب خلاله ومواهبه في تلك العبارات الرنانة :

هو ساعر الدنيا وعلم الرد واشتبا ، وكاب الأرض في يوم عرس
لا يدافع مسحه في الكتب ولا يبيع فده إلى العتب ، أحر من مد
في الماضي ، وهو نميس العدوس ورئيس الدوتيس ، بالاضلاع على العلوم العتد
والامسح بالفهوم الثغيبه ، ثم شير بعد ذلك إلى فسوده في اهباء ، وير
كونه قد هجا ابن عمه سلطان الأندلس بما لا يليق ويحمل (٢) .

وأندى ابن الخطيب ومبيكه في المنى زهاء عامين ونصف عام حتى مهت
حوادث الأندلس لسقوط المقتصب ، واستطاع الغنى بالله بمعاونه الوزير
المقتصب على العرب أن يسترد ملكه ، وذلك في جمادى الآخر سنة ٧٣٣ هـ
(١٣٦١ م) ، ورد السطصان وزيره ابن الخطيب إلى سابق مكنته في
اوزارة ، ولكنه لم ينعم تلك المدة بسابق حظوته ونفوذه ، إذ كان يقاسه

(١) كتاب المبرج ٧ ص ٣٣٢ وما بعدها وراجع كتابي ابن خلدون ص ٣٦ - ٣٩

(٢) راجع فتح الطيب ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ .

في سنة ٧٦٤ هـ ، فتح الغزاة عثمان بن يحيى الذي قربه السلطان وأولاه عطفه لما قام به من معاونته في استرداد ملكه . واشتدت بين الرجلين منافسة شديدة ، وادخل ابن الخطيب عرض سبستان ويجدر من شدة شغل والده ، وورد له . حتى استجاب السلطان إلى تحريضه ونكبهم (رمضان سنة ٧٦٤ هـ) وبذا خلا له الجو ، وتبوأ ذروة النفوذ والسلطان .

برحمتنا ابن الخطيب جهوده وعمله في الوزارة يومئذ في قوله : « ثم عرفت اسكر إلى بناء الزاوية والمسجد واستمر بكرة لحساب هذه الخسرة من ياحزيرة من سيف من لمة ، فأبى بركة الله تعالى من صلاح السلطان . وسعى احسنه والأمن ، وروى شغور ، ونشر الجباية وانصف الخماة والمنافسة . وبمرجه ملوك الفدوة ، في إظهار المصلحة السنية ، واستمر بكرة من استعان بترقيهم سم اشوره وإصلاح بواطن اتحاده والعمه . . . (١) » غير أن معظم الروايات بدل من جهة أخرى على أن ابن الخطيب حنح حسنة إلى الاستعداد وسوء الميث والسيرة . وإليك كيف وصف صديقه ومعلمه ابن خلدون هذه المرحلة من حياته : « وغضب على هوى استعصان ودفع إليه تدبير الدولة ، وخلق بنة بنسائه وأهل حكومته ، وانزاد ابن الحبيب باحس وانعد ، وانصرف إليه النوجوه ، وغلقت به الآمال ، وغشى بابه الحاصد واسكافه ، ونصب به بظانه السلطان وحاسيته ، ففتنتوا في السعاية فيه (٢) » .

وأنتى ابن الحبيب بضعه أعوام أخرى في الوزارة وهو يسار بكل منطه ، وينصرف تصرف الحاتم المصطفى ، ونشر حوله ضراما من البغضاء والحسد . وكان السلطان يعرض في البداية عن الاصفاء لأعدائه والوساة به . ولكنه بدأ في النهاية بتأثر بسعائتهم . وشعر ابن الخطيب أنه قد بدأ بغير عليه ، وحسى العاقبة ، فعول على معادره الأندلس واستأذن السلطان في تفقد الشغور الغربية ، وسار إليها في نفر من خاصه . وسعد ولده على ، وما كاد يصل إلى جبل الفتح حتى عبر البحر إلى سبتة (٧٧٣ هـ) وذلك منهم سابق بينه وبين السلطان عبد العزيز المريني ملك المغرب ، وكان السلطان

نقم سوشه في المدينه بقصد إسبا ابن الخطيب ، واسببه اسفلن بحدوده
وأزله أدرم منزل ، وبعد سيرا إلى الأساس بسعي في اسفاده أسره
الوزير المنفى ، فأنى بها معززة بكرمه ، وتبوا ابن الخطيب في بلاط ملك
المغرب أسى مكته . وغنى خصومه ابن الخطيب بعرباطه شجده على هد
النحو ، فعولوا على ملاحقه وجنى حبه ، فانهضوا بالريده والخروج عن
شريعة الاسلام والظمن في النبي ، والقول بالحلول ، وسلوك مذهب
السلاسه للمحدثين ، ونسوا إليه في ذلك ثوالا وغلات أولوها وفي
مقاصدهم . وكان يديده وحله في انواره أبو عبد الله بن زمرق ألب
مروج هذه الدعويه . ويولى صوغ الامهات سدو ابن الخطيب انقاصى
أبو الحسن بن الحسن الباعى . ووجه إسه بالمغرب رساله بديده سوه فيها
بما اربكه من ظمن في حى اننى ويولى : « فيه نس حكم في هذا باب
أشياء منكزه يكبر في النفوس التكلم بها أتم بعسوها ، وعى اى زرع
في القلوب ما زرع من بغصكه وإسار بعنكم مع سسعار السخفه ولوجل
من وجه آخر عليكم .. ولولا أنكم سافركم قبل مناه اسفقه عنكم سكب
الأمه سسده امعاضه لسينها وديدها قد يوزن هذه حياه انصب حى
مكم . ، سم بعدد مثليه في احكمه تاللا : « فليس سم أنه صدر سكم من
العب في لا بشر والأمول ، وعك الأعراض وإسه الأسرار ، وأسب
الأسرار ، واستهل المكر والحسن ، والقدري في طالب الأول لسرب
والشروف والحادم والمكرم (١) ، وسجل اساضى أبو الحسن هذه التريده على
ابن الخطيب وصادق اسفلن على حكمه ، وأرسل القاضى رساله إلى السلطان
عبد العزيز بطائب بمنه حكم اسرع في لوزير الملحد ، وهو لاعدام .
فألف السلطان لضبه وعنف رسل الأناس وقال لهم : هلا أنده فيه حكم
السرع ويهو عندهم وأنتم عناون بما كان عليه : وردعم خائبين ، وزاد في
اكرام ابن الخطيب ورعايته (٢) .

وبما توفى السلطان عبد العزيز بعد ذلك بلسل (٧٧٤ هـ) وخذنه ولده

(١) فتح الطيب ج ٣ ص ٦٨ .

(٢) راجع ابن خلدون ج ٧ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ وفتح الطيب ج ٣ ص ٦٧ و ٦٨ .

السعيد صلاحى لعرش شادر بلاط المغرب تلمسان ، وسار ابن الخطيب برفقه
 الوزير بن بكر بن غازى الفاتح باندوله ، ونزل بناس وافنى الضياع والدور ،
 واستمر على مكانه فى السوله ، ولكن حوادث المغرب ما لبثت أن تمخضت عن
 انقلاب جديد ، ذلك أن السوره نشبت فى شمال المغرب على يد بعض الزعماء من
 بنى مرس ، وعضدت حكومة الأندلس هذه الحركه وأمدتها بالعون ، ونادى
 انوار سولابه الأمير أحمد بن السلطان أبى سالم ، وحاول الوزير ابن غازى
 مقاومه الثور فتم خلع ، وافتتح الحوارج فاس فأدعى الوزير ، وخُلع الملك النفل
 اسعيد ، وجلس السلطان أحمد على العرش وذلك فى أوائل سنة ٧٧٦ هـ .
 وكان ابن الخطيب قد جاء فى أثناء ذلك إلى البلد الجديد « ضاحيه فاس »
 وذلك الساعه . ثم سار السلطان ابن الأحمر وزعماء القضاة بشأن ابن خطيب
 ومصره . فلما وقع الانقلاب نادى السلطان بالقبض على ابن الخطيب واعتقاله ،
 سبباً للعهد الذى تصعد لاس الأحمر ، ومصر وزيره سليمان بن داود وقد كان
 من أعد خصومه ابن الخطيب جهداً فى تسديد السكين عليه وتدمير مصره ،
 وكان ابن الأحمر يسوق إلى الانتقام من وزيره السابق لما نعى إليه من أنه كان
 يحرض السلطان عبد العزى على محاربه . وبعث ابن الأحمر وزيره أبى عبد الله
 بن ربرك إلى فاس ليعمل على تحقيق هذه الغايه ، وعقد السلطان أحمد مجلساً
 من رجال الدوله وأهل اسورى واستسمى إليه ابن الخطيب شافيه ومواجهته
 باسمه المسويه إليه وأخصها بمعه الرافقه استناداً على ما ورد فى بعض رسائله ،
 وعزى وعذب أمام الملأ ، وأفى بعض الفقهاء السنله بوجوب منه ، ودس
 عليه الوزير سليمان بعض الأوسد فقتلوه خفياً فى سجنه ، وأخذت جثته فى الغد
 وأحرق فيها النار ثم دفنت . وكان ذلك فى أواخر سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) .
 وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير فحيمه الجباله والتعصب والاحقاد
 سياسيه الوضعيه . وقد نقل إلنا حقيقه ابن خلدون عنه ألياً من اشعر كان
 يردددها وهو فى سجنه ويرثى بها نفسه توقعاً لمصيره المحزن :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ولحن صموت
 وأنفاسنا سكنت دفعة كجهر صلاه تلام القنوت
 وكنا عظاما فصرنا عظاما وكنا نقوت فقها لحن قوت

وكان ابن الخطيب سياسياً بعيد النظر ، وكان يرى في حوادث الأندلس
سبح المستقبل الرهيب واضحاً ، ويستشف تناقض بصيرته ما وراء الحجب من
نهاية محبته لهذا الوطن الذي مزقته الأهواء وأفسد الفتنه ، وذن يرى هذا
المصير الحزن فيل وفعوه بأكثر من قرن ، ويهيب بقومه وإخوانه المسلمين
بما وراء البحر أن يبدروا إلى غووه ونصرته وإلى الجهاد في سبيل الدين
والوطن ، وله في ذلك رسائل عديدة ونداءات مؤثره يوجهها إلى قومه ،
ويلبظ نظرهم إلى الخطر الداهم الذي لا محيص من وقوعه ، وهي رسائل
تمتاز بروعة أسلوبها (١) .

وأبلغ من ذلك كله في الدلالة على شعور ابن الخطيب بخطر انقضاء الذي
ينتظر الأسلس ما وجهه في وصيته إلى أولاده من النصيح بعدم الاسراف
في انشاء العقارات بالأندلس إذ يقول لهم : « ومن ررف منكم ما لا بهذا الوطن
القيم انهاد الذي لا يصلح لغير جهاد . فلا تسهلكه أجمع في العقار فيصبح
عرضه للمذلة ولاحتقار ، وساعيا لنفسه أن يغلب العدو على بلده في الاضمح
والانقار ، ومعوقا عن الانتفال أمام النوب الثقال . وإذا دن ررو العبد على
المولى ، فالاجمال في الطلب أولى (٢) . »

ومن الصعب علينا أن نلم بمجهود ابن الخطيب الفكري والأدبي في هذا
انقضاء الضيق . والخليفة أن ابن الخطيب كان عبقرية متعددة الجوانب حسب
أسلفنا ، فكان طبيباً وفيلسوفاً وشاعراً وكاتباً ، وكان سياسياً ومؤرخاً ، وقد
ترك لك تراثاً ضخماً متنوعاً من مؤلفات عديدة وديوان شعر حافل ورسائل
أدبية وسياسية لا تحصى . .

ونستطيع أن نذكر من مؤلفات ابن الخطيب الكتب الآتية :

الاحاطة في أخبار غرناطة ، مركز الاحاطة بأدباء غرناطة ، الخلد
(بالأسكوريال) .

(١) نقل إليها المقرئ في نفح الطيب وزهار الرياض كثيراً من هذه المسائل .

(٢) نفح الطيب ج ٤ ص ٢٥٥ .

المنحة إيدريه في تاريخ الدولة النصرية . رقم الخلل في نظم الدول . الخلل
الموسى في الأخبار المراكشية . التاج الخلى في مساجلة القدر الخلى .
(وهو أيضاً تاريخ لغرناطة) .

منمنمة السائل في المرض الهائل . (وهو يتعلل بالوباء الكبير سنة ٧٤٩ هـ)
(بالأسكوريال) .

ريحانة الكتاب (بالأسكوريال) الديوان (بالأسكوريال) السحر والشعر .
الكتيبة الكائنة في أدباء المائة الثامنة (١) .

وكان ابن الخطيب من أئمة الموشحات الأندلسية . ومن أشهر نظمه الموشحة
الذائعة الصيت التي مطلعها :

جاءك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً في الكرى أو خلصة المختلس

ولابن الخطيب تراث حافل من الرسائل الأدبية والسياسية ، وقد نقل إلينا
المقرئ منها العدد الجهم ، ونقل إلينا ابن خلدون بعض ما كان يكتبه إليه منها (٢) .
ويفرد المقرئ في كسبه فتح الطبيب مجادين كاملين (هما اشالت
والرايع) لابن الخطيب . وأخباره وشعره وفنونه ، وسيوخته وتلاسيذه ، وقد
نقل إلينا فيهما من مختلف كتبه ورسائله قصوداً وسدوراً لا تحصى ، كما نقل
إلينا وصيته لأولاده ، وهي من أبدع ما كتب (٣) .

محمد عبد الله عثمان

(١) راجع كتاب العبر ج ٧ ص ٤٢١ — ٤٣٠ .

(٢) راجع كتاب فتح الطبيب ج ٤ ص ٣١٩ — ٤٢٦ .

(٣) راجع هذه التمهيد بأكملها في فتح الطبيب ج ٤ ص ١٩٨ وما بعدها .

هذا الانسان...

يستخدم المؤرخون الأوروبيون على تسميته العصور التي تقع بين ٥٠٠٠
و ١٠٠٠ للميلاد بالعصور المظلمة . ذلك لأن العقل البشري خبا وأبست
أن ينصف . فكأن أوروبا في ظلام الجهل لا ترى رؤيا العقل والأدب
والعلم . وبقى في عدا الضلام إلى بدايات القرن الحادى عشر حين بزغ النور
على أضعف ما يكون ، ولكنه ما زال يتجمع حتى انفجر في القرن
الخامس عشر .

فاذا انتقلنا من التاريخ البشرى إلى التاريخ البولوى وجدنا أيضا «عصوراً مظلمة». فقبل نحو ٧. أو ٨. مليون سنة عم العالم ضلام ، لأن الحية ، في الاعتبار البشرى ، قد أخفت وسدت على نفسها طريق الرق . ذلك أن الأحياء انتهت إلى أنواع من الحيوان يطلق عليها في أيامنا اسم الزواحف الكبرى . وكانت هذه الزواحف التي لا تزال هناك باقية في الخائف . بل كذلك بيضها ، نشبه إلى حد كبير الماسح والعصا والورن والسلاحف . ولكنها كانت في الحجم ترجح بين الخشب والفس . بل كانت تزيد أحيانا على الميل . وكانت تعيش في كل مكان في الغابات والأنهار والسهول والجبل والبحر . وقد غرخت لأسباب لا تزال مجهولة . ولم يبق منها ، بعد تطورات مختلفة جعلتها بعيدة عن الزواحف القديمة ، سوى تلك الزواحف الصغيرة والكثيرة في العدد . وهي لا تعد إلا بيت الحياه السرية ، مخبىء من الأحياء لأخرى ونحسب الامعاس . ويسعى في الضلام وتنحجر في النهار .

وعاش هذه الزواحف السكرى نحو ملايين أو أربعين مليون سنة .
ولأن الصور قد تجمد بها . ولأن أجساد الطبيعة نحو الانسان باتعداد العمل
قد انخرق ، فلم نعد الغاية نمو العقل ، بل أصبحت نمو الجسم .

ومن قبل ذلك بملايين السنين يجد سفور بمجاد لحشرات التي اجهت وجهه أعد ما تكون عدا ؛ اذ سمعت باغريزه تأملها من الشجر . حتى أن برحسون ، في برنحه غميمة مسرقة قال إن في احياء طرفين أحدهما صديق لغريزه ، و هو فتحة احسره إلى نهاسه ، والآخر طريق اعتدل ونحن البشر في طريقه لما نبليغ بهايه . وهو أن برحسون كان قد ساس نام لرواحف الكبرى لوصول إلى مثل هذا انقراض أيضا . ولكن احساره ، موسوعية « تحول وتجرب وبهد الأحياء الفاشلة ، وتحسن الوسائل الصغيرة لتجاربها الكبيرة .

والفراس الرواحف الكبرى مجال للحسن والتأمل . فلعلها اقترضت لأهل ذات سمرة احجيم علامته اثر كذب . ونحن نعرف أن اعينته السادس است . دون مناف من السر بعنقون أى لا يساندون . وانزل أكبر الأحياء على اليابسة لا يلد إلا مرة كل ٢٥ سنة . ولكن هذا التعليل لا يكفي ؛ لأنه كان ينبغي روافف في قدر الحبيب أو الحمار أو الفرس . وهناك من يقول بأن العير ملحق قد أبده ، أى إن الدنيا تروى جاد ودخبت في عصر جليسى . فلم تتحمل هذه الروافف انشاخ الجديد . ولكن هو بعد ؛ لأن السور كان أخرى بأن يستغنى بفراء أو ريش بدلا من أن يتركها لتعرض . وأخيرا هناك من يقول بأن اللبونات الجديدة كانت تأكل بيضها وتحول دون تناسلها . وهذا احس لا أكثر .

ولكن بعد نحو ٣ أو ٤ مليون سنة من هذا الكايوس الذى جرم على العالم فجاء أسراب مصر الجديد أو النهضة البيولوجية . فمن ناحية نجد السور ونس ناحية نجد اللبونات . وليس في أساسا ظهور دميته تحتوي متاثيرها على الأسماك ، ولكن قساها أو أحافيرها توجد في المناحف . أما اللبونات القديمة فلا يزال بعضها حيا حتى في أيامنا فمنها بيضى ولا نسد . ثم هي مع ذلك توضع أولادها بطريقة بدائية ؛ إذ يتساقط البصق ويخرج من شقوقه سائل دموى بهي سمحه الأطفال . وهذا هو الرضاع البدائي كما نراه في حيوازين هما البلاسيوس في استراليا والنمائل أو آكل الحمل في أمريكا الجنوبية .

وظهور اسفود هو خطوه كبيرة جدا في التصور ؛ لأن الاحساس عند الطائر اسفل من الأنف إلى العين . فالى ظهور الطيور كانت جميع الأحياء ، في البحر واليابسة ، تسعى للطعام والأشئ بالأف . ولكن سيدان الشم صغير

محدود . أما ميدان العين فيسبح إلى لآفاق ويزيد . لاحظنا والمقارنة
فيزيه الذكاء .

وحوالى ٣ مليون سنة قبل عصرنا نجد أميائ من الميونات اجديده يعيش
على اسنجر وتعتمد على عيونها . وهي مضمرة إلى ذلك غير محسوسة ؛ لأن
عجل للشم على السنجره صغير جدا . ولكن هذه الميونات - يمكن مسحها
بالرئس لكي يصير بالأجنحه وتسجوبندسها أو ننقل بها من سجره إلى أخرى .
ولذلك حناجت هذه الميونات اجديده إلى أن تعتمد في السقن على الأغصان
أو الانتقال من شجرة إلى أخرى على أيديها .

وأبعد إيماءه إلى أصله هو الليمور . وهو أنواع كثيرة تخلف أجسامها
من حجم أسار إلى حجم الثعلب . وهو حيوان ليبي يسعى في الظلام ثم يحس
وينبم في النهار . ولأنه ليبي جمع عينييه في وجهه مثل البومة التي تصيد
في الليل . ووجهه غير بصرى ؛ فإن أنفه يجمع بقمه في نغم بارز ، وسنمته
العليا مشقوقه ، ومنطقه أنفه وقمه رطبة كالقبر . وهو يسعمل يديه اللتين ،
لا الواحد للناول . وقد يتناول طعامه أجساماً بقمه . وهو من أقدم
الميونات كما يدل على ذلك أنه يعيش في شرق آسيا وشرق
إفريقيا (في مدغشقر) ولا يعيش فيما بينهما . أى إنه نشأ قبل الانفصال
الجيوولوجي بين هذين القاردين . هذا الانفصال الذي ينلأ ثغره الآن
الحيط الهندي .

وهذا الليمور هو إيماءه أولى للانسان . ولكن ما أحقره من إيماءه !
فإنه لا يزال يحتفظ بدنيه . ودكؤه نعل عن ذكاء الكلب . ونحه أسنجر
بلا نلاف .

وليس من شك في أننا نحن البشر قد قصصنا نكرة طويلة من تطورها على اسنجر
التي سبنا بها جهد أشد ما كنا لسكسها لو أننا نفعنا بالبقاء على المايسة . ذلك
أن اسنجر علمنا وعودنا السسقى باليد . فلم نعد يدانا للمسسى فقط بل صار
أنصاً للسلى . وبه المسسى نفسه نهأت اليدان بلاسك والساؤل . ثم تسب .
بمعدشه على اسنجر . الاعتناء على العين بدلا من الاعتماد على الأنف . فرد
وجدانا أى دراينا بالوسط الذي نعيش فيه . لأن الحيوان الذي يسعى بأسه
وسرشم بانسم ، لا بدرى إلا اسبقعه التي هو فوقها أو اتقبل ثما حولها .

ويكر احوان ادى نفعه على غصن اسجده أو يرفع إلى غصونهم العنسة يرى بمسده هذه السموات محقة بالشجرة . ونحن هنا كطير ، وكسائر على شجر من حيث إن أيدى الطير صارت أجنحة ، أما أيدينا بقيت للتساق ثم للتناول .

وإذا كان الليمور إيماء أولى ، فإن الطرسيز إيماء ثانية . فانه حيوان سقى مع الليمور من حيث إنه ليلي نالوم والسومة . لأنه نصيب في الغلام أو العنسة ، فخرج إلى أن تكون عنده في وجهه ، لا في صدغها كالحمامة أو السجاجة ؛ لأنها تحتاج إلى التميز الصحيح للشباح بعينين شين ترسان معاً . وليس الشأن كذلك في سائر الطيور النهارية التي ترى من واحد . ولا يد أننا قضينا فترة طويلة من طورنا ونحن نسعى في الليل على الشجر ، كما هو الشأن في السمور والطرسير . وهذه الفترة هي التي نبت عينينا في وجهها وغلقتهما من صدغها . فصرنا ننظر إلى الأشياء بعينين سراً كليمسكوييا ، أى إن الصورة التي سبقتها إحدى العينين تراجمها العين الأخرى ونصححها ونقل ظلالها . فتتجسم الرؤية . وهذا المنظر كليمسكوي هو ما طمع في تحقيقه هذه الأيام لمشغولون بالأفلام السينمائية . فهم يرغبون في تجسم الصور حتى لا تكون فتوغرافية فقط . وجمع حيوانات ، باستثناء القليل ، كالإنسان ولقردة العليا ، وطيور الليل ، ننظر صر الفتوغرافى بعين واحد في أحد الصدعين . فالرؤية عندها غير مجسمة ، أى غير متقنة .

ولكن حياتنا على الشجرة أكسبتنا ميزة أخرى لا تقل عن ميزة اعتماد على العين . أى على بعينين معاً ، دون الاعتماد على الأنف ، متى استخدم اليد للتناول . فان اسلم على الشجر يهي اليد والأصابع . ول ؛ لأننا نعلمنا من البعض على الغصن كيف نقبض بهد ذلك على ص أو الحجر ، وكيف تناول الثمرة باليد . وننقلها إلى شمس . ولا من أن نمد يدا إلى الثمرة . وساعدنا هذا على وضع جسمه لوجه اليسرى ؛ لأن الفكين ترجعا لوراء ورف الشفتين . فصار لنا وجه مستقيم عموديا ولا يبرز من الفك من أسفل . وساعدنا هذا بعد ذلك ، على أن نتخذ الوضع العمودى لأجسامنا بدلاً من الوضع الأفقى السائغ بين الحيوانات .

اعتبر مرة أخرى الميزات العديدة التي نلناها من حياة الشجر :

١ - إن عملاً أصبح عقل العين بدلاً من عقل الأنف ، عقل لأفنى
بعبءه والذرات الكثيرة . وما ركب تقول : ما رأيك لا يجب أن يبصر .
وهذا هو التفكير العيني .

٢ - اكتسبنا من الشجر استعمال اليد لتناول الطعام وغيره بدلاً من
استعمال الفم .

٣ - واكتسبنا أيضاً القامة العمودية ، وكان تسلقنا على الشجر هو
التدريب الأول لذلك .

٤ - واكتسبنا هذا الوجه البشرى الذي لا يعجز فيه الفكأن .

ولكن حياة الشجر علمتنا أيضاً أخلاقاً جديدة ، ما كنا لنصل إليها
لو أننا بقنا على أسسه . منها سبابة دأب ما صنعها أو هذه لأومسها
في ترميها لأدعاه مدة طويلة . وكذلك عتاد لأضال على الأم . وهذه
المدة الطويلة قد هيأت الفرصة للتربية .

ذلك أن سكنى أشجار نعر الصبور خصره على حيوان لبون لا يبصر .
هاجب الريح وضربت الغصون . أو إذا نسق شعبان وحاول أن يأكل
لصغار . وهي أخطر على الأضال الذين يجب أن تحرسهم الأم وماتت
أخفافه عليهم من اسقوط أو من عاذية الوحش . وهما المرحه بعصب
لنمو العقلى مدة الطفولة .

ونسطيع أن نصف الانسان منذ بدو به الأوى بأنه حيوان عسى .
لاحوان أنفى . وأند أيضاً حيوان عمودى لا حيوان أدنى ، وأنه أيضاً حيوان
يدوى .

واسكن هذه البدايات نجدها جمع في السمور الذى تنأى أصوبه .
ماض صحيح : برهاننا عليه إنه كان يعيش قبل الانفصال الجيولوجى بين
أفريقيا وأندونيسيا حيث لا يزال هو إلى الآن يقيم في هانين المطر :
مدغشقر وأندونيسيا .

ولكن هذه بدايات فقط في الأمور لأنها غير تامة : فإن عينيه . مشرب
التقارب البشرى . وهو لا يزال يمشى على أربع مع القمطرة على الأوتوف

. بسكن . فانه استند من السمور الى الطرسير . وهو حيوان يلى كاللوم .
 وحده سارب العيين . ووجدنا موزه أخرى هى أنه لا يمشى وسكنه يشب
 على راسه كما شب عن حين يكون مفدين . وهذا الوب قد استند به لأنه
 مل عبء الجسم من أصابع القدمين إلى راسيهما . فكانت القامة اعطوده .
 وظهر الطرسير . فى تجاربه البشرية الأولى . من أقل من ثلاثين مليون
 سنة . ولنا نحن هذا الطرسير نظر فى الظلام كاللوم وشب على راسه .
 «أكل كل شئ» بلا تخصص كما نفعل الآن . فلم تقتصر على البحر ولم تقتصر
 على الحشرات . ففتح من حيث الطعام «موسوعيون» لا تخصص .

والطرسير مع ذك حيوان سحيق . لأن الفرق بينه وبين الغوريلا أكبر
 من الفرق بين الغوريلا وبين الانسان ؛ فان مخه لم يغط الى الآن مخيخه
 كما هو الشأن فى القرده العليا .

ولأمر ما نجعله نزل الانسان الأول . وهو شئ بين الطرسير والقرده .
 على اليابسه . واستنصب الإقامة على اليابسه حيث الأمن فيها على الأطفال
 . سول . لأن سقوط الأطفال من الشجر كان من المموم العظيمة التى كان يعانها
 آلاف قبل ملايين السنين . واستطاع أن يسعى على اليابسه . بسعى باوثب
 أولاً ثم بالمشى ثانياً بالاعتماد على الراسين .

وسكننا لما تركنا الشجر كنت أدنا بنا لا نزال عالقة بنا . بل هى لا تزال
 . لك فى العصص الذى يجمع عندنا من القفر ما يكفى لذنب محرم يلىق
 لى حيوان يعيس على الشجر وتعلق بالفصون . وكل ما محتاج إليه كي نسترد
 ألسنا قلبس من اللحم وجده . . . وسكن إقامتنا على اليابسه أغنتنا عن
 الذباب . لأن ايده كانت قد تحررت فصارت تتناول وتذب اهوام ونقتل
 حشرات . وفى حيوان مثل الانسان قد استقر على أن يعيس على اليابسه .
 بعد الذنب غيباً يجب التخلص منه وقت انقال . وكان لابد من زواله .
 وكان لابد من أن تترك الشجر : أولاً للأشمن الذى ذكرنا ؛ لأن حياة
 سمار على الفصون كانت عرضة لأخطار لسقوط . وثانياً لأن غذاءنا من الأثمار
 . قد يكفينا ؛ وخاصة لأن الأثمار ليست دائمة إذ هى موسمية . وكسبنا
 من اليابسة جملة أشياء :

أوها أن ايده التى كانت قد كادت تخصص فى القبض على الفصون قد

أصبحت مكنة واجبات جديدة في تناول . فتطورت الأقدام حتى صارت آباء
يد أخرى يواجه الأصابع الأربع لا تقف معها في صف كما هو شأن
في الأورانج أوبان الذي لا يزال ملازماً للشجر ؛ فهو يحس انحنى على العنق
واسعدى به ، ولكنه لا يحس السدول للحجر أو العصا . ثم آتت سبلها أسببه
العمودية للمشي .

وقد احتجنا في هذا الانتقال من الشجر إلى أسببه وسن نقامه الأقدم
إلى انقائه العمودية إلى رباطات جديدة تربط أبعاءنا حتى لا تسقط . ولكن
هذه الرباطات م تنأصل في طبيعتنا في الآن . كما يرى سبلا من هذا
المرض البشري . والبشري فقط ، أي البشري ، حين ينهار الأبعاء على
الرجل وتسقط في الكيس أو حين تنفخ حمرة الرأس ويخرج . فان هذا المرض
الذي لا يمكن أن يصيب به شيب أو بقره أو فأر يصيب نحن به لشدة
العمودية التي اتخذناها . وقد نحقق جميع أدوارها التي نحملها وببئها في صفة
وسلامة .

العين ، واليد ، والايهام ، والرسغ ، هذه الأربعة قد تقف من صو
الحيوان إلى طور الانسان . وتنبأ لنا حالا حديده أو وضعاً جديداً استطعنا
به أن نجعل الرأس كبيراً يسع للمخ الكبير الذي كسا المخيم بل صغر
عده . ولولا هذه الأربعة لما استطعنا أن نصل إلى الوجود ونذكره ونعبره
ثم الحضاره والرقى . لأن المخ البشري ، بالمقارنه إلى الجسم ، هو أن
مخ على هذا الكوكب . ولولا أن قامنا عموديه لما استطعنا أن نحمله .
ولو كان هذا المخ البشري في رأس الدب أو فرس لكسر عنقهما الأبد
يحملانه حالا أقبيا لا عموديا .

ولكن محاً كبيراً بلا عيين نفلان إليه أخبار الوسط لا قيمة له ؛ إن ن
يجد المادة التي يحمله على التفكير والمقارنة والاستنتاج أي الذكاء . ثم آتت
مع بلا يد تصنع الأدوات والآلات لن يؤدي إلى اختراع حضاره . ثم كل
هذا لم يكن مستطاعاً لو لم تقف على أرساغنا أي على كعوبنا وقفة عمودية .

المسرحيات الراقصة

بعد مسرحيات الراقصة فما عابراً ، تأتي العواصم الأوربية مع الفرق التي تعنى بهذا النوع من الفنون . فيهرع هسواه الفن من الأوربيين والأمريكيين مسعدين ، ثم يسفل بانتقال الفرق إلى بلاد أخرى ، حيث تعرض هذه المسرحيات الراقصة . بل صار هذا الفن في السنوات الأخيرة ، فنّاً مقبباً في العواصم والمدن الكبرى الأوربية والأمريكية . وصار له هواة وجمهور لا يحصى منه بسلا . وصارت هناك مسرح يقف عملها عليه . ويك حراً من فن . يمكن له ثبات قبل عصر السينما الذي طغى على كل شيء . وإن فنّاً يشب هذا الساب في زمن سطر فيه في السينما . لخلق بأن يكون له ميزات . وفيه صفات ، تستحق هذا الثبات وهذا الاقبال من جمهور فنّي .

فمن نعلم ما عدته المسرح من مساوٍ لساب في وجه السينما . وندعم لذلك لقب قوام المسرح في ذلك واضح . ثم أخذ انقائمون به يحاولون ويندمون كي يشل الناس الذي يعملون له قائماً في الحاضر . مع أن لفن المسرح تاريخاً بعيداً يمتد إلى أحداً ، وبحسب سوا حياته كما سر من عصور منذ المنيه سوانيه والرومانيه على الأثر . وقد يكون إلى أبعد من ذلك في الأمم لأخرى . فلعن المسرح قد رأى فجر المنيه وعاصرها ، وولد حين بدأ الاسان يفضل نتائج الفكر على المادة .

إلى هذا الزمن البعيد يرجع تاريخ المسرح ومحمد المؤثر . ومع ذلك يراه من يرجع منه في دخيل ما تمس عليه أذكر من حسين سبه . ويدب عنه إمرام السني عوارض السمجوحه ، بل ظهرت عنه علامات الانحلال وبعاء . لا أن يدركه رجال الفن من محبه وزوده ، فأمدوه بدم جديد ، وأمدوه لأدوبه بدمه سسب . فتمكنوا من أن يخصصوا له بجهده في أحتر فتره مرت عليه ، ثم أعادوا إليه الكثير من روائه .

ولكن همه فئت كان إلى سب وعشر سواب لا يستطيع الحده في اعواده والمدن ، بل كان ينقل من مكان إلى مكان . وقد ألفى هواه في كل مكان حل فيه ، وألفى ترحابا من جمهور محب ، ولكن كان سبب كبيراً في نجات هذا الجمهور على حبه ، وكان لسبب كبيراً في اخلاص هؤلاء المحبين . وإذا كانت مسرحيات لرافد ها رواء لا يمكن أن يقاس إلى جانب رواء المسرح العادي في رواياته المشبهه ، أو اسيم في نوره الخطاطف ومناظره المنفذ السريعه وسط الظلام ، فانه لا يمكن من التوفيق مع ذلك أن يوحد هذا الفن جمهور ثابت لا يجب أن يجد منه بديلاً .

سكى نستطيع أن نقدر عمده الأعجوبة في عصر يستصعب فيه السمع على العقول ، يجب أن نبحت قليلاً في الفرق بين هذا الفن والفنون بقرنه منه والمنافسة له ، ثم نبحت قليلاً في كيانها وما ينتظر له من مستقبل .

لنتنظر ونفكر . ما هو الفرق الأساسي بين الروايات الثقيلية وبين السيم ؟ أليس لدينا نود من المسرح ؟ أليس انقص السيمائية فصوص تسميه غوم بها ممثلون كمنى المسرح ويخرجها ويصممها ممثلون كخرجى المسرح ومنظميه ؟ هذا صحيح ولكن لفرق لا كبر في أمرين : أولهم أن السيم يستطيع بواسطه أن يتخفى حدود المكان الذى يقف فيه الممثلون ، وبذلك يبره السيم الكبرى : تلك ميزته التى أدت بالمسرح حتماً إلى أن يراجع ويرجع عن صغده السيم . فهد الانتقال سريع من مكان إلى مكان . وبذلك المناظر التى يستطيع لاجراج السيمالى أن يقطع عليها في طرفه عين ، وبذلك الدور التى يهت لنا أسرارها بعض ساحر ، وبذلك الرحلات التى نعبر بها الخط في حطات معبودات ، بل قد نقلنا إلى الكواكب والعوالم المجهوله في مثل لمح البصر . تلك ميزة السيم الكبرى .

ولكن إذا أخذنا الأسور على ظهرها فاندنا نكون محطتين . فم تلك الوسائل التى اتجأ إليها فن السيم إلا وسائل ماديه ، دعمت بما صوره هذا الفن الحديد من إقبال ، ودعمت بالبدخ والاسراف في الانفاق على هذا الفن الوليه . وقد نسى سبباً هاماً في الفن ، بل نسى أهم قوام للفن ، إذا نحن نسنا أمراً واحداً . وهو أن الفن لا ينشأ ولا يقوم إلا بتعبه لجبهه الروحيه ، وأن لن يعتمد على الفكر والروح ، بل أن يعتمد على الجهد الآلى والمادده .

ودلت هو القوي ثلثي . ولواقع أن القصص التي لم يبلغ هذه المكة
أبى بلعها ، ولم يثبت على مر العصور . ولم تستخر أعلام رجال بدون من
أبى الذين طهروا على وجه الأرض . إلا لأنه من نعمه على الفكر والروح
نارغم من كل شيء . فقد عرف هذا الفن بث المسرحيات المسديرة الضفد في
الهواء . حيث يجلس النظارة على الصخر ساعات طويلة ، ويتابع الممثلون وعلى
وجوههم الأنفة في منظر عجيب . ثم يمشون باحديب وحده من بلد إلى بلد ،
ونضربون في أرجاء عرض الأرض . ولا يرى النظارة من هذا الانتقال شيئاً .
بل يرون أنفسهم المضرب الدبب للضيعة سواء أكان خلف الممثلين قضاء أو ساء
أو بحر . ومع ذلك لا يجد النظارة في ذلك ما يضحك بل يصعقون إلى الحدث
وجس أجباناً ، مبسمين أحياناً أخرى ، متهزين السرور إذا دعاهم الممثل ،
أو رائين له ولجانه . ولقد عرف الفن خشه المسرح التي يكتب على لوحة
فيها : هذا بسب أو هذا حائض أو مك غابة لتدل على المضرب . ومع ذلك لم
ينكر النظارة شيئاً . بل ظلوا يصغون إلى حديث الممثلين في صمم ، ويصدقونهم
حين يبدو من كلامهم أنهم في أرض الداترك ، أو على ضفاف بحر حقم مثلاً ،
وهم سيكون لبكاء الممثل ، ويسرحون لفرحه . ويسأرونه حلو الحياه ومرها .
دون أن يتكروا عليه شيئاً .

فلماذا نراهم يفعلون ذلك ؟ ولماذا نراهم بعمضون أعينهم مما يقع عليه
انصارهم ، ولا يسسكرون على الممثل حداغه هم على هذه الصورة الصارخه .
أنس ذلك لأهم لا يعون في المسرح إلا دلروح ؟ أليس ذلك لأن المصل
لا يحطب إلا عقولهم ونفوسهم . ولا يهم بعد ذلك ألا يمثل المنظر الذي
سأهم الحقيقة سواء أكان قصعه من احسب أو فطعه مدلاه من الفرس ؟
أنس ذلك لأن الاتصال بينهم هو اتصال قسري وروحي . فالممثل يلقى عليهم
خلاصه فكر الشاعر أو الشاعر الذي ابتدع القصة . وهم يتصلون بهذا الفكر
الصلاً يأخذ بنفوسهم وعقولهم ؟ أظن ذلك .

هذا هو القوي الكبير بين المسرح واسمين : بث اخراجه التي تصل
من المثل والمشاهد لا يجدها في السمع ؛ وإن وجدها . فهو اتصال بارد
سعى مع بث الأسباح المحركة دائماً . ارائه دائماً . وذلك هو في أظن
أبى أبى على المسرح واستضاء به المسرح أن نعس إلى جانب السبع .

وأن يبرأ من الصعته التي وجهت إليه والتي كادت تكون فاتلة . لم نعش المسرح لأن اعمالين فيه قد حاولوا أن يستفيدوا من وسائل لسيما ، وأن يزيدوا من استعمال الاضواء وما إليها استعمالاً جديداً يشبه الصوفى التي كانت فتحة في لسيما ، وانما عاش المسرح بظيعته ، وعاش بدلت التراب العظيم من نجاح العقول ، وبذلك الاتصال لروحي الذي نجده في المسرح ونصقده في السنه ، وذلك الحرارة التي نصر بين المثل والشاهد ، فلا يقوم بينهما حجاب ولو كان ستاراً ايض .

أخرج المسرح كسان كل فن كثير أنواع من انقص المشي . ونحتم لكي نصل إلى المسرحيات الراقصة ، أن نتكلم قليلاً عن نوع له اتصال كبير به ، وهو الموع السمي لدى الأوربيين بالأوبرا . والأوبرا ليست إلا مسرحية تمثيلية معظم حداثتها لا القاء ، بل من ين حداثتها كله عشاء . فهي مسرحية أنسأها حب الموسيقى أكثر مما أنسأها حب التمثيل ، وقد أريد به أن يجمع الشاهد بين مع عده . ولذلك كانت الأوبرا فناً نساءً في عصور حديثة ، واسعين فيه فنون عده ، فاهم اخرجون للأوبرا بالمشتر ، واهتموا بالموسيقى طبعاً أكبر اهتمام . كما أغاروا التمثيل واحديث سبب من الاغناء . وحين بعدد عدهم اجمع بين هذه الأنواع ، كثر تفصلون الموسيقى في الأوبرا على غيرها من فنون . بل صححون بالفنون الأخرى في سبيل فن الموسيقى . وكانوا أحياناً يزيدون على هذه اعين فنا آخر يستعملون بالرفص في مناظر ، وفي مناسبات أو في غير مناسبات .

ومن الأوبرا على ماله من رواء اجندب أعضاء المرسفين ووجد إيماناً من جمهور محب . وتسجيلاً من نخبة المهتمين بالفنون ، لا أنه من بعض في جوانب منه . ويوجب عيبك أن نغصص العين على أمور كثيرة ، إذا نسب تريد أن تستمتع حقاً بالأوبرا وتجد لها لذة .

فلنا إن الأوائل كانوا يسمون أنفسهم لحساب الممثل دون أن يأبهوا للممثل الذي لا يحول . وفي بعض العصور دون أن يأبهوا بالمشاهد المضحكة التي تدل على المص . ولكن ما رأى المشاهد للأوبرا حين يحد حساب الممثل كله عشاء وهو يعلم حتى العلم أن الناس لا ينعنون في حديثهم

فهم لا بأسون خادمتهم باحصار الصعاب سعير ، ولا يخاطب المثل رجال حاسته وهو يرفع الصوت ويخفضه على ايقاع الموسيقى ، ولا يرد عليه حاسته القول وهي يصيح صيحه موسيقية ؟ إذن على المشاهد ألا يبرا أن لبعض عنه ، بل عليه أن يفعل أكثر من ذلك ، عليه أن يبرل عن حزنه كسر من حقه . والنظر بعد لبس سلك هاما ، إذا كتب لصعي حدث من الأحداث . فانك قد تستغرق في الحديث مع صديق فحسي كل محاولك ومن حوت . ولكن هن تستطيع أن تجد معه في حديث صديق راء يعنى بهار في ربيع ورفح وحسن نعمة دون أن تلغى أو على الأقل تنف شيئا من عقلك ؟ ذلك ما يفعله المشاهد للأوبرا .

والأوبر نوع من الفنون لا يخاطب العقل بقدر ما يخاطب العظمة . بدت دن أدنى إن الموسيقى منه إن المسرح . وسبب هذا انحاء المستر لا يستطيع الممثل أن يثقل حركاته ، وكل ما يحاول أن يتفه هو حسن الأداء في العاء . وبسببه لا يستطيع الشاعر لدى وضع الحوار أن يثقل حواراه ، فهو حاضع لتحكمات موسيقى . ولذلك قبل إن حير المؤلفين للأوبرا ليس هو الشاعر الكبير . بل هو الناظم البسيط الذى لا يثقل شعره . والمشهد كما رأينا يجب أن يبخى عن كل شئ إلا أن يبيع الموسيقى بعاضه . فكان للموسيقى الدور الأكبر ، وهى المنسلقة فى الأوبرا . ومع ذلك ، ومع أن هذا الفن يجتذب إليه جمع موسيقيين يعود سحره لا يدع ، فإن الكثير من أعضائهم يرون أنه ليس من أرفع أنواع الموسيقى ، لأنهم يسعون بما على المؤلف الموسيقى من مواد يخضع بها برسم من أنه المستقر ، فهو ملك فى هذا الفن ، ولكنه ملك مقعد .

وردا كان المؤلفون الموسيقيون من الأوبرا فى القرون الأولى من حياة هذا الفن . أى فى القرن السادس عشر والسابع عشر والدمر عشر . كانوا عدون سايه انتجاح ونبوغ أربهم فى تلحين إحدى الأوبرات أو عشرات ؛ مثب منها ، فإن الموسيقيين فى القرن الثامن عشر بدءوا يوفون أن الفن يسقى الحقيقى هو فى الموسيقى الخالصة . ومع ذلك ظلوا واقعس تحت تأثير المسرح ومثليه . فكان أكبر آمامهم النجاح فى فن الأوبرا ؛ وبدلت حرف هذا الفن أحان مؤثرات الساحره . وكان مؤثرات عظيمة فى الموسيقى الخالصة .

كما كان عظمي في أورانه . بل إن جباراً من أندر العقول التي أخرجت الموسيقى الخاصة إن لم يكن أندرهم جمعاً وهو سهوف . كان من أندر أدبه أن يجمع في المسرح ، وترك دره من نوع الأوبرا في مسرحية فبهذه وكان طوال حياته يبحث عن موضوع آخر .

فلاؤبرا إذن يرى يجذب الموسيقيين إلى هذا الفن ، وإن أحدوا منذ أوئل القرن التاسع عشر ينزلونه منزله ثانوية ، وشعرون بما في هذا الفن من نقص ، ويجدون في الشعر الملحن ما يعوقهم عن التعبير بالثغمة ، وما يفيدهم دون إطلاق ذلك الوحي الذي يمل على عقل العبقري . وإذا كان القرن التاسع عشر قد رأى الموسيقيين قد تنهوا إلى معايب هذا الفن . فانه رأى أيضاً أعظم لعاملين لهضمه والعودة به إلى الشباب . في شخص موسيقى من الموسيقيين . النادرين هو ريتشارد فاغنر الألماني .

طوال ما القول إذا أردنا أن نشرح ما لبه فاغنر في كتبه النظرية ، أو أن نحلل ما وصل إليه فاغنر في مؤلفاته لموسيقى مسرحه . ولكن يكس القول ، والقول المختصر جداً . إن فاغنر أتى بنظرية جديدة يصحح بها من شأن الأوبرا . فقد رأى أن الأوبرا هي انعكاس لمخاله الاجتماعي السائدة ، فهي إذن فن أناني . لأن الموسيقى تريد أن تسلط فيه . وأدى ذلك إلى أن أصبح لأشور الأخرى من قصة وتمثيل ومناظر . إن هي إلا أمور ثانوية . ولذلك لا تنتظر لهذا النوع من الفن حياة . بل يجب لكي ينهض هذا فن ويكون عملاً فنياً حقيقياً أن يتجه نحو ما أسمه الدراما الموسيقية : وهو نوع بألف من جماع فنون . أو على قوله في بعض مؤلفاته من شجوعه فنون . أي استراك الفنون في سنده . فيجب إذن أن يعدون الشعر والموسيقى والمنظر في خلق جو هذه الدراما الموسيقية . ويكون هذا النوع من المسرحيات مؤثر لا في ذكاء المشاهد وعقله . بل في خواصفه وإحساساته العريضة . وبني نحقق موضوع هذه الدراما الموسيقية يجب أن يكون الموضوع ذا أهمية أدبية . وأن يكون بسيطاً يعود بالناس إلى سماعهم الأولى . ولا يحق ذلك إلا بتخاذ الأساطير موضوعاً . لأن الموضوعات التاريخية بعيدة بالمؤلف عن غرض الشرطيين . ولا ريب في أن العرض من أسرار أهمية الموضوع هو ألا يعيب الموسيقى على الشعر . بل ينفذ الاثنين على قدم المساواة . وكذلك يكون

التصور للحاضر والأصحاء وغير ذلك من وسائل المسرح من أهم ما يساعد في الدراما الموسيقية .

بث نظريات فاجنر في سبازاب قصيره قد لا نفى . وعلى منقصه كل الانصاف . لأن نظرياته الفسه جديده بدراسات وكليات واسعده . ولكن قد ذكرنا ما يكفى لفهم هذه النظريات وتأثيرها في فن الأوبرا .

فنى نظريات عظيمه حق ولكن يصعب تحقيقها . على أنها وجدت من يحميها في فاجنر نفسه . إذ كان فاجنر ساعداً مسرحياً من القطع الأولى من السعراء ؛ لا نول إنه في اسعر من كبار العبقريين . ولكنه لم يكن مجرد ناظم ، وكان شاعراً متمسراً . وإذا كان لم تظر له شهرة بالشعر المسرحي . فذلك لأن الناس شغلوا بتوسفاه عن سعده ، فهو من أعظم الموسيقيين بلا مره . وعشاً يحاول بعض المعادين لنظرياته في عصره وفي العصر الحاضر أن ينفصو من سعده . فهم يستضعون أن يتمتعوا بنفس مسرحيه الموسيقى . ولكنهم لا يستضعون أن يسكروا قصه وحلمه في الموسيقى .

سأ نريد أن نصف كيف كان فاجنر يؤلف الشعر ويلححه ويبتدع المناظر بروايه التي امطعها من الأساطير الجرمانيه القديمه . وكيف أدى به الأمر إلى أن حصل لإنشاء دار لتمثيل مسرحياته خاصه . وهذه الدار قائمه الآن ، وما اسع فيها من نظام . فكل هذا له مكان آخر . على أن كل ما نريد أن نقوله إبد إذ كان فاجنر هو أول من استطاع أن يجمع بين الفنون ، فربما كان آخر من استطاع أن يفعل هذا . ومعنى هذا أنه كان الوحيد الذي استطاع أن يحقق نظرياته . أما هذه النظريات فقد كانت أملاً محلم به نفوس الموسيقيين الذين سوه في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ولكنها كانت أملاً خلاب وخائباً . فلم يستطع أحد من أئصاره ومثله أن يبعثوا احياه في هذا النوع من بعده . وعدد المؤلفون الموسيقيون في نوع الأوبرا المعروف من قبل بمعاييره القديمه . وإن استماعوا أن ينفصوا هذه المعايير قليلا بعد أن تعلموا من فاجنر كثيراً .

لا أستطيع أن أترك القول في الأوبرا دون أن أذكر موسيقياً فذاً . هو رجل لم يأبه بفاجنر ونظرياته . نظر إلى هذا الفن نظره عربيه وبعده

عن روحه القديم . هذا الموسيقى هو كلود ديبوسى فى تلحينه لمسرحية « بلياس ومليزاند » .

خذ ديبوسى مسرحية مزلتك بعبارةها لغيره انى يسمع إلى مزيته وسعر . ورسم فصول هذه القصة المسرحية بموسيقاه دون أن يلجأ إلى تردد وسحب فى العناء . بل لعبارة صفى سمعت سكرت سكون تعرت لحد من العادى . والموسيقى تترجم دائماً العواطف الشائرة التى تكثف تلك القصة ، وتبكي فى أدمعنا صوراً من عصر القصة التى بلغ حواذها فى قصر من قصور العصور الوسطى .

لذلك لا نجد فى فن ديبوسى ما يفاضل المواقف التى بألفها فى الحداثة . فهو يتقل بسا لحاه بأخذه الأوفى إلى جوائعه . ولا يشعر بغرائبه فى حداثته المثلين ، فهم لا يتعنون ويرددون ويرجعون الخ . بل هم منغمسون حديثاً يكاد يكون طبيعياً ، ولا نجد غضاضة فى موهبه لأب شعر من شططه الأولى بأننا ننمنا من جوائع الحقيقة إلى جو الخيال . وفى تلك المواقف الصاخبة ، كموقف لزوح بعبور يرفع صيهاً لى يستطيع الحب أن يرى ما يجرى من روجه داخل نافذه . نشعر لصوره حتمه لغيره بكل عسنا . فنبهوننا لآلام الزوج من رسمه بصوره لا يمكن أن نرى لها مثيلاً إلا فى بعض مشاهد عظيم . فى الحقيقة أن ديبوسى أحنى فن الأوبرا بحذاء حديثاً مبتكراً بحيث كاد لاختلاف عن نظريات فاجنر . ولا نجد فيه أى نوع من العصبية التى عرفت فى فن الأوبرا العادى . ويخرج المساعد بنوع من الرقة وانعته بعفوه سحنو الحس كاملاً . يبنى سببه كل السند . لأنه أخ سقى . بما لسعر به حسن نشاهد مسرحية راقصة .

ليكن أصل المسرحيات الراقصة ما يكون : هل هى تمت إلى الشعر ومسرحية الآلهة القديمة كم قال بعض الباحثين فى ارفض وفى الموسيقى أبحاث . هل منبعضها ونسأله من المخرج اليونانى سأل جميع المشاهير الفنون والأدب فى عصره إذ يرجع فصله إلى يونان ؟ هل المسرحيات الراقصة تمت وتوغل فى بلاط لوس فى أربع عصور . حين كان مسرحك يهب الميث باسمه ومن بلاطه من رجال ونساء ؟ لكن هذا أو ذاك فنحن لا نقصده إلا المسرحيات

«... إلى ألفها الناس الآن ، والتي تجد جمهوراً قنيا مستمراً في عواصم
التي هي... أعني ذلك الفن الذي عرفه أوروبا وكان فحاً قنيا جديداً في
أوائل هذا القرن ، حين حركت بروكس العجبة من روسيا لتتحول في
ألمانيا وأوروبا ، وبسر هذا الفن الذي تعلمه روسيا من العرب وهو في سبخوحد ،
فتمكنت بموجبه أن تعد له الحداثة وتخرجه إلى الناس سداً في روبي جديد .
فلقد شعرت أوروبا حقاً ، حين رأت فرقة دياجليف وحين شاهدت رقص
بافوف ، أنها لم تكن من جديد كأن لا عهد لها به ، ولا عهد بينه وبين ذلك
الرقص الذي كانت تستخدمه الأوبرا الفرنسية والاطيانه ، والتي لا معنى
لها غير جمهورها من فئات جميلات خفصت الحر له ، يردن التعبير بحركاتهم
عن لا شيء أو عن شيء ضئيل . ومع ذلك فن هامة الرقصات قريبة
السب من الرقص الروسي كما عرف في أوائل هذا القرن . ولكن الروس
جعدوا شيا به .

كف فعلوا ذلك ؟ منهم فعلوه بأسور عده ، من أهمها أن الرقص الروسي
لا يع بالفساد بل شترك فيه الفتيان . وبذلك سكمل الصورة فممكن
التعبير حقاً عن الحياة .

فالفتيان عنصر هام في الرقص الروسي . وإذا كانت للفتيات الخفة
والرسانة ، فن لفتيان القوة والحرية الرافضة السريعة . وقد لجأ الروس إلى
الموسيقى لتسببها موضوع روايتهم . وأزادوا أن سكون هذه المسرحيات
معبره كل التعبير عن القطعة الموسيقية . ولا ريب في أن مسرحيات الرافضة
وحدثت إقبالاً وسعوه لغيره من الموسيقيين . فقد رأينا الموسيقيين ، بالرغم من
سعودهم بما يعبرون في الأوبرا من نقص ، يفلتون عده ويتحدون فيه بما يجذبهم ،
وهو يكون ذلك على قدر إرادته منهم . وقد جدوا في الفن الحديد بأسرع
ما حدثوا في الأوبرا . فن اعيب الأساس في الأوبرا . وهو ذلك العائق
الذي يجده الموسيقي من اضطراره إلى اتباع الخدوت والحوار . قد تخاضت منه
المسرحيات الرافضة نهائياً . لأن المسرحيات الرافضة ليس فيها كلام مضطاً ،
ولمما التعبير فيها بالحركات والاشارات . كما أن التعبير فيها بالموسيقى والمناظر .
ومن الطبيعي أن تزداد الموسيقى في هذه المسرحيات تسطاً . ومن الطبيعي
إذن أن يكون للموسيقى الدور الأهم في هذه المسرحيات .

ولسنا نعد من مسرحيات الرقصه : أحدهما تؤلف له الموسيقى خاصه وتمثل
لؤلف الموسيقى على وضع الأحداث المناسبة لموضوعه . وعلى الرافضين والراقصات
الذين يمثلون موضوع الرواية أن يتبعوا موسيقاه حسب ما سرد المخرج ولتصرفه .
أما النوع الآخر فذلك هو اقتباس قصه موسيقية لموضوع هذه المسرحية .
وإنما وصفت لتعرف في احتفالات الموسيقى : ولكن أراد مؤلف المسرحية
الراقصة أن يعبرو في مسرحهم عن الصورة التي ترميها الموسيقى في عقولهم .
فلموضوع أوضحه موسيقى لم تكن قد وصفت له . وقد رأى النوعين نجاحاً
كبيراً ، وأمكن في النوعين خلق متعة فنية كبيرة .

ولنذكر مثلاً على النوع الأول مسرحية بروسكا التي كتبها الموسيقى
الروسي سترافسكي . فهي تعد من خير المسرحيات الراقصة . وهي
في موضوعها وفي شخصياتها وفي أحوالها مثال للمسرحيات بعضها . كما أنها
تمثل في موسيقاه لموسيقى بروسكا في أروع مظهرها . وتكون هذه المسرحية
فريدة في نابه : فيحن نرى فيها جماعة من الممثلين والممثلات ذاهبة وجاءته .
وهي تلعب دوراً ثانوياً ولكنه على جانب من الأهمية . فهي لا تسترك
في الرقص ولكنها تحرك وتمثل . ونرى بين هذه الجماعة التي هي تعبير
عن جماهير . شخصيات برقص أحداث رقص وطنية ، وسكبها جزء من
الجماهير أيضاً ، أما في مواجهته لنظرة فتجد الأشخاص الحقيقيين هذه المساه
الراقصة : وهم بروسكا والمعرب والراقصة والأفدك . ومن هذا مزيج بين الجمهور
والشخصيات الأساسية لنفسه نعلم هذه المسرحية فهماً دقيقاً وكأننا نسمع
حواراً في مأساة من المآسي المثيرة الشهيرة . ويميز شخصيات الممثلين
الأصليين فنعرف تلك الراقصة التي تغارل الرجال وتلعب بهم بلا مبالاة .
نم نلقى بهم إذا ما انتهت من لعبها . ونعرف ذلك المعرب الذي هو المتوحش
الذي يريد فرقا من الجهول . ونعرف بروسكا الشاب الميم . وهكذا إلى أن
نصل إلى المأساة الأخيرة .

ومن النوع الثاني تلك الرقصه التي استلهمها دافولفا وعرفت باسم موب
البعجة : وهي تقوم على قصه موسيقية لسان سانس ، أو رقصه كرنفال التي
بنيت على ألحان لموسيقى سومان ، أو رقصه السلفيد التي نطقت موسيقاها
من ألحان شويان .

استعملت المسرحيات الراقصة إذن الموسيقى المؤلفة لها خاصة ، كما استعملت
موسيقى كبار مؤلفي السابقين . ولقد ظهرت طائفة من الموسيقيين يؤمنون .
أو على الأقل يميلون على التأليف هذه المسرحيات . ومن الصعبي أن يكون
من أشهرهم مؤلفون روسيون ؛ فقد صور هذا الفن عندهم ، وعندهم استماع
أن يكون معه للأعين ، كما هو متعة للتفكير . فالمنظر والملابس ومواقف الممثلين
ورقصاتهم ، وتحرّكهم ، كل هذه متعة للأعين ليسولى على قلب المسامع .
لا نعصها ، لأننا إن حدثت أو حور ، ونرى الموسيقى لا نقا لنسرح وسجند
وتجاوز . فهذه المسرحيات الراقصة مسعد للعمل مشترك مع العاطفة . ولذلك
أخذت الخصائص من غايه المتفهم سعدى بهذا الفن ، كما فن به فى أوائل
هذا قرن وأو حر القرن الماضي . اخاصه من رجال الفن والأدب من مصورين
وشعراء وموسيقين .

من محمود

الفنانة الحائرة !

كانت حياتك لنا مبعثا بالدموع
 فصار موتك حزنا لهيبه في ضلوعي
 أن الربيع فنى بكل لحن يديع
 همة المني وأنا ومأم بين الربوع
 .. إليك وحنا وأنت... روح الربيع

الشاعر الحائر

جنبوا قلبي على الحب الملاما
 واسمعوني حين يشدو معزفي
 واعذروني حين أرجو مكرها
 خيم اليأس بقلبي والأسى
 ومضى الموت « بأمالي » فما
 ليت شعري كيف أحيا بعدها ؟
 إنها كانت لنفسى بهجة
 كنت أهواها بقلب يائس
 هل علمت في هوى قلبي أنما ؟
 لحن ... قلبي ثم يرتد خطاما !
 أن أرى نفسى - كما كانت - رغاما
 فلم لام الصبر يا قلبي ... إلما ؟
 أرهب الموت ، وإن كان زواما
 ولن أبعث شعري ؟ وعلا ما ؟
 إنها كانت على قلبي سلاما
 كوكبا حل مكانا لن زواما

زهرةٌ يملأُ قلبي عطرها وهنى لا تألو عن العين اكتماما
 كنت أهواها ، وأخفى إلى وأريه للخليلين ابتساما
 ولقد هز حياقي أن أرى زهرة الأيام ترتاد الرجاما
 أودعوها في مكان موحش طنب الموت حواليه الخياما
 حيث لا أنداء تهلُّ بها ومن الأنداء ما بل الأواما
 حيث لا أضواء يحملن لها قبلات الفجر شوقا وهياما
 حيث لا أنسام تهفو نحوها فتربها الحب لثما والستراما
 حيث لا أطيّار تشدو حوطا فتحييها ، وتهديها السلاما
 إيه يا دهر أحقّ ما نرى ؟ أم توانا أيها الدهر نياما ؟
 ليته حلم ، فنلقى صحوة تطرد السُحُب ، وتجتاح الغماما
 آه ما أفساك يا دهر ! وما أضعف الناس ! وما أقوى الحياما !
 قد عهدناك خؤولنا غادراً تنقض العهد ، ولا ترعى الذماما
 أنت لم ترحم قلوبنا أترعت كاسها الأيامُ حزنا وسقاما
 روعتها بغتة النعنى كما روع الصائد في البيد النعاما
 وتولّاها ذهول مُطّسق لم تُفق من هَوّله إلا لعماما
 أنت لم تعطف على قمرية تملأُ الأيام شدواً ويغاما (كدا)
 كما غتّت على أفنانها رفرق القلب حواليه وحاما
 نبيها كان جراحا لم تزل من يد الأيام تبغى اللثامما
 صوتها كان نواحاً كحسبته أنه قد علم النّوح الحامما
 شاعت الأحزان فيه مثلما شاع نقش الزهر في ريج الخزامى
 واستحال القلب فيه لغما يستثير الحزن ، والدمع السّجاما

كلا اهتزت نرامت نحوه
 لست شعري كيف وافاها الردى
 ليت لم يرهها ، أو ليت
 غرفت في ساعة مشنومة
 أه يا دهر لعمر موحس
 ما الذى ضرك لو أبقيت
 وتريسا الفن قلبا نابضا
 ولعننك عاء ساحرا
 مهجٌ ثكلى ، وأرواحٌ أياي
 دون أن يخشى من الدنيا ملاما ؟
 إذ رآها كان عنها يتعamy
 كان فيها الشر قد ألقى الشاما
 ولأيام كأيام اليتامى !
 تسعد الكون الحزين المستظاما ؟
 يبعث اللحن صفساء وانسجاما
 يملا الأرواح صفوا ووئاما

هل درى العبر ادى حلب به
 عن درى أى سب بانع
 هل درى أى حياه حره
 به يا فمرية انسل التى
 وسفاه الحب فى نحره
 وتجلد فى ربه ، فهنا
 أين فى كن فى الدسا سنا
 أودعوه حفرة مظلمه !
 أين تغريدك ؟ قد أسى صدى
 أين قيثارك . . . قيثار الطوى ؟
 ولياليك التى غنّت بها
 ورواها النيل فنا رائعا
 أى قلب قد ثوى فيه وئاما ؟
 وجهال رائع ضم غراما ؟
 أصبح الموت لها قيذا لزاما ؟
 طالما غنّى بها النيل وهاما
 فسقته فى أغانيها المداما
 نحوها الموج مشوقا مستهاما
 بينما كان يجنبك خراما ؟
 ليت قلبى كان للفن مقساما
 بالك . . . فى كل ألقى يرامى
 عربد الدهر ، فألقاه حطاما !
 مهج نالت من الفن الراما
 وشدتها الطير لحنا لا يُسامى

ليتها كانت علينا سرمداً فسرناها ، وأنكرنا نسماً
ذهبت تلك الليالى مثلما ذهب الزهر مع الريح ركناً
فانتهى السامر من أفراحه وانطوى الأنس بساطاً وندامى
ويدا الصبح حزينا شاحباً فكأن الصبح قد حال ظلاماً !

رَبِّ سَاكِ ضَرْءٍ مَضَى عَمْرُهُ يعبر السهل ، ويجتاز الأكاما
لا يذوق الأمن إلا خلصة أو يرى طيف الكرى إلا لئاما
يرجع السَّقَرُ إلى أوطانهم وهو يرتاد النوى عاماً فعاماً
أذن الله ، فألقى عبثه ودعا المسوت ، فلبى وأقاما
دمدى شهب النسر التى لم تكن تلقى هدوءاً أو سلاماً
وأبسى فى برى مصر ، فما كنت تبغين سوى مصر ثمقاما
وبرى مصر على طول المدى كل ما فيه عزيز لن يُضاماً
جاورى يا أخت فى هذا الثرى إخوة شماً ، وأحباباً كراماً
لم يكن عمرك إلا غنوة تبعث الشوق ، وتهتاج الغراما
كنت تبكين إذا غثيها ! أترى صيغت دموعاً أو كلاماً ؟
لم يكن عيشك إلا قصة صاغها الله « غراماً وانتقاماً »
أنت مثلت لنا أحداثها فاذا الموت لها كان ختاماً !

ليت شعرى - والأسى مشترك لم يدع مصر ، ولم يُخلِ الشاماً -
من أعزى ؟ كلَّ روح إن رأى مطلع الالهام والوحى ترامى
صيغ من نور ، وفى أعماقه جذوة تحيا مدى الدهر اضطراما

يأخذ الفن سبيلا للعلل ويراه - إن دعا المجد - إماما
ويرى الأحلام دنياه التي طار في أجوائها العليا وهاما
هي من أشواقه منسوجة راحة كبرى وأمننا واعتصاما

نُضر الله ضريحا قد حوى درة كانت على الشرب حراما
وسقى البهجة ما قد حُقها فغدا يردا عليها وسلاما

ابراهيم محمد نجار

من هنا وهناك

عبر البحار 1 . . .

مهداة للدكتور طه حسين بك

. . . لك يا صاحبي أن تركب
البحار ، وتمخر المحيطات ؛ ولك أن
تمشى ظهر السفين وتداعب أمواج
الخطم . لك أن تستمتع بهواء البحر
الليل ونسيماته العذاب . . . لك
ما شئت من دوار البحر وتلاطم
أمواجه ، ولك بعد ذلك ما أردت من
الأهوج الهدار . . . فلا أحد ينازعك
فيه ، ولا عليك من عشاقه ومحبيه . . .
استأثر به ما وسعتك الأثرة ، واحتضن
أمواجه ما كان إلى ذلك سبيل . دع
نسيماته تداعب وجهك وهدير أمواجه
يداعب أذنك ؛ دع السفين تتقلب
بك أنى شئت وحيثما أرادت . ولك
بعد هذا وذاك أن تسأل الربان أن
يمد في أجل السفرة وأن يحول بينك
وبين الساحل ولو لأمد قصير . فإذا
انتهيت إلى الساحل ووطئت قدمك
أرض الفرنسيين فلا تنس أن لك
في الشرق إخوة حبال البحر بينهم
وبينك ، فلا هم بقادرين على
عبوره إليك ، ولا أنت مشفق

عليهم فتعود إليهم من قريب . . .
أذكر أن لك في العراق محبين ،
وبأدبك مغرمين وبأسلوبك معجيين
فلا تبخل عليهم بما أنت قادر
سده . . .

لك يا صاحبي أن تأخذ قطار
مرسيليا إلى باريس ، وأن تستقر
في الشانزلزيه . . . ولك أن تفضل
الحى اللاتيني حى الجامعة ، حى العلم
والعرفان على ما سواه ؛ لك أن ننعم
بمغاني غابة بولونيا ما شئت لك
نفسك . . . لك ما شئت في مفاتيح
باريس وسحر السين ، لك كل ما في
مدينة النور من مكتبات ؛ وكل ما في
برج ايفل من مفاتيح ، ولك بعد ذلك
كل ما في فرنسا من غذاء العقل
والروح 1 . . . لك يا صاح كل هذا
وذاك ؛ فما من أحد يقف بينك وبين
ما تبغى . . . ولكن لا تنس أن لك
في مصر أصدقاء يتمنون دوماً ألا
تخلى بينك وبين السكوت . . . أذكر
أن في الأفطار العربية فئة كبيرة جدا

لا يسرها صمتك ، وأنها لو قدرت
لحالت بينك وبين البحر ، وبالتالي
بينك وبين أرض الفرنسيين . . .
لا تنس أن تدفع إلينا بين الحين
والحين بنتاج تفكيرك ، وخلاصة
تأملاتك ؛ فليس بنا صبر على القطيعة ،
وما بنا طاقة على الهجران ؛ ولا
عاشت مدينة تغريك فينا ، وتصدك
عنا . . .

لك ياسيدي أن تمكث في باريس
ما شئت ، حتى إذا ضاق بك الجانب
الأيمن قاعبر إلى الضفة اليسرى من
السين حيث مونبارناس أو مونمارتر . . .
لك كل ما في الجانبين من جمال ، ولك
كل ما فيهما من روعة . . . لك
أن تستبدل ما شئت بما شئت ،
ولكني . . . لكني أستحلفك بالله
أن تكتب إلينا « من بعيد » .

[الفلوجة - العراق]

عبد الحميد الأولي

الصحافة العراقية في العهد العثماني

أول ما عرف العراق الصحافة
بفضل ممدحت باشا . وهو الشخصية
اللامعة في تاريخ الانقلاب الدستوري
العثماني ، الذي يطلق عليه الناهضون
في الشرق اسم أبي الأحرار . فقد عين
واليا لولاية بغداد عام ١٨٦٩ وكان
على المهمة يعتزم القيام بحركة اصلاحية
في هذا القطر البعيد المهمل من بلاد
السلطنة ، فاستصحب معه جماعة من رجال
العلم والعمل لتشغيل جهاز حكومته
الجديدة بينهم مدير مطبعة ومخافي
ومهندس طباعة . وبعد أيام من
وصوله مدينة السلام أسس فيها
مطبعة الولاية ببغداد . وهي

أول مطبعة آلية تدخل الحاضرة .
وكان العراقيون في تلك الأيام
لا يقرأون الصحف إلا نادراً ، ولا يصل
إلى أيديهم منها الا ما ينشر في الخارج
ولا سيما في عاصمة الخلافة . ولتفشي
الأمية وندرة المتعلمين كانت غالبية
القراء من الموظفين ، وهؤلاء يعرفون
التركية في أكثريتهم وقل منهم من
يطالع الجرائد والكتب العربية .
وقد تعثر على نسخ قليلة جدا من
جريدة « الجوائب » العربية لأحمد
فارس الشدياق اللبناني المنشورة في
القسطنطينية بين أهل العلم ورواد
الأدب ، لوثوق الصلة في ذلك العهد

بين بغداد والبصرة والموصل واستانبول ،
 بحيث نجد في خزائن رجال الجيل الماضي
 عندنا كثيراً من آثار مطبعة الجوائب
 العربية في اللغة والأدب أوفر مما تقع
 عليه من منتوج المطابع المصرية في تلك
 السنين .

أنشأ الوالي المصلح جرّيدة
 « الزوراء » (١) فبرز عددها الأول في
 ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ (١٥
 حزيران) يونيو (سنة ١٨٦٩ م)
 بثلاث صفحات مكتوبة باللغتين العربية
 والتركية . وقد كتب في صدرها :
 « هذه الغزيرة صبح في الأسبوع سوره
 يوم الثلاثاء وهي حاوية لكل نوع
 من الأخبار والحوادث الداخلية
 والخارجية » . وقد نشرت في استهلالها
 « الفرمان العالي لمدهت باشا » بتعيينه
 والياً لولاية بغداد . وفي هذا العدد
 خطاب الوالي نفسه الذي ألقاه في
 الاحتفال بقراءة الفرمان ، وفيه يسط
 سياسته ويذكر الأهليين بحالة أوربا

وتقدمها وما وصلت إليه بلادنا من
 التقهر .

عنيت هذه الجريدة بشؤون الولاية
 وأحوالها ونشرت أخبار الدواوين ،
 والبراءات السلطانية والقوانين
 ونصوص المعاهدات والوثائق وأخبار
 السلطنة والدول الأخرى ، وعالجت
 البحث في أسباب انحطاط العراق
 ومسايل ترقّيته ، وتضمنت رسائل من
 الأقاليم العراقية ، ولم تهمل موضوعات
 السياسة الدولية وإيراد خلاصات من
 الصحف العالمية نظير « تايمس »
 لندن مثلاً في القضايا الراهنة ، كما
 حملت مقالات في الصحة والتعليم
 والتنظيم الإداري وبعض قرارات المحاكم
 في الآستانة العلية .

والترّمت الجريدة في ظل مؤسسها
 الصراحة في القول وتدوين الوقائع
 بحرية ؛ فلما نقل بعد ولايته ثلاث
 سنوات فقط كانت حافلة بالأعمال
 والإصلاح ، وعاشت بعده سبعاً وأربعين

(١) كان يعرف النصف الغربي من بغداد في العهد الاسلامي بالزوراء ، أي العوام .
 و يمل بعضهم هذه التسمية بأحرف الفقة ، أي عن آفة حمه من أجهت لأربع . أو ما من سر دجلة
 معني عبدها ، وكان يسمى النصف الشرقي الروحة ، يعني أنها ذات سعة وانفراج أو وقوعها
 عند منحنى النهر . ويقول السعودي إن هذين الاسمين كانا شائعين بين الناس في زمانه .
 وسكن الحمراني الفارسي جداته في القرى الثامن لبحري قال : بينما يسمى العرب بغداد
 (مدينة السلام) دائماً ، كان الفرس يفضلون عليه اسم الزوراء ، ومع أن هذه التسمية
 عربية الأصل ، إلا أنها ربما قامت مقام اسم فارسي قديم طوى أثره من أمد بعيد

سنة ، تغيرت طبعها وأصابها ما أصاب الصحافة العثمانية في العهد الحميدى من الضغط وخنق الحرية . ومهما كان الأمر قد حدث في أعوامها الأربعين الأولى من شؤون البلاد العراقية وأهلها ما لا تعثر على بعضه في أى مرجع آخر .

بقيت « الزوراء » تحرر باللغتين التركية والعربية . فلما حظيت البلاد بالنهضة الدستورية عام ١٩٠٨ ، وظهرت في بغداد جرائد عربية ، طوى قسمها العربى وصارت تنشر باللغة التركية وحدها . فاحتج على ذلك فريق من العراقيين من ذوى النزعة القومية أو ممن لا يعرفون التركية ويهمهم الوقوف على مضامين الصحيفة الرسمية من أنباء وبيانات ، فأذعنت الحكومة لطلبهم وعادت تنشر باللغتين عام ١٩١٣ . أما أسلوبها العربى فقد تعاورته أقلام متنوعة فترجع بين الركافة والبيان بحسب الكتاب الذين يشتغلون فيها ، حتى إن بعض الأدباء العرب في الأقطار الأخرى نعى على جريدة

تنشرها الحكومة في بغداد مدينة الأدب العربى في أزهى عصوره وتسمى « الزوراء » ظهورها بهذه الركافة الفاضحة والأغلاط المزرية . فالتفتت السلطة إلى هذا الانتقاد المصيب

فتبين لها أن العلة في أن يتولى تحريرها العربى بعض موظفى الولاية ممن لا يحسنون اللسان المبين ، فعهدت بإنشائها إلى جماعة من رجال العلم والأدب العراقيين ، نذكر منهم أحمد عزت باشا محمود الفاروق الموصلى وقد حرّر فيها بضعة أشهر وهو كاتب العربية في ولاية بغداد في تلك الأيام ، وتولاها بعده أخوه على رضا ، ومن محرريها عبد الحميد الشادى وأحمد الشادى من أعلام الأدب في القرن الماضى ، ومن أدباء هذا القرن عبد الحميد بك الشادى والأستاذ طه الشواف والأستاذ محمود شكرى آلوسى صاحب المؤلفات العديدة في التاريخ العربى والعراقى ، وقد كتب فيها فصولاً أدبية كان لها أثرها في تحريك الجو الأدبى الراكد ، وناقش علماء بغداد على صفحاتها في مسائل فقهية ولغوية . أما الأستاذ فهمى المدرس الذى نيظت به إدارة مطبعتها فقام بأعباء التحرير فيها باللغتين العربية والتركية وعمره لم يتجاوز ٣١ عاماً .

ويبدو أن جريدة الولاية هذه انحطت في أسلوبها وكتابتها في سنواتها الأخيرة ؛ فقد كتب الأب أنستاس مارى الكرملى عنها في مجلة « المسرة » اللبنانية عام ١٩١١ في استعراضه

صحافة بغداد يقول : « وأما مواضيع الزوراء فلا تستحق الذكر . وأسفا على ولاية بغداد أن تكون جريدتها الرسمية بهذه الصورة الدنيئة . . . » وقد غابت « الزوراء » عن الأنظار باحتلال الجيش البريطاني بغداد سنة ١٩١٧ .

بعد خمسة عشر عاما من ظهور جريدة « الزوراء » الرسمية في بغداد أنشئت جريدة رسمية في الموصل عام ١٨٨٥ باسم « الموصل » تظهر مرة في الأسبوع باللغتين التركية والعربية وأحيانا بالتركية فقط ، وتطبع في مطبعة ولاية الموصل . وهناك مصدر يؤرخ أول صدور جريدة « الموصل » بسنة ١٨٧٩ ، وأثر هذه الصحيفة في العهد العثماني غير واضح في الحياة الفكرية في بيئتها . ويلوح لنا أنها قصرت مهمتها على نشر القوانين وبيانات الحكومة وإعلاناتها واختتمت حياتها باحتلال القوات البريطانية مدينة الموصل سنة ١٩١٨ .

هذا في حاضرة الشمال ، أما في الجنوب فقد أسست أول مطبعة في البصرة في ولاية هدايت باشا أسسها محمد علي جلبي زاده رئيس كتاب دائرة السنية ، وطبع فيها جريدة « البصرة » التي بدت في عالم النشر

عام ١٨٨٩ وهنا اختلفت « البصرة » عن زميلتها « الزوراء » و « الموصل » إذ أن امتيازها لم يكن للحكومة بل لصاحب المطبعة المذكورة وهو المسئول عن سياستها وإن اتخذت لسانا للولاية ، وكتبت باللغتين العربية والتركية أيضاً واستمرت على هذا المنوال خمسة أعوام . حتى إذا نقل منشئها إلى وظيفة في بيروت تبنّت الحكومة المطبعة ووسعتها ، وعهدت بتحرير الجريدة إلى موظفين في ديوان الولاية فعدت جريدة رسمية صرفة . لهذا يبدأ البعض تاريخ جريدة « البصرة » الرسمية بكانون الثاني (يناير) سنة ١٨٩٥ وبقيت تنشر أسبوعيا إلى أن احتلت القوات البريطانية الشجر العراقي في بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ . ما انبثق نور الدستور في أفق السلطنة العثمانية عام ١٩٠٨ وأميد صرح الاستبداد ، ووقع الحجر على الآراء حتى انطلقت الأقلام من عقاها ، وخرج المفكرون إلى ساحة الحرية ، وكانت الصحافة من مجالى بروز هذا الانقلاب في حياة الشعب ، فأقبل الأدباء والنشثون على إصدار الصحف ؛ ولم يكتفوا بالجرائد اليومية والأسبوعية بل أنشأوا المجلات والنشرات الدورية .

وكان نصيب العراق في البلاد
 العثمانية أن سرت إليه هذه الموجة
 فهب المشتغلون بالسياسة والكتاب
 إلى إنشاء الصحف والمجلات يكتبونها
 باللغتين العربية والتركية ، حتى بلغت
 الجرائد في بغداد وحدها في خلال
 سنتين خمسا وعشرين صحيفة ، إلا أن
 محققنا لم تسلم من الآفات التي بدت
 أعراضها في صحافة أرجاء السلطنة جمعا ؛
 فان ازديادها الفاحش مع نقص
 الخبرة والكفاية عند محرريها جعلتهم
 يشطون في كتاباتهم ولا سيما في الجدل
 السياسي والحزبي ، فظهرت على صفحاتها
 مهاترات شخصية يندى لها الجبين مما
 سلم سلاحا للرجعيين يشهرونه في وجه
 أنصار الحرية الصحافية ، فأحدثت
 النكسة رد فعل كان له صداه في
 مجلس المبعوثان في الأستانة .

ومن الناحية المادية لم يستطع
 منشئو الصحف العراقية أن يهضوا بها
 على أساس مشروعات اقتصادية كما
 يفعل أصحاب الصحف في أوروبا وأمريكا
 وبعض أقطار الشرق الآن . لهذا أخفق
 القسم الأعظم منها ولم يقو على الحياة
 ففارق الوجود من أول الشوط أو بعد
 خطوات قصيرة .

وقد أصيبت صحافتنا في مطلع حياتها
 بالأمراض الويلة التي تصاب بها

الصحف في العالم ، إلا أن هاتيك
 الصحف عند الأفوام تكون أقلية
 لا يؤبه بها بجانب الأكثرية التي يستقيم
 سلوكها ، فتتفوق الصحف المحترمة على
 صحف المرمية التي عسر عيسه نفسه .

هذه جريدة عراقية عريقة حلب بها
 السن يرجع ميلادها إلى أول العهد
 بتأريخ الصحافة في بلاد الرافدين ،
 كما أن هذه الصحف في العهد العثماني
 أنشأتها ظروف وأوضاع وأغراض خاصة
 فذهبت بذهابها وقضى عليها فور تغير
 الوضع فضلا عن قلة الصحافيين
 والمنشئين الذين احتبسوا حياتهم لهذا
 العمل والكتابة ، لانخفاض المستوى
 الثقافي العام وشيوع الأمية في القطر .

إن أول جريدة أهلية عرفت بمدينة
 الخلفاء هي « بغداد » أنشأها فرع
 حزب الاتحاد والترقي في الحاضرة ، وعهد
 بإدارة سياستها إلى مراد بك سليمان أحد
 رجال الحزب ، ظهرت ثلاث مرات في
 الأسبوع باللغتين العربية والتركية
 ورأس تحرير قسمها العربي الأستاذ
 معروف الرصافي الشاعر الشهير ، وكتب
 فيها أعلام الأدباء والكاتين كجميل
 الزهاوي وفهمي المدرس ويوسف غنيمه .

والمتتبع لهذه الجريدة الأولى في صحافة
 البلد إذ صدرت في ٩ آب (أغسطس)
 سنة ١٩٠٨ (ولم يكن قبلها إلا الجريدة

الرسمية) وقد كتب في ديباجتها أنها « جريدة سياسية علمية أدبية أسبوعية واسطة لنشر أفكار جمعية الاتحاد والترقي » يحدها من أقوى الصحف العراقية اندفاعاً في تأييد الانقلاب الدستوري ، عنيت بالفكرة والاسلوب مما أحلها منزلة عليّة عند القراء . أما من حيث البيان العربي ، فبعد أن تركها الأستاذ الرصافي ضَعف أسلوبها وساءت لغتها . ومع أنها كانت بكر الجرائد في يومها ، فقد ضربت الرقم القياسي في سعة الذبوع ولاسيما في الحوادث الجلي ، فبلغت النسخ التي طبعتها ووزعتها من العدد الذي وصفت فيه حادثة ٣١ آذار (مارس) الشهيرة في استانبول التي قضت على الحكم المطلق ، وقوضت عرش الطاغية ، ثلاثة آلاف نسخة ، في حين لم تكن في تلك الأيام تنشر أروج جريدة أكثر من ألف نسخة في اليوم . ولم تعمر صحيفة « بغداد » إذ قرر الحزب وقفها في سنتها الثانية .

وازدادت الصحف العراقية حتى وصلت إلى تسع وستين جريدة وعشرين مجلة بين أسبوعية وشهرية ، وليس بينها يومية غير بغداد في بعض الأشهر و « الزهور » و « صدى الاسلام » في أخريات سنوات الحرب العظمى .

والبعثة تظهر مرة أو مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع . ويظهر أن الحكومة العثمانية بعد أن طغى سيل الصحف في مجتمعتها ورأت اضطراب أكثرها من الناحيتين المادية والأدبية وضّقت ذرعاً بالصحافيين الأحرار ذوى الجراة ، عمدت إلى طريقة لتصفية صحف بغداد والقضاء عليها ، فصدر أمر وزارة الداخلية في الآستانة سنة ١٩١١ « بأن الجرائد التي حصل على امتيازها ولم تنشر حتى ٥ آذار (مارس) من تلك السنة أو نشرت بضعة أعداد منها ثم احتجبت إلى هذا التاريخ تلغى امتيازاتها » . وهكذا قضى وزير الداخلية بحجة قلم علي ثمان وثلاثين جريدة «بغدادية فلم يبق في مدينة السلام مع « الزوراء » الرسمية غير خمس جرائد ومجلتين .

لم تكن لغة صحافة العراق في ذلك الطور العربية وحدها بل كانت معظم الجرائد تنشر باللغتين العربية والتركية ، وبعضها تركية صرفة ، وبينها صحف باللغة الفارسية . وعربية محفنا في أول نشأتها كانت مشوبة بالعجمة ، وأسلوب الكتابة ركيك وجهلها مهلهلة وتعابيرها مشحونة بالاغلاط في اللغة والنحو بحيث قال لغوى عراقى كبير محققاً : « إن لغة جرائدنا هذه خليط

من جميع اللغات التي لها متكلمون في البلد، فترى فيها التركية والكردية والفرنسية والانكليزية والهندية والفارسية ولغة مؤلفة حروف ألفاظها من كل هذه اللغات معاً أو من بعض منها .

هذا من حيث اللغة والبيان ، أما من حيث الموضوعات فيدعي أن شيوع الأمية في القطر يوشذ شيوعاً رائعاً والتأخر العلمي والأدبي جعل وجود الصحافيين والكتاب والباحثين بين ظهرائنا نادراً ، وبخاصة متى علمنا أن الصحافة صناعة لا يخوض غمارها بجدارة إلا من يملك موهبة الكتابة ويعرف أسرار الفن الصحفي . ولم يكن يقدم على الكتابة في الجرائد في تلك الفترة حملة العلم الديني وأشياخ التدريس والفقهاء . وهناك ملاحظة جديرة بالتدبر وهي أن العراق قد احتفظ في أظلم عصور التقهقر ببوهر اللغة ، في الشعر أما الكتابة فهي فيه متكلفة مصطنعة ، وهذا النشر أدب محسّن لا يصلح للمصاولة في ميدان الصحف . من أجل ذلك قل أن وجد في الخطة العراقية في مطلع النهضة الصحافية كتاب عصريون ذوو أسلوب سائغ محبوب للقراء . وإلى وقت قريب بين الحريين العالميتين لم تدع

صناعة الكتابة الصحافية الذبوع الذي تفتقر إليه البلاد . وهذا القحط يدفع بالراغبين في المطالعة إلى تطلب ما تنتجه مطابع الأنطار الأخرى ، وكانت في ظل الدولة العثمانية استانبول ومصر والشام .

وفد وجد الفاقهون العراقيون ورجال السياسة في الصحافة معوانا لهم على الدعاية لآرائهم وخططهم السياسية ، فكانت صحفهم تؤيد السلطة أو تقارعها وتتحزب لهذا الحزب أو خصيمه . ولكن الظاهر التي تلفت نظر المتفحص أن أغلب صحف العراق في ذلك الحين كانت معارضة للحزب الحاكم في الامبراطورية العثمانية ، ولم يقف بجانب الحزب الاتحادي غير جريدتين ، أما بقية الصحف في بغداد والبصرة فكانت تروج لحزب الحرية والائتلاف المعارض لحزب الاتحاد والترقي أو أن تعبر هذه الصحف عن انتقاض الشعب تحت نير الغريب ومحاولته الانفلات منه ، وبينها جرائد دعت للفكرة القومية ومهدت للنهضة العربية .

ويسجل التاريخ للصحافة العراقية مواقف مشهودة في التملل من الحكم التركي ، كما أن الصراع كان عنيفاً بين بعض الصحافيين والوالي الذي يتمتع

بسلطات واسعة. ومرجع الشكوى وزارة الداخلية في القسطنطينية. وقد انتصر في بعض الحوادث الصحافي على الوالى الذى كثيراً ما تذرع بحكم دكتاتورى مخيف ، كما أن روح التمرد على الظلم ، ومحاسبة المسئولين برز في صحفنا بما كان يقوم بين الوالى وبعض وجوه البلد من توتر وكفاح ، ويظهر أثر الصحافيين في الانتصار لهذا الجانب أو ذاك ولا سيما في موسم الانتخابات لمجلس البعثات أو المجالس الادارية المحلية . ولعل صحف الفكاهة والهزل على قلتها قد قامت بدور أعمق تأثيراً في هذا المضمار. وإذا كانت صحافة العراق قبل أربعة عقود من السنين وفي أول نشأتها لم ترتفع إلى درجة عالية من حيث الفن والأسلوب والمظهر والاخراج ، فلا يعنى هذا أن الروح العراقى الصلب والسجية الحرة التى فطر عليها أبناء البرافدين لم يكونا يغمران أكثرية تلك الصحف التى يعد عملها عمل الرواد في طريق الاحياء القويى الوعرة . فقد عرفت بغداد والبصرة والموصل صحفاً في ظل حكم الغريب وتحكمه ، ترفع صوته بمطالب الأمة وتعبّر عن احساس الجمهور العربى وتمثل نزعة التحرر والاصلاح .

فجريدة « الرقيب » لمنشئها الحاج عبد اللطيف ثليان برزت في ٢٨ كانون الثانى (يناير) سنة ١٩٠٩ فكانت ثالثة جريدة أهلية في هذه الديار . وقد كتب على صدرها أنها جريدة عربية تركية خادمة لترقى الوطن بكمال الحرية . صدرت مرة في الأسبوع أولاً ثم صارت تظهر مرتين كل أسبوع وقسمها التركى ضئيل . وتميزت بأسلوبها الكتابى السهل وسلاسة عبارتها ونقاء لغتها بالنسبة إلى رصيفاتها . وهى أجراً صحف وقتها وأكثرها شعوراً بالواجب . ينط صاحب سبيع سير الحكومة وأعمالها ، فما رآه حسناً أطراه ، وما وجده خطأ انتقده ، فاستطاع بذلك أن ينفذ خطة جريدته التى أعلنها في قوله : « جعلنا خطة الرقيب حرة إلى آخر درجة ، تذكر المسى وتقبج فعله مهما كان شريفاً عالماً فاضلاً غنياً ، وتذكر المحسن وتقدر إحسانه مهما كان خاملاً فقيراً بلا فرق بينهما ؛ إذ بدون ذلك نذهب مزية المحسن ضحية عدم شهرته وغناه ، وذلك مما يخالف العقل لأن الحسنه حسنة ، وإن كانت من بيت الاحسان فهى أحسن ، والسيئة سيئة وإن كانت من بيت الشرف فهى أسوأ . » عاشت هذه الجريدة ما يزيد على السنتين ، ولم تقصر همها على السياسة

بل جالت في ميدان الاجتماع، جولات وعالجت مشكلة التربية والتعليم وحثت على ترقية الأفكار، وتناولت مسائل لغوية طريفة من لغة العوام في العراق، ولصاحبها مؤلف مخطوط في هذا الموضوع.

وعنى عبد اللطيف ثنيان فوق جرائده السياسية، بتقصي أحوال القطر العراقي، فتراه ينشر على الدوام رسائل من الألوية يعالج فيها شؤون كل لواء وفق حاجته، ويذيع شكاوى الناس، حتى إنني عثرت فيها على مطالبته بدفع رواتب متراكمة لمنضد حروف في مطبعة الولاية، بمعنى أنه قام بخدمة الأغراض النقابية قبل أن توجد نقابة عمال المطابع في عهدنا الحاضر. وفي هذا إشارة إلى اهتمامه بالأمور الشعبية؛ لذلك أقبل الجمهور على جريدته إقبالا كبيرا حمده وقدره في مفتتح سنته الثانية وجعل هذا من عوامل مثابرة الجريدة على الصدور، على حين لم يحل الخول على زبيلاتنا البغداديات باستثناء واحدة منها.

وأكثر ما كانت تلهج به جريدة «الريقب» النظام الدستوري في الحكم، فتطالب الحاكمين بتنفيذ أحكام الدستور. ولا بدع في ذلك لقرب عهد الناس بنشر الدستور وزوال دولة

الاستبداد. ولم يسلم منشئ «الريقب» من اضطهاد السلطة وملاحقتها، فحصلت بينه وبين الوالي مشادة المجرت إلى سوح القضاء، واتخذ خصومه هذا للتشجيع عليه بأسلوبه تنكره الأخلاق والفضيلة، فلم يثنه ما لاقاه عن خطته في النقد الصريح.

وظهرت جريدة «بين النهرين» في ٦ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٠٩ باللغتين العربية والتركية، وكانت في أول عهدها للتاجر يعقوب أفندي العاني أخبارية بحيث لا تهدف إلى غرض سياسي. ثم تسلمها محمود بك الطبجلى وصار يحرر فيها القسم التركي بلهجة عنيفة، ويحرر قسمها العربي كامل بك الطبجلى، وهو تاجر مفكر عشق الكتابة وعلق بالنظم وهوى الصحافة، وكان قلمه خذما، وفي هذه الصحيفة بدأ الكاتب البليغ الأستاذ إبراهيم صالح شكر وخزاته الدامية. فلما نشط مديرها للعمل السياسي الجدى وأنشأ فرعاً لحزب الحرية والاتلاف المعارض في بغداد أصبحت «بين النهرين» لسان هذا الحزب، فزاد انتشارها، وأخذت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع بعد أن كانت جريدة أسبوعية. وقد وقفت بجانب الوالى الشهير الفريق ناظم

باشا ، فلما عزل من ولاية بغداد ورجع إلى الآستانة حيث اغتيل بيد خصومه السياسيين ، اندفعت الصحيفة في ميدان المعارضة للحزب المسيطر ، وقاومت الوالى الجديد جمال باشا ، مقاومة لا هوادة فيها .

و « بين النهرين » أول جريدة عراقية انتصرت للفكرة العربية ونهبت إلى الخطر الذى يهدد السلطنة باعتناق بعض أقطاب الاتحاديين « النزعة الطورانية » . وكان منشئ الجريدة قد تلقى من الشهيد شكرى بك العسلى نائب دمشق في مجلس المبعوثان في دار الخلافة وصاحب الخطاب الرنانة فيه ، كتابا يعلمه بما تبنت الحكومة المركزية في استانبول من التفريق بين عنصرى الدولة الترك والعرب بحيث وضعت علامة على اسم كل موظف أو ضابط عربى في الحكومة ، لتقف دون تسلمهم مراقي المناصب . كما أثرت فيه لهجة جريدة « الحضارة » التى كان يذيعها في قومه من فروع الشهيد الأستاذ عبد الحميد الزهراوى ، فطفق الطبقة على يفضح في صحيفته الخطط المتلوية منها الغافلين من بنى أمته . وقد قست كتاباته مما حمل السلطة على سوقه إلى ساحة القضاء فحكمت عليه المحكمة بالسجن ، وقد كان متغيباً

وهناك جريدة ذات لون خاص

في صحف العراق بل في الصحف العربية قاطبة في ذلك الطور ، فقد وجد في الوزراء وجيه نجدى كبير هو الشيخ جابر الله الدخيل من أهل القصيم ينتمى إلى عشيرة العكيل ، وبيت الدخيل من البيوتات الرفيعة في نجد إلى اليوم ، وكان جابر الله وكيلا للامير ابن الرشيد في هذا الاقليم ، له تجارة واسعة ويهيمن على طريق البادية وقوافلها ، وبأمرته أهناد الابل يتعاطى المتاجرة بها ويستخدمها في

المواصلات يوم لم تكن في البلاد سيارات ولا قطارات . ولهذا الزعيم النجدي مضيف فسيمح الجوانب في بغداد ، يعج برواده من بدو وحضر . فأراد أن يصدر جريدة تعضد نفوذه وتوسع آفاقه وتخدم تلك الأصقاع المجهولة في عالم النشر من مواطن عشيرته . فأسس صحيفة « الرياض » متخذاً لها اسم قاعدة نجد . وكان له ابن أخ ، شاب نابه ، يتصل بالطبقة المثقفة من البغداديين ممن يهوون السياسة ويمارسون صناعة القلم هو الأستاذ سليمان الدخيل ، فعهد عنه إليه بتحرير جريدته ، واستعان الصحافي الدخيل بطالب نجيب في المدرسة الإعدادية شدا الكتابة ودرج على أن يترك مقاعد مدرسته ويختلف إلى مكاتب الصحف هو ابراهيم حلمي العمر .

ظهرت « الرياض » في ٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٠ أسبوعية عربية اللهجة أدبية المشرب وإن لم تكن قوية اللسان أو مشرقة البيان إلا أن الصفة التي امتازت بها العناية الفائقة بأخبار نجد وشبه جزيرة العرب والامارات العربية المصاوبة للعراق . وطبيعي أن تشغل شؤون إمارة ابن الرشيد كثيراً من أعمدها .

ويجب أن نعرف في تحليل تسرب

المفكرة العربية إلى الأذهان في حكم الأغراب الذين لم يكونوا يرضون لهذه النزعة انتشاراً بأن « الرياض » قد خدست القضية العربية بما أحدثت من كثرة الضجيج والكتابة عن قلب الجزيرة وينبوع العربية ، فأذاعت الحديث عن العرب وقبائلهم وأفخاذهم ومنازلم ومنازعاتهم وغزواتهم وحربهم وسلمهم بنطاق واسع أثر في الأفكار ولفتها إلى هذه الرقعة من الشرق المتملل للنهوض . وليس عليك بعد ذلك أن تدقق أو تلحف في تمحيص ما ترويه « الرياض » من جوانب الامارات العربية والسلطنات وزعامات البوادي ومناحراتها ، فالمبالغة بادية عليها . ولكن هذا لا يهم الكاتب أو الناشر ، ما دامت معظم رواياتها وتلفيقاتها تحتل مكاناً بارزاً في عالم المطبوعات ، وتتناقله صحف العراف والشام ومصر وتخطافه أقلام مراسلي الصحف الأجنبية . فكم شغلت بعض رواياتها هذه أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أسابيع بل أشهراً . وقد يكون الحادث في أساسه من ابتداع ذهن مدير الجريدة أو محررها . وقد روى لي أستاذ عراقي في الشعر والصحافة أن المستشرق الانكليزية الشهيرة المس جرتروديل سألت يوماً الأستاذ

سليمان الدخيل وهي في مكتبها الرسمي في دار الحاكم الملكي البريطاني العام في بغداد — بعد الاحتلال البريطاني — كم تقدر عدد نفوس نجد؟ فأجابها فوراً: ثلاثين مليوناً . وعبثاً حاولت أن تستقهم منه هل كان قد وهم بصفر في الرقم وهو يريد ثلاثة ملايين؟ ولكنه أصر على تقديره . ولما كانت «الخاتون» — كما يسميها أهل العراق — رحالة خبيرة ببلاد العرب ، فياشد ما هالها وهم الأستاذ !

ولم يقف الأستاذ الدخيل عند حد الصحافة السياسية والجريدة الأسبوعية بل أصدر مجلة شهرية عنوانها «الحياة» يحررها الكاتب الفتى إبراهيم حلمي العمر محرر «الرياض» ! وتوسع في عمله فأسس دار نشر تطبع الكتب ، جعلت باكورة إنتاجها كتاب «عنوان الجند في تاليف نجد» لعثمان بن عبد الله بن بشر ، وقد صححه محمد بن عبد العزيز ابن مائع النجدي ومدير «الرياض» . ومن طريف حوادث دار النشر هذه أنها طبعت في بغداد كتاباً في «حساب الجفر» نسبته إلى ابن العربي الفيلسوف الشهير فتلقفته الأيدي وراج رواجاً هائلاً وبيع الناشر منه مالا وفيراً . وحقيقة الكتاب من قلم تحرير الرياض انتبجته قريحة سليمان وإبراهيم أو أحدهما .

وتولى الأستاذ الحاج عبد الحسين الأزري إصدار جريدة أدبية في بغداد اسمها «الروضة» وأعقبها بجريدة «مصباح الشرق» سياسية ، حتى إذا عطلتها الحكومة نشرها باسم «المصباح» وخلقها «المصباح الأغر» بعد التعطيل . وقد كانت مصباحاً منيراً للفكرة العربية حملة هذا الكاتب الشاعر لينير بصائر بني جلدته وقارع الحكومة في حيادها عن جادة الصواب ، وهي جريدة أسبوعية باللسان العربي دون التركي برزت في غرة آب (أغسطس) سنة ١٩١٠ واشتدت في انتقاد السلطة فتربصت بصاحبها ، حتى إذا سبق غيره من الصحفيين في إذاعة مصرع فريد بك وإلى البصرة — في الصراع بين الحكومة والزعيم طالب باشا النقيب — ساقته الحكومة الأستاذ الأزري إلى المحكمة فحكمت عليه بغرامة . وظلت الجريدة تصدر إلى أن اعتقل منشؤها في الحرب العالمية الأولى وصودرت مطبعته .

وساهمت البصرة في الجهاد الصحفي ، فمن أوائل الجرائد الحرة فيها جريدة «الايقاظ» التي أنشأها الأستاذ سليمان فيضي المحامي ، في ٢ أيار (مايو) سنة ١٩٠٩ ولم تعمر طويلاً . ومما أوتر عنها دفاعها المجيد في

وجوب استعمال اللغة العربية في دواوين الدولة والمحاكم والمدارس إذ كانت اللغة التركية هي السائدة . أما الصحيفة الجليلة الخطر في الفجاء فهي « الدستور » التي أسسها عبد الله بك الزهير في ٢٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٢ فلما انتخب صاحبها عضواً في مجلس المبعوثان انتقل امتيازها إلى الأستاذ عبد الوهاب الطباطبائي فنفع فيها حياة جديدة ، وتضافر على التحرير بها نخبة أدباء الثغر وسياسيين منهم أخوا صاحبها عبد المحسن وعبد العزيز وإسماعيل السامري ، وكانت لسان فرع حزب الحرية والائتلاف في البصرة . وقد اشترى لها الحزب مطبعة من أوروبا بما لم يفعله حزب آخر في العراق . وأصبحت دار الدستور ندوة الكتاب والمفكرين والسياسيين سواء منهم البصريون والهازيون من بغداد فراراً من إرهاب الحكومة . وتجدد من أعضائه أسرة الدستور في الدولة العراقية في عهد الاستقلال وزراء ومتصرفين ومديرين عامين ورؤساء دواوين . ولما عطلت الحكومة الدستور صدرت باسم « صدى الدستور » وواصلت خدمة النهضة الفكرية والقضية القومية .

واشتدت الحركة الفكرية عند أهل بغداد والبصرة ولا سيما بعد أن انعقد المؤتمر العربي الأول في باريس وكثرت الجمعيات السياسية السرية والعلنية في أنحاء السلطنة وقوى ساعد المطالبين باللامركزية ، وتجلت شخصية الأمة العربية وتعزز كيانها . فنهض فريق من الشباب القومي فأسسوا في بغداد النادي العلمي الوطني لبث تعاليم البعث القومي . ومن أنشط العاملين فيه مزاحم بك الباجهجي الذي قام بتأسيس جريدة « النهضة » فاذا هي الصحيفة العربية الجهورية الصوت البليغة الأسلوب المتفوقة في هذا المجال . طلعت على القراء في ٣ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩١٣ مطالبة الحكومة التركية بحقوق العرب بلهجة حادة ، وشددت التكير على الحزب المهيمن يحررها إبراهيم حلمي العمر (محرر جريدة « الرياض » سابقاً) وفيها تجلت صفات هذا الكاتب فطارت شهرته . فلم تتحمل الحكومة سطورها النارية فعطلتها بعد عددها (الحادي عشر) وتعقبت مدير سياستها ومحررها فهرب الباجهجي بك إلى البصرة ومعه المحرر ، ويسجل مؤرخو « الثورة العربية الكبرى » لجريدة « النهضة » البغدادية

موقفها التاريخي في مناصرة مشروع التحرير العربي .

ويحسن بنا أن نشير هنا إلى دفاع المفكرين العراقيين عن الحرية الصحافية ؛ فقد أرادت الحكومة أن تضيق الخناق على الصحافة فجاءت مجلس المبعوثان بذيّل لقانون أصول المحاكمات الجزائية تريد به أن تقيد الأقلام وتروهب الصحافيين ، فاندفع النواب العرب للحملة على هذه اللائحة ودافعوا عن حرية الرأي والكتابة والنشر ، بينهم من العراق الأستاذ جميل صدق الزهاوي الشاعر الفيلسوف نائب بغداد والأستاذ سليمان فيضي نائب البصرة . وما قاله سليمان فيضي في خطابه في هذا الصدد :

« تريد الحكومة أن تعامل أبناء الأمة الذين استنارت أذهانهم بالعلم والمعرفة بما تعامل به المجرمين والقتلة . إننا نقتل أذكى كتابنا ونغرس الأقلام ونسلب الناس حرية الكلام ثم ندعى أننا نعيش في بلاد دستورية حرة ! فإذا تشددت الحكومة هذا التشديد على أرباب الأقلام والمنورين منا ؟ فإذا كانت الحكومة تريد بسن هذا القانون إبقاء القدح والذم في الصحف ، فلماذا ترجع حقوق هؤلاء الناس على حقوق

الآخرين ؟ لتوضح لنا الأسباب التي حملها على تنفيذ حربه الصحافة بقيداً لا ينطبق على القواعد الدستورية . » وقد علقت جريدة « الاقدام » المصرية التي يحررها ولي الدين بك يكن — الكاتب الشاعر الخالد — على هذه الضجة في البرلمان العثماني انتصاراً لحرية الصحافة ، فقالت :

« إننا نعجب كل الإعجاب بالنفر القليل من نوابنا العرب مثل سليمان فيضي « البصرة » وجميل الزهاوي (بغداد) وفارس الخوري (الشام) فهؤلاء أدوا الأمانة حقها ، فدافعوا عن حرية الصحافة دفاع الأبطال الشجعان فبرهنوا أولاً على إخلاصهم لوطنهم ، وثانياً على كبر نفوسهم فلم يكونوا عبيدا للمطامع والشهوات ، وثالثاً على أنهم من العلماء المنورين فشكراً لهم وألف شكر على شجاعتهم الأدبية وغيرتهم الوطنية . »

وليس أدل على ما عاناه الصحافيون العراقيون من عنت السلطة وعسفها من استعراض بعض الأحداث التي أصيبوا بها قبل نشوب الحرب العظمى الأولى عام ١٩١٤ وفي أثنائها ؛ فقد عدلت الحكومة العثمانية المادة ٢٣ من (قانون المطبوعات) فتعرض أصحاب الصحف والكتاب للمحاكمة

والسجن ودفع الغرامات المالية ،
ولم ينج بعضهم من الاهانة والتكيل ،
فعطل الوالى جمال باشا جريدة
الرصافة لصاحبها الأستاذ صادق
الاعرجى تعطيلاً إدارياً فاحتكم
الصحافي إلى القضاء وأصدر بمكان
صحيفته المعطلة جريدة الصاعقة التي
استعارها من صديقه الأستاذ
عبد الكريم الشخلى ، فلم يرتو حقد
الوالى فاستعان ببعض السوقة فتحرشوا
بناشر الجريدة ظلماً وعدواناً واقفروا
عليه بالكذب فى شكواهم إياه
للمحكمة ، فلم يسع المحكمة إلا أن
تعتل الصحافى على ذمة التحقيق ،
ولكن الرأى العام الواعى أحس بوقع
مسياط الظلم على الكاتب الجريء ،
فتجههز خلق كثير فى سراى الحكومة
احتجاجاً على هذا التصرف ، وشجع
شعب الجمهور الوجيه عيسى بك
الجميل الذى يتمتع بزعامة شعبية
مرسوقة ، فأبرق بعرائض الشكوى
المريرة إلى الآستانة ، فأوعزت وزارة
الداخلية من هناك بالافراج عن
الصحفى المضطهد . فلم يسع الوالى
إلا أن يواجه صاحب « الرصافة »
فوجده صلب العدد حاد اللسان .
ولم يكن الوالى الظالم يتورع من
أن يضرب الصحافى بعصاه كما حدث

لابراهيم حلمى العمر عندما نشر
فى جريدة مصرية مقالاً حمل فيه
على حكومة الاتحاديين عند اعلان
الحرب فما كان من الوالى جاويد بك
- وهو يشغل مركز قائد الجيش -
أيضاً - إلا أن أصدر أمره بحبس
الكاتب ، ثم استدعاه من محبسه
فصار يضربه ضرباً مبرحاً فى بئر
استقباله وعلى مرأى ومسمع من ضيوفه
ولم ينتجه من يديه إلا شفاعة زميل
ترك الصحافة وأصبح عضواً فى مجلس
الولاية .

كانت البصرة معقل الأحرار
فى ظل الزعيم طالب باشا كما ألفت
آنفاً ، وهذا ما أغرى الصحف البصرية
بالاسمان فى حملاتها على الحكومة
وحزبها مما أحرق الحكومة المركزية
فصدرت أوامر وزارة الداخلية فى
استانبول فى أواخر عام ١٩١٣ إلى
والى البصرة باقفال جميع الجرائد التى
تصدر فى الحاضرة والامساك عن منح
امتياز جديد بصحيفة ، ولم تبق من
الجرائد إلا واحدة بنفوذ الزعيم
المذكور .

ولما دارت رحى الحرب الكبرى
اعتصم فى البصرة بعض من ذكرت
من السياسيين والصحافيين وبخاصة
بعد أن احتلتها القوات الانكليزية

الجادرجي . وعظم اهتمام حزب الاتحاد الشرق بهذه الجريدة فاختر لها أكابر الكتاب في اللغتين ، فكتب فيها بالتركية حكمت ثريا بك كما كتب فيها بالعربية محمود بك الدادي والأستاذ عطا الخطيب والأستاذ إبراهيم حلمي العمر والأستاذ خيرى الهنداوى والشاعر عبد الرحمن البناء والأستاذ على الشرقى من النجف رامزا إلى اسمه بالحرفين ع . ش وكان هم الصحيفة نشر الدعاية للحكومة الاتحادية وسياستها وتفنيد بعض كتابات جريدة « الأوقات البصرية » التى أنشأها الجيش البريطانى المحتل فى البصرة . ولم تكف الحكومة باضمحلال الصحف العراقية ، بل عمدت إلى الانتقام من الصحفيين المعارضين ، ومن يحملون الفكرة العربية الاستقلالية ، فنفت كلاً من الحاج عبد الحسين الأزرى صاحب « المصباح » ، والأستاذ داود صليوا صاحب « صدق بابل » ، والأب ألتامس مارى الكرملى منشئ « لغة العرب » إلى قيسرى من البلاد التركية حيث قاسى هؤلاء الأمرين مايزيد على ستة ونصف سنة . كما نفت الأستاذين إبراهيم صالح شكر منشئ مجلة « الرياحين » ، وعبد اللطيف تقيان

ثم تسرب إليها بعد ذلك رشيد الهاشمى الشاعر الكاتب والشيخ كاظم الدجيلي مدير مجلة « لغة العرب » . أما فى بغداد فقد اتخذت السلطة من ظروف الحرب الاستثنائية ذريعة لفضاء على الصحافة الحرة واضطهاد الصحفيين فغابت معظم الصحف عن الأنظار ولم تبق إلا جريدة « الزهور » لصاحبها الأستاذ رشيد الصفار لأنها موالية للوضع القائم ، وهو الوحيد الذى ثبت على سياسة واحدة ، حتى إذا جلا العثمانيون عن بغداد التحق بالجيش المنسحب إلى الموصل واستأنف عمله الصحفي فيها فأصدر جريدة « دعوة الحق » . فلما عاد إلى وطنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها أسس له مطبعة ولم يشغل بالصحافة ، وكانت سلطة الاحتلال البريطانية قد صادرت مطبعته لتطبع فيها جريدتها التى أنشأتها باسم « العرب » فى بغداد . ونهض الحزب الحاكم فى غمرة الحرب للاستعانة بالصحافة فى بث دعوته فأصدر جريدة « صدق الاسلام » باللغتين العربية والتركية أشرف على سياستها قيادة الجيش برئاسة القائد نور الدين بك وهو المعروف بعد ذلك بالجنرال نور الدين باشا فاتح أزمير ، ويتولى إدارتها الأستاذ رءوف بك

صاحب « الرقيب » إلى الموصل ،
 وفر إلى نجد الأستاذ سليمان الدخيل
 صاحب « الرياض » .
 ولم تكف بهذا بل ساقط إلى
 ديوان المحكمة العرفية في عالية
 (لبنان) الأستاذ أحمد عزة الأعظمي
 المفكر العراقي المجاهد الذي كان ينشر
 في استانبول مجلة « لسان العرب »
 حيث سجن ثلاثة أشهر تجرع فيها
 العذاب ، ولم تسفر محاكمته عن إدانته .
 وصادرت الحكومة في الموصل حرية
 خير الدين بك العمرى عقاباً له على
 ما كان ينشره في جريدة « النجاح »
 من نقد ومعارضة للحكومة .
 هذه لمحة عن حال الصحافة
 العراقية في العهد العثماني . وإذا تركنا
 النزعة السياسية جانباً ، ودرسنا
 أحوال هذه الصحف من حيث مادتها
 وفنها في ذلك العهد ، لا نلقى لها
 شخصية واضحة في عالم الأدب
 والثقافة ؛ إذ معظمها لم يكد ينشر
 إلا التافه من الكتابة . أما في الميدان

الاجتماعي فقلما ناصرت الفكرة الحرة
 الجديدة . ويكفي أن أشير إلى حملة
 بعضها على الأستاذ جميل الزهاوي
 لآرائه في « تحرير المرأة » التي نشرتها
 له جريدة « المؤيد » في مصر بحيث
 هب كبار المفكرين المصريين للدفاع
 عنه وفي طليعتهم الدكتور شبلى شميل
 وولي الدين بك يكن .
 كما كانت هاتيك الصحف قليلة
 الرواج ، متخلفة من ناحية الاخراج
 والأسلوب الفني ، صغيرة الحجم ،
 رديئة الطبع في الغالب ، لا تتجاوز
 أربع صفحات صغيرة أو صحتين
 اثنتين . وتلك حال اضطرارية عهدئذ
 لقلة الوسائل ونقص المواصلات وفقدانها
 وتأخر الطباعة . وقد نبه الى هذا
 الطور البدائي في الصحافة العراقية
 بعض من أخذوا في تدوين تاريخ
 الصحافة العربية قبل أربعين سنة .
 ثم تطورت الصحافة العراقية بعد
 الحرب العالمية الأولى تطوراً يبعث
 على الاستحسان والتقدير .

شرايت

شهرية السياسة الدولية

عمر ميدان السياسة الدولية خلال الشهر التقضى بالحوادث الجديدة بالتسجيل . فقد كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة منعقدة طواله ، وكان جدول أعمالها مليئا بالبشود المتصلة بمواضيع على جانب من الخطورة . وقد انعقدت خلاله كذلك جلسات الحاسمة .

لمجلس الأمن ، كما بدأت فيه لجنة المستعمرات الايتالية السابقة تحرياتها استعدادا لوضع تقريرها ، وحدد موعد لانعقاد مؤتمر وزراء الخارجية الأربعة الذى يرى الناقدون أنه منطو على غير قليل من المواقف الدولية الحاسمة .

حق الاعتراض

أما فى الجمعية العسامة للأمم المتحدة فقد احتل حق الاعتراض مكانا من مداولاتها ممتازا . وقد أثار مناقشته اقتراح من جانب الولايات المتحدة بخلق هيئة جديدة تضاف إلى هيئات الأمم المتحدة وتكون مؤلفة من ممثل لكل دولة من دولها الأعضاء ويكون لها اختصاص النظر فى الشؤون التى لا تتصل اتصالا مباشرا بالنسلم العالمى والأمن الدولى فلا تتعارض من ناحية مع اختصاصات مجلس الامن المقررة فى أحكام ميثاق « الأمم المتحدة » ، وتحرر قراراتها من ناحية ثانية من حق الاعتراض الذى اتهم الاتحاد السوفيتى بأساءه استعماله اذ لجأ إليه مندوبه أكثر من ثمانى عشرة مرة .

وكان الدافع المباشر إلى تقديم الولايات المتحدة بهذا الاقتراح هو موقف الاتحاد السوفيتى من رغبة الدولة الاميريكية الكبرى فى إصدار مجلس الأمن قرار اتهمام بلغاريا ويوجوسلافيا وألبانيا بمساعدة الثائرين من اليونان على حكومة أثينا وعهدا الحاضر ؛ فقد عطل باستعماله حق الرضى المضى فى سبيل

تحقيق ذلك أربعة عصبلا . الصغرى التي يعتبرون قيامها مخالفا وقد انتهت الجمعية العامة في لأحكام ميثاق الأمم المتحدة إذ يعتدى اختصاصها على اختصاصات مجلس الأمن المقررة في هذا الميثاق . الصغرى « بكثرة من الأصوات عارضتها الكتلة السلافية معلنة أن أعضاءها لن يساهموا في أعمال تلك الجمعية من التصويت .

حكاية فلسطين

ولعل السبب في وقوف الدول العربية هذا الموقف يرجع إلى موقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية ، وهو موقف يلتقى اتجاههما فيه إلى القول بتقسيم فلسطين بين دولتين مستقلتين إحداهما عربية والأخرى يهودية . فشأت الدول العربية بامتناعها من التصويت في النزاع القائم بين الدولتين الجبارتين عدم تغليبها رأى إحداهما على رأى الأخرى مادامتا ملتقيتين في الاتجاه المتصل بفلسطين .

وقد أثار هذا التلاقى دهشة الدوائر الدولية في مهد الأمم المتحدة وفي سائر البقاع ؛ فقد جاء في وقت غلت فيه مراحل الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بحيث خشى منه على كيان الأمم المتحدة ذاتها .

وعندنا أن هذه الدهشة قد يقضى عليها شئ من التعق في تفهم حقائق النظرات إلى القضية الفلسطينية من الجانبين . ولعله ليس من البعيد أن يصح استناد النظرة الأميريكية إلى أن فلسطين إنما هي مفتاح الشرق الأوسط من الناحية الاقتصادية . فإذا تقاهمت الولايات المتحدة أو أرباب المال فيها مع الدولة اليهودية الناشئة فإنها تشرف عن طريقهم على تنفيذ بعض المشروعات الكبرى التي يقال إنها ستقلب رمال صحراء النجب إلى جنات مشمرة ، كما تساهم في قيام المصانع المحولة للمواد الأولية ، وتساعد على ترويض منتجات هذه المصانع وتلك الجنات في أركان الشرق الأوسط كله . ولعله ليس من البعيد كذلك أن يصح استناد الاتحاد السوفيتي إلى العناصر

اليسارية التي يكثر توافرها في البيئات اليهودية ، فتجرف الاتجاه الاقتصادى والاجتماعى فى الدولة اليهودية الجديدة إلى الناحية الشيوعية ، فتقيم بذلك وسط كتلة البلاد الشرقية نموذجاً من نماذج الأنظمة التي تعترف بها .

وإذن فيكون التقابل في الرأي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بصدد فلسطين صادراً عن اعتبارين متناقضين ، بل سيكون مهدوفاً فيه إلى مناظرة بين مصلحتين متنافرتين .

والمفهوم حتى كتابة هذه السطور أن تقدم الدولتين الكبيرتين باقتراح

مشارك لحل القضية الفلسطينية على قاعدة التقسيم سيحضر كثرة أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة على تقرير هذه القاعدة ، ولا سيما أن القرائن قد توافرت على سبق التفاهم بين الولايات المتحدة والحكومة البريطانية على فكرة التقسيم في عمومها ، إذ كانت المقترحات الأميركية تبلغ قبل إعلانها وإذاعتها لحكومة لندن أولاً فاولاً .

بقى الموقف العربى ، موقف العرب داخل فلسطين وموقف الدول العربية المجاورة ، وستكشف الأيام القريبة عنه . فلننتصر .

عجز مجلس الأمن

أما أعمال مجلس الأمن خلال الشهر المنقضى فقد جاءت مسجلة من جديد لما امتاز به هذا المجلس من عجز عن حل العضلات التي تعرض عليه لتصدر عنه فيها حلول حاسمة .

وقد تبين هذا العجز هذه المرة بالنسبة للقضية الأندونيسية . فقد كان لمجلس الأمن فيها قرار سابق يقضى على

الفريقين المتقاتلين من الهولنديين والأندونيسيين بوقف القتال وبالعودة إلى المراكز التي يحتلونها ، لكن الفريقين وفقاً للقتال دون أن يعودا إلى المراكز السابقة ، ولم يستطع المجلس أن يحمل الهولنديين على الرجوع إلى خطوطهم الأولى . . . وظل الاشكال قائماً ووارداً في جدول الأعمال . . .

المستعمرات الايتالية السابقة

وكانت معاهدة الصلح التي وقعت
 بباريس بين إيطاليا والحلفاء قد نصت
 على تقرير مصير المستعمرات الايتالية
 السابقة في بحر سنة تبدأ من يوم
 إتمام إجراءات إبرام تلك المعاهدة .
 وقد تمت هذه الإجراءات في الأسبوع
 الأول من شهر أكتوبر الماضي ،
 وكان معاونو وزراء خارجية الدول
 الأربع الكبرى هم المكلفين بأعداد
 البحوث الخاصة بهذه المسألة . وكانوا
 قد قرروا تأليف لجنة تقوم بزيارة
 المستعمرات السابقة وتتصل فيها
 بالأهالي والزعماء ، فتعرف منهم اتجاهات
 الرأي العام ، ثم تتقدم بتقريرها
 فينظر مجلس وزراء الخارجية في المصير
 على ضوءه .

وقد بدأت هذه اللجنة أعمالها
 بالفعل فغادرت لندن في طريقها إلى
 أرتريا ثم إلى الصومال ثم إلى ليبيا ،
 وينتظر أن تنتهي من مهمتها نحو شهر
 يونية المقبل .

وستدلى الدول ذوات الشأن
 بمطالبها إزاء المستعمرات الايتالية
 السابقة ، وحددت هذه الدول بالحيشة

ومصر وإيطاليا ذاتها . وللحيشة مطالب
 في أرتريا وفي الصومال تصل بها إلى
 منفذ إلى البحر ، ولمصر مطالب في ليبيا
 وفي أرتريا ؛ إذ تود استعادة جغوب
 من الأولى ومصوع من الثانية . ثم
 إن لها وللجامعة العربية كلها موقفا من
 مصير برقة وطرابلس على اعتبار أنهما
 قطران عريان .

والانجاء البريتاني يذهب إلى
 الرغبة في منح برقة استقلالها وربطها
 ببريتانيا بمعاهدة مماثلة لما يربطها
 بشرق الأردن من رباط ، على أن يكون
 السيد السنوسي ملكا عليها مشابها
 للملك عبد الله بن الحسين .

أما طرابلس فقد تطمع في الوصاية
 عليها إيطاليا بالذات ، كما تطمع في أن
 تضالعها الولايات المتحدة أو أن تساهم
 في الاشراف عليها لجنة يمثل فيها
 الاتحاد السوفيتي .

ولفرنسا علاقة بالمسألة الليبية
 ناشئة من احتلالها أثناء الحرب لواحة
 فزان ، وهي تود أن تحتفظ بها لتوافق
 أصول أهلها مع أصول بعض القبائل
 المقيمة داخل الحدود التونسية .

مؤتمر وزراء الخارجية

على أن المسألة التي سيجاء
مؤتمر وزراء خارجيه نيل أن بعرض
نسلحه المستعمرات الانتليه لسابقه ، نلما
هى مسأله معاهده الصلح مع ألمانيا .
وسوفند الدول منها غير موحد . وقد
ذهب الولايات المتحده إلى حد
التهديد بعدم صلح منفرده بنها وبين
ألمانيا تخافه فى ذلك العهد السبقه
بين الحشاء . وذهب روسيا مدهما
آخر هو استراض الاستمع إلى
الحكومة الألمانية المركزيه حين
ؤلف لوفوف على رأيها فى معاهده
الصلح قبل إبرامه . وه تقبل
انجلترا ولم تقبل فرنسا حتى الآن
سيئا بسندل منه على اجباهاهما ،
ولكن انجلترا أعلنت فى الأيام
الأخيره أنها لا تؤيد الولايات المتحده
فى نشاطها المقاوم للآراء الشيوعية

المنشوره الآن بين الألمان أنفسهم .
ويلوح أن المسأله الألمانية ستكون
هى لصخره الى وه تصطدم عندها
الاجاعات الحشاء . ولذلك فإن احانب
الانجلوسكسونى يحاول ألا يقف مع
الاتحاد السوفيتى فى حقيقه ضيقه أملا
فى معاونه لأفق الأوسع له ، فبطانب
بأن جميع الدول اتى أعلنت الحرب
على ألمانيا فحصر مؤتمر الصلح معها ،
فى حين أن الاتحاد السوفيتى يريد أن
يحصى الحاضرين فى الدول التى
ساركت فى الحرب الفعليه ضد
الألمان ؛ كما يطالب بأن الدعوه إلى
مؤتمر الصلح يجب أن تصدر عن
الصين على اعتبارها حامسه الدول
العظمى ، فى حين أن الاتحاد السوفيتى
لا يريد لها دخلا فى شؤون أوروبا
بالذات .

محمود عزمى

شهرية السينما

أثر محمود حسن تأليف نجيب الريحاني وبدیع خیری (نحاس ویم)

انقضى الموسم المسرحي الماضي دون أن نشهد إنتاجا للأستاذ نجيب الريحاني . وراجت شائعات مختلفة عن هذا الاحتجاب . فأسفنا لذلك أشد الأسف ؛ إذ فقد الفن المسرحي المصري ركنا من أركانه ، وفقد الشعب معلما ومسلما في وقت واحد . فمن المعروف أن الأستاذ الريحاني ، وهو صاحب فكاهة رائعة ، يجعل من المسرح أداة لتعليم الجمهور ، فيأتى بصور واقعية من الحياة المصرية ويقدمها على مسرحه في شئ من المغالاة التي تتمه بالعنصر الهزلى . ولو أنه لم يغال في تصويره لأصبحت مسرحياته مأسى تبكى هذا الشعب لما يشهد فيها من صور أليمة لنفسه ولبن حوله . والأستاذ الريحاني من هؤلاء الذين لا يُغفلون شيئا مما يقع تحت أبصارهم ولا يهملون شيئا مما يصل إلى أذانهم . ولولا هذه اليقظة لما يدور حوله ، وهذا الانتباه لما يقال في حضرته لما أمكن للريحاني أن يرسم للمصريين هذه الصورة الصريحة الصادقة ، وأن يسخر من عاداتهم البغيضة ومن أخلاقهم المعوجة الأليمة ومن أحاديثهم التافهة الكريهة . وهو حين يصور هذه العادات البغيضة وهذه الأخلاق المعوجة وهذه الأحاديث التافهة ويتندر بها ويستمد منها النكتة الحلوة والمواقف العذبة المحببة ، إنما يرمى إلى إصلاح ما فسد وتقويم ما اعوج في هذا المجتمع . فهو إذن من هؤلاء الفنانين الذين جمعوا بين الفن الأصيل واللهو المحبب والتربية الأخلاقية التي يحتاج إليها الجمهور . وهو مع ما يرى من فساد واعوجاج متفائل التفاؤل كله . فما من مسرحية إلا كانت نهايتها مستحبة ترضى الجمهور وترضى تفاؤله الذى لا حد له . فمهما بلغت المحن التى تلم يطل مسرحياته الدليل المستضعف بسبب المجتمع وعاداته وآرائه ، نجد هذا البطل فى الفصل الأخير من المسرحية ينتصر على المجتمع الذى أذله واستغله وأشقاه وجعله فى يأس ويؤس وعذاب . إن انتصار هذا المعذب على المجتمع إنما هو

ضميرهم عن السرقة وابتزاز الأموال .
وقد التزم الأستاذ الريحاني في هذا
التصوير دقة عجيبة واصطنع أمانة
تثير الدهش . فلم يترك أى تفصيل
إلا أنى به في قصته . فساق إلينا
في أسلوب مضحك لا يخلو من سخرية
الطرق التي تلجأ إليها هذه الطبقة
في سرقاتها : فمن تزوير في السجلات
إلى أخطاء في الحسابات ، إلى غير ذلك .
وهو إلى جانب هذه القصة الأليمة
التي أضحكنا ، قدم لنا صورة أخرى
من فتيات هذا المجتمع الذي يطمح إلى
الرقى ولا يجد إليه سبيلا . فتاة تستغل
سداجة أحد موظفي أبيها لتصل إلى
مراسها وهو أن تتزوج بمن تحب .
وهي دائبة على هذا الاستغلال حتى
يتضح لها أن من تستغل يخصها
بحب صادق أمين .

وقد كان التجاح حليف الأستاذ
الريحاني ومن معه من ممثلين في أداء
أدوار هذه القصة . والأستاذ الريحاني ،
مثلا ، في غنى عن أن تقدمه للجمهور
أو أن نحلل أسلوبه في الأداء . وأكبر
الظن أن قليلين يستطيعون أن
يصطنعوا هذه الدقة في التعبير ، وهذا
القصد الذي لا يلتزمه إلا الفنان
المخلص لعمله . واعتقد أنى لا أغالى
حين أقول إنى لم أشهد في مصر من

الدليل القاطع على استعداد النفوس
لأن تصلح وتقوم .
فلكل هذا ساءنا أن نرى هذا
الفنان يعتزل المسرح ولما يتم المهمة
التي أخذ نفسه بالقيام بها ، مع أنه لم
يأل في سبيلها جهدا مهما يكن من
عنفه . ساءنا أن نرى المسرح المصرى
الوحيد الذى يقدم للمصريين فنا صحيحا
جديراً بهذا الاسم يغلق ، وأن يذهب
هباء ، مجهود سنين طوال . ولكن يبدو
أن الأستاذ الريحاني لم يستطع أن يحرم
المصريين فنه ودعاليمة ، فعاد إليهم في
المسرح والسينما في وقت واحد . فبينما هو
يفتح مسرح الريتس يقدم لنا في سينما
كورسال فيلماً جديداً عنوانه
« أبو حلموس » .

وشريط « أبو حلموس » ما هو
إلا مسرحية اسمها « لو كنت حليوه »
حورها الأستاذان الريحاني وبديع خيرى
لتصلح للسينما ، فأضافا إليها بعض
المنظر وأغفلا بعضها ، حتى أصبحت قصة
صالحة للفن السينمائى . و « أبو حلموس »
تستمد قوتها الفنية لا من قصتها وإنما
من الصور التي تقدمها لنا . ففي هذه
القصة نجح الريحاني في تصوير طبقة
من المجتمع المصرى جديرة بأن يعنى
بها الاجتماعيون ، ألا وهى طبقة لظار
الأوقاف وموظفيهم الذين لا يردم

يمكنه تمثيل المشاهد الصامتة كما يمثلها الأستاذ الريحاني . ولا أريد أن أترك الحديث عن التمثيل دون أن أجد لكمال المصرى تمثيله لشخصية الباشكاتب القبطى ، وأن أثنى على السيدة مارى منيب لأدائها شخصية العانس التى تبحث عن زوج ، هذا الأداء الصادق ، وأن أمدح الأستاذ عباس فارس لائقانه شخصية ناظر الوقف مع أنه قد أسرف أحيانا في التعبير والصياح .

وكان فيلم « أبو حلموس » تحت إدارة الأستاذ الريحاني ، ومن إخراج الأستاذ ابراهيم حلمى . وفي هذه الناحية لا يسعنى إلا أن أمدح للأستاذين اختيارهما للمناظر وخاصة منظر منزل ناظر الوقف الذى يمثل تمثيلا دقيقاً الروح المصرى وخلق به المخرج والمدير الفنى الجو المصرى الأصيل . إلا أن هناك بعض الأغاني أدخلت على القصة إدخالا لا مسوغ له ، وجاء الرقص غير منسجم يشوبه أحيانا بعض الاضطراب . فلو أنهما لم يسرفا فى المناظر الغنائية الراقصة لجاء الاخراج متقناً كل الاقنان . وكنت أود أن يهتم الأستاذان بالتصوير أيضا . فالصورة يعوزها الضوء الصحيح إذ أنها بيضاء . ثم إن هناك

ناحية فى التصوير مهمة كل الاهمال فى الأفلام المصرية . فالمصور لا يهتم بأن يختار الزاوية الصالحة للتصوير . وهذا النقص يظهر جليا فى تصوير الأشخاص أكثر مما يظهر فى تصوير المناظر . فالمصور يقرب من الممثل بألة التصوير حتى تبدو ملامحه مضخمة مشوهة . ولم يكن تصوير المناظر خاليا من العيوب . فهنا أيضا لا يدرك المصور أن ثمة اعتبارات يجب أن يحسب لها حسابها . فهو مثلا لا ينظم صورته ولا ينسق تفاصيلها وإنما يلتقطها اعتباطا فتطغى بعض عناصرها على بعضها الآخر فتبدو الصورة مضطربة كل الاضطراب . وآلة التصوير ما هى إلا آلة يجب أن يتحكم فيها المصور ويستغلها ليحقق ما يرمى إليه من صور فنية رائعة ولوحات جميلة خلابة . وأما فى هذا الفيلم فلم أر استغلال المصور للآلة وإنما - مع الأسف - رأيت تحكم الآلة فى المصور .

وخلاصة القول إن إنتاج « أبو حلموس » يحتل بين الأفلام المصرية المكان الأول قصة وتمثيلا وإخراجا ، على رغم ما لمست فيه من ضعف فى التصوير . وهذا الضعف نلمسه فى الانتاج المصرى عامة .

وكان فيلم « أبو حلموس » تحت إدارة الأستاذ الريحاني ، ومن إخراج الأستاذ ابراهيم حلمى . وفي هذه الناحية لا يسعنى إلا أن أمدح للأستاذين اختيارهما للمناظر وخاصة منظر منزل ناظر الوقف الذى يمثل تمثيلا دقيقاً الروح المصرى وخلق به المخرج والمدير الفنى الجو المصرى الأصيل . إلا أن هناك بعض الأغاني أدخلت على القصة إدخالا لا مسوغ له ، وجاء الرقص غير منسجم يشوبه أحيانا بعض الاضطراب . فلو أنهما لم يسرفا فى المناظر الغنائية الراقصة لجاء الاخراج متقناً كل الاقنان . وكنت أود أن يهتم الأستاذان بالتصوير أيضا . فالصورة يعوزها الضوء الصحيح إذ أنها بيضاء . ثم إن هناك

فلو أن منتجيننا ومخرجينا احتذوا
الأستاذ الريحاني في إنتاجه السينمائي
لكانت حال السينما المصرية تختلف عما
هي عليها الآن . فلنشكر إذن للأستاذ
الريحاني هذا الجهد ، ولنتمن له دوام
التوفيق في عمله الفني .

هيمورسك (إخوان وارنر) (١)

سند ابتدع أورسون ولز وسام وود
طريقة عرض الحوادث بالتقهقر أى
من آخرها إلى أولها التزم المخرجون
الأمريكيون في عرض القصة هذه الطريقة
لا يصدفون عنها ؛ فيعرضون على النظارة
المنظر الأخير من قصتهم ثم يعودون إلى
المنظر الأول منها عن طريق الذكريات
مثلا أو سرد الحوادث . وإذا كانت
هذه الطريقة عدت طريقة حين ابتدعها
إورسون ولز في فيلم « المواطن كين »
فقد أصبحت الآن لكثرة استعمالها
دون مسوغ مزرية بالقصة التي
نطلع على نهايتها قبل أن نعرف
الحوادث والظروف التي أدت إلى هذه
النهاية .

التي يمسكها كين وحيث يساقط
الثلج ، أن يجمع في هذا المنظر الراحل
المختلفة التي يميز بها بطل القصة من
طفولته المتضعة ، وقد رمز إليها بالكرة
الزجاجية إلى كهولته الموهنة ، وقد
رمز إليها بالقصر الذي يموت فيه كين .
قثمة إذن مسوغ قوى للبدء بالنهاية .
أما في الفيلم الذي أتحدث عنه اليوم
فلا أجده ما يسوغ عرض القصة على
هذا النمط . فالخروج في المنظر الأول من
الشريط يرينا الموسيقار بول بورى وقد
استسلم لليأس العنيف دون أن ندري
أسباب هذا اليأس المفرع . ويترك
البطل لذكرياته العنان ، فتراه طفلا
مرحاً مشغوقاً بالموسيقى حتى ليضطرب
أهله في يوم عيد ميلاده أن يشتروا له
كبانا وهو لا يدري كيف تستعمل
هذه الآلة الموسيقية . فما الداعي إذن إلى
المنظر الأول ؟ وما مسوغه ؟ وما عذر
الخروج في التجائه إلى هذه البداية إلا

وأورسون ولز حين ابتدأ
« المواطن كين » بمشهد وفاة البطل
إنما أراد بما في هذا المشهد من عناصر
مختلفة مثل الضوء القاتم الذي كان
يغمر الحجرة ، وتلك الكرة الزجاجية

أنه أراد أن يأتي بشئ جديد فلم يستطع إلا أن يحاكي مخرجين كانوا أكثر منه طرافة وأقدر منه على الابتكار ؟

ويأخذ الشريط في سرد حياة الموسيقار طفلاً ثم صبياً ثم شاباً ، فيصوره لنا مولعاً بالموسيقى مشغوقاً بفنّه لا يمنعه عنه مانع ولا يشغله عنه شاغل . وقد أطل المخرج أيضاً في هذه المشاهد مع أنها ليست ذات خطر . أما كان يكفي ليصور ولوع الموسيقار بفنّه مشهد شراء الكمان في طفولته ؟ فليس من الضروري أن نرى تمرينات هذا الطفل ثم هذا الصبي ثم هذا الشاب على الآلة الموسيقية ، ونستمع إليها . وليس مشهد دروسه في المعهد الموسيقي ذا شأن . فكان لا بد من العرض السريع لهذا الجزء من حياة بطل القصة حتى نصل إلى المرحلة التي تبدأ فيها بأساة غرامه . لقد كان

بعوز الموسيقي الشاب بعض المال ليعرض فنه على الجماهير . فصادف امرأة ثرية لا هم لها إلا تشجيع الفنانين ومساعدتهم حتى يصيبوا شيئاً من الشهرة . ولم تكن هيلين رايت - وهو اسم هذه السيدة - قد وجدت سبيلها إلى السعادة وإلى الحب الصادق ، فكانت تعيش في وحدة وإذا كان المخرج لم يوفق في عرض القصة في بادئ الأمر فهو قد توصل إلى طريقة طريفة متقنة للانتقال من منظر إلى منظر . وقد نوع في هذا الانتقال كلما وسعه التنويع . فيختار حيناً صورة لينتقل بها إلى صورة مشابهة في النظر التالي ، ويختار حيناً آخر صوتاً يجد له ما يماثله في المشهد الذي

يريد الانتقال إليه . وعلى سبيل المثال أذكر هذا المشهد : هيلين تنظر إلى صورة لبول طفلا وهو ممسك كانه . ويحتل تلك الصورة الشاشة كلها ثم تنقلب شيئا فشيئا حتى نرى بول يذيع في إحدى قاعات الموسيقى . ومثال آخر الصوت فيه هو عنصر الانتقال : هيلين تصب في الكوب بعض الصودا التي تختلط بالشراب في شيء من العنف . فهذا الصوت وهذا المنظر يتيح للمخرج أن ينتقل إلى صورة البحر والأمواج تختلط بعضها ببعض في عنف مشابه .

وقد أتاح التصوير المتقن للمخرج أن يوفق التوفيق كله في تسجيل تنقلاته هذه من منظر إلى منظر ، كما أتاح له أيضا أن يصور لنا تمثيل جون كراوفورد في دور هيلين رايت .

إن هذه المثلة بقدرتها الفنية التي تعينها على التعبير الصادق قد استطاعت أن تصور لنا نفسية هذه المرأة . فكان وجهها مرآة لنفس الشخصية التي تمثلها . لقد كان الشاهد يشعر من نظراتها ، من طريقها في صب الشراب وعبه ، بما تضطرم به من بؤس ووحدة وحاجة إلى حب صادق يملأ فراغ قلبها الموحش . ومهما يكن من هنات في الإخراج وعرض القصة فيمكن أن يعد هذا الانتاج من خير ما أنتجته أمريكا في الموسم الحالي ؛ إذ أننا لم نشهد لآن إلا أفلاما قصصها سقيمة ضعيفة مثل قصة « امرأة غريبة » أو « مغامرات ولتر ميتي » أو ذات إخراج يعوزه الفن الصحيح مثل « قسمة » .

مرسى لامل

من كتب الشرق والغرب

HERMÈS TRISMÉGISTE ET LA CRISE DU RATIONALISME

ETIEMBLE

هرمس مثلث العظمت وأزمة المذهب العقلي

إن الضجة الكبيرة التي تثار حول الآثار الثقافية أو الضارة تحول دون بلوغ الأصوات الصحيحة أسماع البشر. ويبدو لي أن الأثر الأخير للآب فستوجيير Festugière وعنوانه « حقيقة هرمس مثلث العظمت » *La Révélation d'Hermès Trismégiste* لم يقابل بما كان خليقا أن يقابل به مثل هذا العقل النير الذي ينتظم كل تلك المعلومات. ومع أن الجزء الأول « التنجيم والعلوم الخفية (١) » هو الوحيد الذي ظهر من مجموعة كتب ثلاثة كان لا بد أن تكون على غاية من الأهمية ، فإن المقدمة الغزيرة التي تقع في ٩٠ صفحة تلقي الضوء على مشروع الأثر

في جملة وتساعد على التكهّن بما سيكون عليه الأثر إذا ما أنجز . ولست أملك أن أمدح أو أن أذم قيمة الاطلاع العلمي في مؤلف « هرمس مثلث العظمت » ، غير أني كنت أذكر أفضاله لواحد من كبار علمائنا في آثار البردي وهو الأستاذ جان شيرير المدرس بجامعة فؤاد الأول ، فكتب لي يقول : « إن « هرمس » فستوجيير ربما كان خير مؤلف ظهر أثناء الحرب . إن الذين اتصلوا بتلك النصوص المروعة ليقدرّون مثل هذا الجهد في سبيل الايضاح . » وكنت أنا أحس بذلك قبل ان الاحساس مني اليقين . والجزء مزود بملحق كتبه لويس ماسينيون بعنوان

* هذا المقال كتب خاصة لمجلة «الكاتب المصري» .

(١) الناشر : جابلدا ، باريس ١٩٤٤ .

« بيان عن الأدب الهرمسي العربي » . يسمى بدعة . فبعد وفاة القديس
 ويعتبر أول مجموعة من مراجع علم لم يستكشف بعد . ولو أن كل فضل
 « هرمس المثلث العظمت » انحصر في عرض وترجمة وشرح النصوص
 المنسوبة إلى توت - هرمس ، ونشر بيان بالأدب الهرمسي العربي ، فانه
 مع ذلك يستدعي اهتمام الأدباء الشرقيين ، فسيجد فيه علماء اليونانية
 والعربية وعلماء اللاهوت والفلاسفة مواد نادرة غريبة يحولون فيها بنافذ
 بصيرتهم التخصصية .
 غير أن للكتاب مزايا أخرى ؛ فهو يحلل لغير الاختصاصيين وللمثقفين
 أزمة اللاعقلية التي اجتاحت العصر الهلينستي ، حين انتشر في العالم
 اليوناني الروماني « عدد من الحكم السبائية التي كانت تنسب إلى بعض
 مجوس فارس (زورواستر وأوستانس وهستاسب) أو تنسب إلى أحد آلهة
 (توت - هرمس) ، أو إلى النجمين القادمين من كلدانيا ، بل كانت
 تنسب أيضاً إلى أنبياء أو فلاسفة من اليونان كانوا أكثر من غيرهم
 قريباً إلى الأموز الالهية . ذلك أن الفيشاغورية والأورفية قد عادت إلى
 الازدهار من جديد في ذلك الحين . »
 وقد ساد وقتئذ ما هو جدير حقاً بأن يسمى بدعة . فبعد وفاة القديس
 سيبريان الأنطاكي باحدى وعشرين ومائة سنة ، كتب القديس جريجوار
 دي نازيانس يمدحه فقال إنه درس السحر في مصر مدة طويلة ، وفي كلدانيا
 تعلم الفلك . وإنا لنجد متعة فيما نحا إليه الكاتب من خلط بين حياة
 القديس وبين الحياة النظرية الخرافية التي كان لايد أن يحياها رجل تقى
 يرمى إلى التأثير في عقول أبناء عصره . فاذا كان مثل القديس سيبريان قد
 أخذ بالهرمسية ، فلا موضع للدهش إذا قيل إن توت هرمس هو صاحب
 رسائل التنجيم ، ونظريات الكيمياء الكاذبة ، والمؤلفات السحرية ، وكل
 ما كانت الأذهان المتعارضة مع العقل تعتبره حينئذ علماً .
 وقد سرت عدوى مؤلفات مثلث العظمت في الجزء الشرق من حوض
 البحر الأبيض المتوسط بتلك السرعة التي تتوالد بها خلايا السرطان . وكان
 كل من أراد لفكرته أن تضيع وتسود ، ينشرها تحت اسم الآلهة توت . وقد
 فسر زوزيم مثلث العظمت بالطريقة الثلاثية لما هو مستج وما هو مستجج ،
 كما فسر أحد المشتغلين بالكيمياء الكاذبة بطريقة مختلفة إلا أنها ليست
 أقل جزماً : فقول إن هرمس مثلث

العظومات لأنه يصنع الذهب « على خطوات ثلاث من خطوات الطريقة العملية » ليفهم من استطاع إلى الفهم سبيلا ! مع أن الحقيقة على بساطتها ليست أقل روعة ؛ ففي اللغة المصرية اسميته بعد عن صعبه المفسر بـ « تكرار الصنع منها » . في كتاب ١١ معناه كبير فكلمة أ أ معناه كبير جدا . وترجمتها باليونانية μέγας καὶ μέγας (عظيم وعظيم) غير أن من طبيعة اللغات أن تبلى . لذا حدث منذ القرن الثاني مع أن معنى التفصيل لكلمة μέγας المكررة قد نسيه الكتاب وأغنته الشعوب . ومن وقتئذ ظهرت في الأدعية والابتهالات عبارة μέγιστος καὶ μέγιστος (عظيم وعظيم) أو عبارة μέγιστος καὶ μέγιστος καὶ μέγιστος (عظيم جدا وعظيم جدا وعظيم جدا) أي مكررة ثلاثا ، لما كان للعدد ثلاثة من تأثير سحري ، ومعناها τριμέγιστος أي هرمس الأعظم ثلاث مرات ، أي هرمس العظيم جدا ثلاث مرات ، أي هرمس مثلث العظومات Hermès Trismégiste . (وذلك رغم أنف كل من يتأثر بمقاطع الألفاظ ويعملها معاني سحرية كلفظي أبركساس أو أبراكادابرا !)

والأب قستوجير يقيم الدليل على أننا يجب أن نصدق حقيقة الكتابات الهرمسية بقدر ما نصدق ما شاع من خرافات حول أصل تسمية الإله الساحر أو ما يرمز إليه . وإذا كان اللاعقليون يقولون إن ما نسب من مؤلفات إلى هرمس قد انتقل منذ عام ٤٨ - ٨٦٣ قبل الاسكندر ، إلى داخل الجمعيات الدينية أو الصوفية التي اتخذت منه فرائض صلاتها ، فالأب فستوجير على تقيض ذلك يرى في هذه الآثار التي تتضمن عقائد متنافرة وتشمل مبادئ متناقضة ، مظاهر لنوع أدبي بحت . « فرويا الله » لدى أشياع هرمس في القرن الثاني ، قد لعبت نفس الدور الذي لعبته يدعة « أوصاف الأشخاص » portraits في عصر الملك لويس الرابع عشر .

ولا يقتصر المؤلف على وصف أعراض الداء بل يتقرب عن أسبابه ؛ ففي القرن الثاني من المسيحية « انهارت أركان العقل والجسد والمذهب الانساني من كل النواحي ، واختلطت تحت أنقاضها في عاصفة هوجاء كل القوى اللاعقلية ، فاذا بالاضطراب يعترى كل هذه الأرواح وكل هذه الأبخرة التي كان يستحضرها فن النبي والمجوس والكيميائي الكاذب

وينجى الموقى . « وقد عم الرخاء ذلك العصر ، كما سادت فيه بقدر ما كان منتظراً رفاهية مادية أعظم بكثير مما كان في العصور السابقة . والمؤلف يسائل نفسه عن السبب الذى من أجله « لم يعرف القرن الثانى نهضة عقلية حقة ، والذى من أجله كانت قوة الفكرة ووضوحها فى هبوط متصل . » والذى من أجله بموجب القول « لم يصحب الرضاء المادى العظيم الذى كان ينعم به العالم فى ذلك الحين ، ازدهار يماثله فى الانتاج العقلى » . إن هذه الظاهرة التى تعد بحق من أهم الظواهر فى تاريخ البشر ، من العبث أن نبحث عن أسباب لها آلية أو اقتصادية بحتة . والحقيقة مهما تكن مخفية للرجاء ، هى أن المذهب العقلى اليونانى الذى كان يسود الفكر حينئذ ، هدم نفسه بنفسه فى العنف وقوة . « وبما أن العقل فعلاً تحرر وأخذ يتيه كما يشاء دون أن يجد الضوابط الطبيعى له فى نظرة أعمق وأصلح للعالم المحسوس ، فكان لابد أن هذه القوة المنطقية نفسها التى استخدمت فى إقامة البناء ، استخدمت كذلك فى هدمه . « لاشك أن أفلاطون . ومدرسته حاولا إنقاذ القيم اليونانية وسخرا من أولئك الذين

يستسلمون للسحرة . فأصرار العلوم الالهية وطقوس السحر تتغلب حتماً على الفكر المنطقى المجرد ، المثالى فى منطقته ، والذى لم يتمكن من الاستزادة باختبارات لا تنفك تتجدد ويعاد البحث فيها ، فينتهى به الأمر إلى هدم حيويته ثم إلى سعيه .

إن فيثاغورية تحكيمية *αὐτός ἑαυ* كما قال فيثاغور نفسه ، ونظريات مجازفة عن الأعداد ، كانت تكفى لارضاء رجل القرن الثانى الذى كان لا يجد هذا الرضاء نفسه فى عقل معقم ، فكان من نتيجة ذلك ما رأيناه من ظهور دين ، هو دين خلاص ، ومن ظهور عذراء الاسكندرية هيپاتى Hypathie العالمة الحكيمة التى قتلها المسيحيون (٣٩١) .

وماذا نرى اليوم ؟ نرى من ناحية العقليين التحكيمين الذين تميزوا بالحفاف أشال جوليان بندا Julien Benda ، فهم لا يمارسون التفكير إلا فى الفكر نفسه . وهم إذا كتبوا عن « دورة الصفوة » *circulation des elites* فى الولايات المتحدة اعتقدوا أنهم يفقدون قدرهم بدراستهم الظواهر التى تقيم الدليل على أن عامل الامتصاص بين الطبقات الاجتماعية

متصل . « والذى من أجله بموجب القول « لم يصحب الرضاء المادى العظيم الذى كان ينعم به العالم فى ذلك الحين ، ازدهار يماثله فى الانتاج العقلى » . إن هذه الظاهرة التى تعد بحق من أهم الظواهر فى تاريخ البشر ، من العبث أن نبحث عن أسباب لها آلية أو اقتصادية بحتة . والحقيقة مهما تكن مخفية للرجاء ، هى أن المذهب العقلى اليونانى الذى كان يسود الفكر حينئذ ، هدم نفسه بنفسه فى العنف وقوة . « وبما أن العقل فعلاً تحرر وأخذ يتيه كما يشاء دون أن يجد الضوابط الطبيعى له فى نظرة أعمق وأصلح للعالم المحسوس ، فكان لابد أن هذه القوة المنطقية نفسها التى استخدمت فى إقامة البناء ، استخدمت كذلك فى هدمه . « لاشك أن أفلاطون . ومدرسته حاولا إنقاذ القيم اليونانية وسخرا من أولئك الذين

الأولان من اسمه ولقبه A و B قريبي الشبه في توقيعه بالعدد ١٧ و ١٣ ، فهو يعتقد أنه نذر لأن يتأثر بعمليات هذين العددين ، فقرأ يكتب ركن ١٧ Arcane 17 ، ثم يواصل بالتدريج هذه النظرية الرقمية الغريبة حتى يأخذه الهذيان إلى درجة انشاء منهج ، وحتى يصل به التفكير إلى أبواب الجنون . ونجد في كويا تلميذه الرسام ولفريدولام ، ينشئ لوحة تحت عنوان « هرمس مثلث العظمت » مع أن مضمونها التشكيلى لا يستدعى مطلقا هذا العنوان الذى وضع فى غير موضعه . « ليسقط العقل » تلك صحيحة ما زال يرددتها فى كل مكان تقريبا عدد كبير من الشباب الذين يحلفون بهرمس وبالاكتوبلاسما وبالنضد الدائرى . ونحن لم نخطئ إذا استخفنا بهذا التطور الأخير لمدرسة السيربالزم ، فهو يكشف فى القرن العشرين عن القلق نفسه الذى شاهدنا آثاره فى القرن الثانى . ولم يتخذ بذلك رجال الدين ؛ فمع أن الكنائس تؤدى الأنظمة الهرمسية ، فنحن نرى الذين يصيدون النفوس فى الماء العكر يهتثون أنفسهم بهذا الميل المعاصر للعلوم الخفية ؛ فهو فى اعتقادهم يشير بالعودة إلى التقاليد المتوارثة

لا أثر له فى أمريكا . أما أصحاب « المذهب العقلى الحديث » أو بمعنى آخر الماركسيون الراشدون ، فهم أكثر اهتماما بالتجارب ، إن لم يكن فعلا فمبدئيا على الأقل . وهم يبدون بالفعل الاحتقار نفسه للتجارب أو الملاحظات التى تسمى إلى سبائهم . وهم يذهبون إلى حد إثبات أن المذهب العقلى الحديث يخلص الانسان من الموت . ذلك لأن الموت ما هو إلا النفى « المنطقى » L'antithèse dialectique للحياة . ليس هذا رأى كل الذين صدوا بحفاف فكرة نظرية اجتهدية وبالتالى غير إنسانية ، وما زالوا يناشدون اليوم هرمس كما ناشدوه بالأمس لتبديد قلقهم .

وقد لاحظت فعلا من قراءتى الآثار الأخيرة لأندريه بريتون ، أن زعيم مذهب السيربالزم يمنح يوماً بعد يوم نصيباً أكبر وأخطر لعلم الغيب والعلوم الخفية من محر وتنجيم وللسنة الهرمسية . وقد أنشأ قصيدة كاملة « الساحرة مرجانة » Fata Morgana على نغمة « مومياء إيبيس » . وهو يأخذ على عاتقه قصة « أوزيريس إله أسود » ويأخذ أيضاً بأتفه التفاصيل ما دامت هذه التفاصيل مقتبسة من مؤلف « هرمسى » . ولما كان الحرفان

«وبالأصح إلى التقاليد المسيحية» (١) . على حقيقة ميولنا بل سيجموند فرويد / ويدلا من الاستسلام لتلك
المغريات ، يحذر بالإنسان اليوم أن يرد للعقل اعتباره في كامل قوته وتنوع رسالته هذا التنوع العجيب . وإذا
كان اللاعقليون قد نجحوا في إعلان بطلان هذا العقل الواهي القوي الذي يدر نفسه بنفسه ، فهم لم يتوصلوا حتى الآن إلى نقد العقل الآخر نقدا ذا خطر . لعقل ديكارت هذا الذي كان يقدر العواطف ، وعقل ديدرو هذا الذي كان يتعهدا تعهداً متصلاً ، وهذا العقل الذي أتاح للإنسان أن يحطم الذرة ، وأن ينشئ مذهباً أخلاقياً لنفسه . فليس هرمس على أية حال هو الذي عثر على البنسلين بل الدكتور فلمنج . وليس توت هرمس هو الذي ألقى الضوء

وقد كتب جان بولان : « يوجد نوعان من الفهم (أو من المذهب العقلي) : الأول يكتفى بأن يطبق تطبيقاً دقيقاً بعض القواعد — وهي ميتافيزيقية غالباً — وضعت في أول الأمر بدون أي برهان أو إقامة أدنى دليل . ولكن هناك فهماً آخر (أو مذهباً عقلياً آخر) ، يتبع الملاحظة البطيئة والتجربة المنظمة ، ويحاول أن يستنتج بعض قوانين ، ويجتنب التحيز والتعصب مهما كانا مغريين ، ويمتنع عن الاستنتاج ما وسعه الامتناع . وإني أود أن يكون ذلك مذهبي . »

اتياهل

تلقاها عن الفرنسية إلياس لمان حكم

(١) جي ميشو « الرسالة الرمزية » باريس ، نيزيه ١٩٤٧ .

من وراء البحار

منطقة النفوذ الروسية في أوروبا وأمورها الاقتصادية

أسدت إلينا مجلة « العالم اليوم » الإنجليزية خدمة كبيرة حين نشرت في عدد أكتوبر مقالا عن الحالة الاقتصادية في منطقة شرق أوروبا الخاضعة للنفوذ الروسي ، اذ تقول : إنه بينما تنظر الأمم الست عشرة في غرب أوروبا قرار أمريكا فيما يتعلق بمقترحات مؤتمر باريس ، الذي عقد على أثر مشروع مارشال ، يستمر القسم الشرقي من القارة في تحول اقتصادي أساسي قد يغير بمرد الزمن وجه أوروبا الشرقية تغييراً تاماً ؛ وليس ذلك لحسب ، بل قد يحدث ثورة في العلاقات بين الأمم المعروفة من قديم بصناعاتها وبين الأمم التي كانت تعتمد فيما مضى على صادراتها الصناعية .

فإن البحث يدور الآن في وضع مشروع يتخذ في عشرين سنوات في أوروبا الشرقية ، وهو مشروع شامل يؤدي إلى اتحاد منطقة النفوذ الروسي ويجعلها مستقلة تماماً عن العالم الغربي . لذلك كان من المناسب استعراض التطورات في تلك المنطقة منذ انتهاء الحرب .

لقد اعترف الباحثون في العلاقات الدولية منذ أمد بعيد بأن تقطيع أوروبا الشرقية إلى وحدات اقتصادية على أثر الحرب العالمية الأولى كان من الأخطاء الكبرى ؛ لذلك رحبوا بالجهود التي بذلت في أثناء الحرب الثانية لكي توجد الظروف الملائمة لتعاون مثمر بين دول تلك المنطقة . وكان يراد إقامة هذا التعاون على أساس اتفاق التشك والبولونيين ، ثم اتفاق اليونان واليوغسلاف . وكانت الفكرة ترمي إلى ضم جميع الدول في المنطقة الممتدة بين بحر البلطيق وبحر إيجه بحيث يشمل ١١٥ مليوناً من البشر ، مما يجعل التعمير والتقدم الاجتماعي ممكناً . وكانت فكرة جريئة ، غير أنه قبل أن يشرع الخبراء في العمل لتنفيذها عارضتها روسيا فقتلت الفكرة في المهد .

فقد تذكرت روسيا فكرة الحاجز الصحي الذي أريد إقامته من حولها من قبل ، وتذكرت مشروعات ترغب في تنفيذها ، فأدى ذلك إلى رفض

أى مشروع يعمل لحل مسألة أوروبا الشرقية ولا تكون روسيا مشتركة فيه اشتراكاً فعلياً . ولما تمكنت روسيا من نفيه حكومتين مواليتين لها في بولونيا وفي يوغوسلافيا كان في ذلك القضاء على هذه الفكرة الأولى نهائياً .

ولقد رأى العالم بعد انتهاء الحرب ظهور مشروع جديد لا يمتد من الشمال إلى الجنوب كالشروع البريطاني ويتخذ مركزه من الاتصال بين وارسو وأتينا ، وإنما هو مشروع يقوم على عدد من المعاهدات والتحالفات ، ويمتد من الشرق إلى الغرب فيصل بين موسكو وفارسوفيا وبين موسكو وبراج وبين موسكو وبلغراد وهكذا . وعلى أساس هذه الاتفاقات الثنائية استطاعت روسيا أن تحصل على ما كان يحرمه عليها المشروع البريطاني ، فيصير لها نقود مباشرة في كل عاصمة يسد حاجاتها الاقتصادية ويؤكد سلامتها . وبعد أن حلت روسيا مشكلة السلامة ، ولم يبق هنالك ما يهددها في تلك البلاد المحيطة بها ، عمدت إلى السماح لهذه الدول التابعة بأن تعقد الاتفاقات فيما بينها . وإذا كان رفض حكومات هذه الدول الاشتراك في مؤتمر باريس على غير إرادة الشعوب نفسها ،

فإن دراسة صحافة تلك البلاد تؤدي إلى القول بأنه لم يكن لهذا الرفض تأثير سيئ دائم . فإذا كانت هذه الشعوب قد حرمت مزايا الأدوات والآلات الأمريكية ، فقد أخذت تفكر في تنفيذ مشروعات هامة ، وتحدث الصحف كثيراً عن وجوب الاعتماد على النفس والأمل في مساعدة روسيا . وسيبدو في المستقبل هل هذا النشاط سيسفر عن شيء مادي أو يكون مجرد أحلام .

الواقع أن المشروعات تشغل بال الحكومات في أوروبا الشرقية ، فترى تلك الدول تضع المشروعات التي يجب تنفيذها في مدى سنتين أو ثلاث سنوات أو خمس سنوات لكي تنهض بالاقتصاد الوطني . وتعمل هذه الحكومات لعقد اتفاقات مع جاراتها ومع الدول الواقعة في المنطقة . وكل هذه الاتفاقات ذات علاقة بالمشروع الروسي الذي قدر له خمس سنوات والذي ينفذ الآن ، وبالمشروعات التي تفكر فيها روسيا للمستقبل . ويمكن اجمال هذه المشروعات فيما يأتي :

أولاً — إعادة تعمير روسيا سريعاً بمعاونة جاراتها .

ثانيا - اعتماد المناطق على نفسها كانت خاضعة للظروف السياسية القائمة بتوجيه دول البلقان للصناعة وزيادة القوة الصناعية في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا .

ثالثا - إنشاء وحده اقتصادية كبيرة تساوى أو تزيد على قوة أمريكا أو قوة بريطانيا ودول غرب أوروبا مجتمعة .

وإذا كانت المصالح الخاصة للدول الصغرى المشتركة في مؤتمر باريس قد وجدت اهتماما ورعاية ، فليس من الصعب أن نتبين أن هذه المصالح الخاصة لجارات روسيا لم تجد من الرعاية إلا بقدر عدم تعارضها مع الخطة العامة التي وضعتها روسيا لتنظيم هذه المنطقة اقتصاديا . ولقد صار من اليين الآن أن المشروعات التي وضعتها دول أوروبا الشرقية ليست عبثا ، كما أنه ليس من الحكمة الاعتماد على أن تعود هذه الدول إلى الاثرة المعروفة عنها . وقد يعتمد القائلون بهذا الرأي الأخير على الأرقام التجارية لهذه الدول مع روسيا فيما قبل الحرب ، حين كانت روسيا لاتصدر لدولة مثل تشيكوسلوفاكيا غير ١,٨ من وارداتها وأقل من ذلك لبولونيا ورومانيا ويوغوسلافيا . ولكن هذه العلاقة

وَأدى سقوط ألمانيا واحتلال الجيش الأحمر لأوروبا الشرقية إلى أن صار الموقف الاقتصادي الجديد ملائما جدا لروسيا . وقد اختفى أهم شريك لهذه الدول في أمورها الاقتصادية ، وانقطعت المواصلات تماما مع غرب أوروبا ؛ فلم يبق أمام هذه الدول غير روسيا . ثم إن اتفاق بوتسدام قضى بأن تمتلك روسيا كل مخلفات الألمان في تلك المنطقة ، فوضعت روسيا يدها مثلا على مائتي شركة في المجر . ثم إن فرض تعويضات على رومانيا والمجر لروسيا - إذ فرض على الأولى ٣٠٠ مليون دولار ، وعلى الثانية ٢٠٠ مليون دولار - سهل إنشاء شركات مختلطة روسية رومانية ، وروسية مجرية ، وكانت نتيجة ذلك أن روسيا اليوم تحتل مكان ألمانيا في تجارة هذه الدول ، وكان قسطها في تجارة ثلاث من هذه الدول في سنة ١٩٤٦

كما يأتي :

المجر : الصادرات ٤٥ ٪ -
الواردات ٤٩ ٪ .

بلغاريا : الصادرات ٦٦ ٪ - الواردات ٨٢ ٪ .
 بولونيا : الصادرات ٥١ ٪ - الواردات ٧٤ ٪ .

وإذا كانت الأرقام ليوغوسلافيا ورومانيا غير معروفة فإنها تماثل هذه النسبة تقريباً .

والاستثناء الوحيد لهذه الظاهرة وفي جميع الظواهر الأخرى هو حالة تشيكوسلوفاكيا ؛ فإنها كانت فيما قبل الحرب على اتصال اقتصادي قوى مع غرب أوروبا ومع ألمانيا . وبالرغم من التشدد بوجود التضامن السلافي في تلك البلاد ، فإن تجارة يوغوسلافيا لم تزد في وارداتها من روسيا عن ٩ ٪ وفي صادراتها إلى روسيا عن ١٢ ٪ في سنة ١٩٤٦ .

وتدل البيانات التي أعلنت في يونيه سنة ١٩٤٧ على أن روسيا تشغل الحقل السابع بين زبائنها ، والحل الحادى عشر بين الموردين لها . وهذا ما يفسر قوة تشيكوسلوفاكيا نسبياً في موقفها نحو الاتحاد السوفيتى . ولذلك عند ما أعلنت حكومتها أولاً الرغبة في الاشتراك في مؤتمر باريس الذى عقد لمشروع مارشال ، بذلت روسيا جهداً كبيراً لسد هذا الخرق

الوحيد في البنيان الذى أقامته بينها وبين الغرب ؛ وعملت لزيادة ربط تلك البلاد بالنظام الاقتصادى في تلك المنطقة . وكان من نتيجة ذلك أن بذلت وسائل الترغيب ؛ فعدت معاهدة تجارية ستضمن للتشيك أن يحددوا عملاً طوال خمس السنوات القادمة . فقد تم الاتفاق على أن تقدم روسيا مقادير ثابتة من القمح والمحاصيل والقطن والمعادن الخام ، في نظير تقديم التشيك لآلات وأدوات بما يقدر بنحو مائة مليون من الجنيهات . ومع ذلك قد لا يكون هنالك خطر من تابعة تلك البلاد لروسيا واعتمادها عليها ؛ فإن حكومتها متيقظة للنتائج السياسية التي تنجم عن إدارة الحياة الاقتصادية في أى بلد بوساطة عميله الأساسى .

ولقد عقد اتفاق أيضاً بين السوفييت والمجر في شهر يولية الماضى ، وهو يسرى لمدة اثنى عشر شهراً . وهو اتفاق أكثر شمولاً ؛ إذ يقضى بتبادل المواد الخام الروسية بدلا من الآلات الحجرية والألومنيوم والبترول بما يقدر بنحو ١٧ مليوناً من الجنيهات الإنجليزية ، وهو مبلغ يزيد قليلاً عن مجموع صادرات المجر في سنة ١٩٤٦ . على أن الصادرات الزراعية للمجر

التي سترسل لروسيا لا تزيد على ١٥٪ كما هو الحال بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا؛ فإن موسكو مهتمة بالآلات التي تحتاج إليها لمشروع خمس السنوات، ولكي تحصل على هذه الآلات ضاعفت من كمية الفحم الحجري وزادت خمس مرات كمية الحديد الخام الذي تصدره للمجر في سنة ١٩٤٦. ولذلك فهي تقدم ثلث حاجة المجر من هذين النوعين. على أن تحسن الموقف الاقتصادي السيء جداً للمجر لا يكون إلا بتغيير أساسى في سياسة التعويضات التي تسير عليها روسيا والتي لم تكف تبنى للبلاد شيئاً.

هذان الاتفاقان هما أحدث الاتفاقات التي عقدت لبلوغ روسيا غرضها الأول، وهو تقوية الاقتصاد الروسى الداخلى، بربطه بالنشاط الاقتصادى لدول شرق أوروبا وجنوبها الشرق حتى تسد هذه الدول حاجتها. وهي تعمل كذلك في نشاط للوصول إلى الغرض الثانى وهو زيادة النشاط الصناعى في تلك المنطقة. وهنا نجد أن لتشيكوسلوفاكيا مركزاً ممتازاً بالنسبة لكفاية صناعة الهندسة فيها وبقى هذه الصناعة. فهي سترسل إلى بولونيا ما يقدر بثمنه بنحو أربعة ملايين من الجنيهات من الأدوات لمساعدتها في إقامة صناعة صلب جديدة تستطيع أن تخرج مليون طن في السنة، ولكي تحسن موانئها وتزيد صناعة الفحم في سيليزيا العليا بماء. وستعطى يوغوسلافيا مثل هذا المقدار من الآلات وأدوات التعدين في نظير بعض المواد. وترسل إلى بلغاريا من الآلات ما ثمنه مليون ونصف مليون في نظير بعض المواد أيضاً. ويتم كل ذلك في خمس سنوات. ولو سارت الأمور سيراً طبيعياً فإن تشيكوسلوفاكيا ستصير مصنع أوروبا الشرقية.

ومن الاتفاقات الحديثة في تلك المنطقة اتفاق الصداقة بين يوغوسلافيا وبلغاريا، وهي خطوة أولى لإنشاء اتحاد بينهما. ويحتوى هذا الاتفاق على عدة نصوص اقتصادية، مع أن الدولتين لا تتم إحداها الأخرى. أما رومانيا وهي دولة لديها ثلاثة أنواع من الصادرات ذات شأن كبير، وهي البترول والخشب والمنتجات الزراعية، فقد أخذت تعيد اقتصادها المحطم بوساطة اتفاقات تجارية مع كل دولة من هاته الديمقراطيات الجديدة. ولاتفتاً موسكو تردد إلى جانب هذه الاتفاقات، دعاية عريضة عن أخطار العبودية للنظام الرأسمالى

الاحتكاري الذي يهدد أية دولة من دول شرق أوروبا تفضل الاشتراك في مشروع مارشال . ومع ذلك فقد بدت في المؤتمر الذي عقدته أحزاب شرق أوروبا الاشتراكية رغبة في اجتناب الخضوع الكامل لحاجات روسيا الاقتصادية ، وهو ما تعمل له سياسة السيوسيد . وقد عقد هذا المؤتمر في بودابست وأبدى فيه بعض وزراء تلك الدول من الاشتراكيين ما يدل على رغبة في زيادة التجارة مع دول غرب أوروبا .

وفي رأي الكاتب أن ليس ثمة مانع من إيجاد علاقات اقتصادية مع دول غرب أوروبا ، مع الاحتفاظ بما لروسيا من رغبة في إيجاد كتلة اقتصادية شرقية موحدة . فإذا أردنا أن نفحص أغراض روسيا من سياستها في القريب العاجل ، وأغراضها البعيدة ، فإن غرضها البعيد قد يكون

احتكار الاقتصاد في شرق أوروبا احتكاراً تاماً ، مع عدم السماح بالاتصال بالغرب ، إلا عن طريق وكالة اقتصادية للمنطقة تسيطر عليها روسيا . على أن من أغراض روسيا القريبة ، مع أن أساسها واجبات هائلة لتعمير بلادها بما يضطرها للوصول إلى اتفاقات في نواح متعددة ، رغبتها على الرجوع ، في التجارة مع الغرب والسماح للآخرين بذلك ، مادام هذا العمل يوطد النظام السوفييتي . فروسيا تريد الأموال من الغرب والتجارة مع الدول الصناعية ، ولكن على الشروط التي تضعها هي . وهذه الاتفاقات التي تربط اقتصاد شرق أوروبا بها مما يزيد قوتها في المساومة . ومع ذلك فإن التنظيم الاقتصادي لشرق أوروبا يتمشى مع التسلط السياسي لروسيا على تلك البلاد .

لوس انجليز

لعل من أمتع الأوصاف التي قرأناها لمدينة لوس انجليز البلد الشهير في كاليفورنيا وصفاً ديجو قلم الأديب الانجليزي كرمستوفر ايشارود الذي هجر انجلترا إلى أمريكا في أول الحرب الأخيرة ونشره في عدد أكتوبر من « هوريزن » الذي كان مخصصاً لأمريكا والحياة الأمريكية . غير أن هذا الوصف طويل لا نستطيع نقله جميعاً ، وإنما نكتفي بأهم

العبارات التي يمكن أن تساعد على تكوين فكرة عن هذا الوصف البديع .

فهو يقول إنه لكي يرى المرء مدينة لوس انجليز في أسوأ حالاتها يجب أن يكون ذاهباً إليها في سيارة كبيرة من النوع الذي يستعمل لسياحة عدد كبير من الناس ، ويفضل أن يكون ذلك في الصيف ، وفي ليلة السبت ، وهذا ما فعله ايشاروود نفسه . فقد جاء إليها منذ ثمانى سنوات بعد أن قطع الأرض الأمريكية من شرقها إلى غربها ، أى من واشنطن مارا بنيو أورليان وألبازو والبوكيرك وفلاجستاف وأريزونا . وبينما كانت السيارة تقطع الخط الحديدي في فيدلز ، وهو مكان من أحر الأماكن في العالم خارج بلاد العرب ، أخذت سيدة من السياح نشوة الوطنية ، فبدأت تغنى «هأنذا آتى إليك يا كاليفورنيا !» وفي أمريكا يفعل الناس مثل هذا الأمر بلا مبالاة إذا كانوا في سفر طويل . فتلك البلاد لا تزال محتفظة بالجو الذي كان يصحب العربة المغطاة التي تجرها الخيل . ومع ذلك كان تأثير غناء السيدة مؤثلاً ؛ إذ كانت تمتد أمام السائحين صفراء صفراء قدرة ترتعد تحت وهج الشمس ، كأنها النار في

فم أحد الأفران ، على حين ترى هنا وهناك بين الصخور التي على جانب الطريق هياكل سيارات متروكة قد علاها الصدأ ، وهي النوع الحديث الذي يماثل تلك البغال التي كانت تسقط ميتة من الاعياء زمن المستكشفين القدماء ؛ فكانت السيارة الكبيرة تسير في أرض ليست أرض ميعاد . ثم يقول إن مدينة لوس انجليز تعتبر في داخلها من أحر مدن الولايات المتحدة . فأكثر بناياتها على جانبي الشارع الرئيسي فيها قديمة نسبياً ، ولكن القدم لم يكن رفيقاً عليها ، فهي بنايات بادية الحفارة وبادية القدم كأنها شيخ شرب . وتجد الشوارع الأخرى خاصة بالبحارة والمكسيكيين ، ولكن المدينة خالية من البريق الذي يصحب المواني ، والسحر الذي يوجد في المدن المكسيكية . وقد لا تمضي خمس وعشرون سنة ، حتى يهدم هذا القسم من المدينة ويعاد بناؤه ؛ فان لوس انجليز مصرة على أن تصبح عاصمة كبيرة بأية وسيلة . فهي اليوم مجرد بلدان وقرى مضمومة بعضها إلى بعض ، وتمتد عريضة يضاء في الوادى المائل بين الجبل والمحيط الهادى . وقد اعتاد سكانها أن يقطعوا المسافات البعيدة في سياراتهم

بين العمل والدار وأماكن التسلية . يأكله في الليل ، فإذا جاء الصباح وليس غريباً أن يقطع الواحد منهم ثمانين ميلاً في اليوم . وأكثرهم يملك الواحد منهم سيارة أو يكون له الحق في استعمال سيارة ؛ وهي ضرورة لا مجرد مسألة كالية ؛ لأن وسائل النقل بالسيارات الكبيرة غير منتظمة ، فليس هنالك طريقة غير السيارات الخاصة .

ويقول : إنه يوجد في تلك المدينة عمارات من جميع أنواع الطراز المعروفة في الأبنية — منها ما هو على الطراز المكسيكي ، ومنها ما هو على الطراز الأسباني ، ومنها الفرنسي والانجليزي القديم والأمريكي في زمن الاستعمار والياباني . ويوجد فضلاً عن ذلك ما يبعث على الدهشة المباغتة : فتجد منزلاً صغيراً كأنه منزل ساحرة تمتد منه أسلاك وخيوط تكاد تتصل بالأرض ؛ وتجد معبداً مصرياً مزيناً بحروف هيروغليفية ؛ وحصناً صغيراً من حصون القرون الوسطى وقد وضعت عليه المدافع تطل من سطوحه . ولعل السينا هي المسئولة عن وجود هذه الأبنية . وبعض الأبنية ليس له من الثبات والحقيقة الا مظهره ؛ حتى ليتوقع المرء أن تأتي عصاية من النجارين ومعها عربة نقل فتقل حطام البيت

ويقول : إن بلاد كاليفورنيا هي بلاد محزنة مثل فلسطين وجميع البلاد التي هي أراضي ميعاد ؛ فتاريخها القصير كأنه صحيفة هي يتبين عليها رسم بعدد المهاجرين ؛ فهناك الهجوم لامتلاك الأرض ، والهجوم للبحث عن الذهب ، والهجوم للبحث عن البترول ، والهجوم من أجل العمل في السينما ، والهجوم من أجل زراعة فواكه الأوكي ، والهجوم في زمن الحرب للعمل في مصانع الطيران . ويتبع ذلك في كل نوع من هذه الأنواع هجرة مضادة يقوم بها أولئك الذي أصابهم الاخفاق وخيبة الأمل وهم يتحركون في حزن عائدين إلى موطنهم . لذلك تجد الكثير من

القوى التي تهدد أخلاق المهاجرين ،
أما القوة الأخرى وهي أشد فتكا
فتلك هي الرخاوة والفتور . فهناك
في الصباح الدائم الكسول على ضفاف
المحيط الهادئ تمضي الأيام فتصير
شهوراً وتمضي الشهور فتصير سنين ،
دون أن تجد إلا أبسط الفرق بين
الفصول . إن هناك أمراً واحداً مركزياً
هو سطوع الشمس دائماً . وود يفنى
الإنسان حياته بين فترتي ثناؤب وهو
تمدد عارى الجسد قد لوحته الشمس
على الرمال . فالأشجار تحتفظ بخضرتها ،
والزهور دائمة النضرة ، والفتيات
الجميلات والفتيان الأشداء راكبون
دائماً على ظهور الأمواج . وليس
الفتيان والفتيات ، والأزهار والأشجار
التي تراها هي دائمة لا تتحول ،
ولكنك لا تكاد تلاحظ تغييرها .
فالشيخوخة والموت لا تستديم هناك
كأنما هي غير طبيعية ؛ كتلك الغواصات
اليابانية التي كانت تجوس خلال
الشاطئ في زمن الحرب وتغرق السفن
أحياناً وهي على مرأى من الأرض .
ولا حاجة إلى وصف المقابر المترفة التي
كانها حدائق ، والتي تدعو الزائر
إلى العمل للراحة الكبرى ؛ فإن
أندس هكسلي قد أبدع في وصف ذلك
في كتابه : « بعد كل صيف » . على أنه

الناس في وسط أمريكا وفي شرقها
يشعرون بمرارة شديدة وحنق على
كاليفورنيا بوجه عام ، وعلى لوس أنجلز
بوجه خاص . فهم يجهرن بالشكوى
قائلين إن الحياة فيها لا قلب لها ؛
فهي حياة مادية أنانية . ولكن
الواقع أن لاحق لم في الشكوى ؛
فالذين يذهبون إلى المغرب الأقصى
من أمريكا تكون لهم غايات متطرفة ؛
فهم في أعماق أنفسهم يريدون أن
يجدوا شيئاً من لا شيء ، أو يجدوا
الكثير دون أن يبذلوا إلا القليل
وقد يحدث هذا ، ولكن إذا لم يوفقوا
فيجب ألا يلوموا إلا أنفسهم .
ولنذكر مثلاً واضحاً صناعة السينما ؛
فهى الآن لا تزال كأنها معسكر
لاستخراج الذهب ؛ ولكنها تنظم
نفسها في ببطء وصعوبة كي تؤلف هيئة
اجتماعية منظمة ومحترمة . ولا شك أن
هذا الأمر عمل عنيف . ولا يزال
هنالك أثر لفوضى الأيام الماضية ،
حين كان كل إنسان يعمل لنفسه
والرابع هو الذى يأخذ الثمار . وليس
من السهل على الكاتب الذى يكسب
ثلاثة آلاف دولار في الأسبوع أن يتفق
مع زميله الذى يكسب مائتين وخمسين
دولاراً فقط .
وهو يقول إن الجشع هو أحد

يحسن أن نذكر بعض الاعلانات التي نجدها هناك عنها ، فنجد صورة سيدة متقدمة في السن جذابة وأنيقة (والفروض أنها ردت إلى الحياة بعد الموت) ، وهي تؤكد للجمهور : « إن مقبرة الغابة هي خير من أى مكان ، وإنى أتكلم عن تجربته » .

ولكى يعيش الانسان عيشة سليمة في لوس أنجلز (وأظن ذلك ينطبق على كل مدينة أمريكية كبيرة) يجب أن يتقن الانسان فن استدامة اليقظة . فيجب أن يتعلم (في ثبات وفي غير شدة) مقاومة المقترحات المستمرة التي يريد أن ينيم بها الراديو والاعلانات والسينما والصحف . تلك الأصوات التي كأنها أصوات الشياطين التي تهمس في أذنه عملية عليه ما يجب أن يرغب فيه ، وما يجب أن يخشاه ، وما يجب أن يلبسه ، وما يجب أن يأكله ، وما يجب أن يتمتع به وما يجب أن يفكر فيه ويعمله ويكونه ؛ فهي تعد لك الحياة — من المهد إلى اللحد ثم إلى ما بعده — وقد يكون من السهل ، ومن السهل جدا ، أن تقبل ذلك . فإن حدث أى تراخ

في الانتباه ، أو إهمال في التيقظ ، إذا الأجفان تنطبق والعيون تقفل ، والجسد يتحرك طوعا لأوامر النوم . فاستيقظ ، واستيقظ قبل أن تجد نفسك قد أمضيت عقداً يقيدك سبع سنوات ، أو اشتريت بيتا لا ترغب فيه في الحقيقة ، أو تزوجت من فتاة تحتقرها في نفسك . ولا تمتد يدك إلى زجاجة الويسكى ، فإنها لا تساعدك ؛ بل يجب أن تفكر وتميز ، وتستعمل إرادتك الحرة وتزن أسورك . وأكرر القول بأنه يجب أن تفعل ذلك وأنت في هدوء وتعقل . لأنك إذا غضبت على النوميين ، وإذا حطمت الراديو أو مزقت الجريدة إربا إربا ، فأنك تكون قد تطرفت إلى الجانب الآخر ، وصرت من أولئك الغربي الأطوار . وفي هوليوود تجد نوعين من الناس أحدهما على تقيض الآخر : الكاتب الكبير الذى يعمل للمحافظة على شهرة اكتسبها منذ عشر سنوات ، والزاهد الذى يعلن عن زهده في شكل مسرحى ، فيمشى في الشوارع الكبيرة ، وقد احتذى نعلا ، ولبس سروالا قصيرا ، وأطلق لحيته كالأنبياء ، وهو يردد اللعنة على عصر الآلات !

نظم حديثاً

فطوف للأستاذ عبد العزيز البشري (دار الكاظمى لى مصرى)

أما أهله الأقربون وذوو مودته
من الأصدقاء والحلان ، فيذكرونه
كما كانت الخنساء تذكر صخراً أخاها ،
وتذوب أنفسهم حشرات كلما ذكروه ،
حتى يكاد الحزن ينتهي بهم إلى
اليأس ، كما كانت الخنساء تلقى وتشقى
كلما ذكرت أخاها صخراً ، وكما صورت
الخنساء ذلك أحسن تصوير وأبعده
أثراً في النفوس وأشدّه وقعاً في القلوب
حين قالت :

يذكرنى طلوع الشمس صخراً
وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي
على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخى ولكن
أسلى النفس عنه بالتأسى

وصنع الله لأهله الذين يذكرونه
حين تطلع الشمس وحين تزول وحين
تهوى إلى مغربها ، ولأصدقائه الذين
يذكرونه في تلك الساعات التي كانوا
يلقونه فيها ، في ساعات العمل وجه

النهار ، وفي ساعات الفراغ من آخر
النهار ، وفي تلك الساعات الحلوة من
أول الليل حين يتخفف الناس من
أعمال النهار وأثقاله ، وحين يرسلون
أنفسهم على سجيّتها ، فتفرح وتمرح ،
وتعبث وتمزح ، وتخوض في كل فن من
فنون القول ، وتجول في كل ميدان
من ميادين التفكير .

فقد كان عبد العزيز رحمه الله
أباً برّاً ، وأخاً وفياً ، وصديقاً حميماً .
وكان من أجل هذا كله محبباً
إلى النفوس ، أثيراً في القلوب ، عزيزاً
على الأهل والأصدقاء جميعاً .

والشمس تشرق وتغرب في كل
يوم ، والليل يغمر الكون وينجى
عنه في كل يوم أيضاً ، وفي اختلاف
الليل والنهار وفي تتابع الأيام والأشهر
والسنين ما يجلو عن النفوس غمراتها ،
 ويفرج عن القلوب حشراتهما ، ويعزّي
الأحياء عن الأموات ، وينسى الأحياء
بعضهم بعضاً . ولكنى أعتقد أن
اختلاف الليل والنهار ، وتتابع الأيام

البشرى ، وطبيب النيل على إبراهيم .
كلهم كان عذب النفس ، حلو الروح ،
كريم السجية ، مهذب الطبع ، مترف
الذوق ، مرهف الحس ، رقيق
الشئائل . وهم من أجل ذلك كانوا
متواذنين متحابين ، لا يفترقون إلا
ليلتقوا . ولولا أن خطوب الحياة كانت
تفرقهم على كره منهم لما آثروا على
اجتماع شملهم شيئاً . وكانوا على ذلك
أصدقاء للناس جميعاً ، لا يعرفون البغض
ولا تطمئن نفوسهم إليه ؛ لأن نفوسهم
خلقت من معدن الحب وفطرت على
على سجية الاخاء والوفاء وحسن
المعاشرة . ولذلك لا أعرف أحداً من
الذين عرفوا هؤلاء الثلاثة — وما أكثر
من عرفهم ووصل أسبابه بأسبابهم —
قد تعلّق على واحد منهم بكلمة مؤذية
أو خطة مؤلة أو عمل يحزن أو يسوء .
وإنما نحن نذكرهم جميعاً فيمزق
الأسى قلوبنا ، وتفرق اللوعة نفوسنا .
ولا نكاد نذكرهم مجتمعين أو متفرقين
حتى يأخذنا الشجى لفقدهم ، وتبتسم
نفوسنا الباكية لما تذكر من أعمالهم
وأقوالهم ؛ فهم كانوا ابتساماً على
نغر الحياة في مصر مهما يكن حظ
الحياة في مصر من العبوس والحرج ،
ومن النكر والضيق . وهم كانوا
كغيرهم من الناس يحسبون ويسيثون ،

والأشهر والسنين ، وتعاقب الأحداث
الجسام والخطوب العظام واشتغال
الناس بما يسرهم وما يسوءهم من
شؤون الحياة — كل ذلك وأكثر من
ذلك ليس من شأنه أن يعزى عن
عبد العزيز أهله الأقربين وذوى
مودته من الأصدقاء والأخلاء . فقد
كان عبد العزيز رحمه الله من هذه
القلة القليلة النادرة التى امتازت
بحقة الروح وعذوبة النفس ورقة
الشئائل ، والتى ظفرت من هذه
الخصال بحظ غريب فى طبعه وفى
جوهره ومادته ، إن صح هذا
التعبير ، بحيث لا يبلو الانسان أقله
إلا كلف به أشد الكلف وافتتن به
أشد الافتتان ، وأصبح لا يستطيع له
نسياناً ، ولا يجيد عنه سلوا مهما يلم
به من الخطوب ، ومهما يختلف عليه
من الظروف .
وقد عرفت أنا من هذا الطراز
قلة قليلة استأثر الله ببعضها ، وأرجو
أن يطيل الله بقاء بعضها الآخر .
ومن هذه القلة التى آثرها الله بجواره
الكريم ثلاثة نفر كانوا أجلاء فيما
بينهم ، وكانوا أصدقاء لكل من عرفهم
أو اتصلت به أسبابهم من الناس ،
وهؤلاء الثلاثة هم : شاعر النيل
حافظ إبراهيم ، وكاتب النيل عبدالعزيز

ولكنهم لم يسيثوا تعمداً للإساءة قط ، ولم يسيثوا إلا كانت إساءتهم مهما تقس في أول أمرها مصدر رضا وغبطة وفكاهة ودعابة يعد وقت يقصر أو يطول .

وكلهم نفع الناس في حياته كأحسن ما يستطيع اللسان أن يتفنع الانسان . وكلهم وجد في نفع الناس لذة ومتاعاً ، ولم يحفل بما جنى الناس عليه ولا بما جرعه من فنون الألم وضروب الشقاء . كانوا لا يغضبون إلا ليرضوا ، ولا يبتسسون إلا ليبتهجوا ، ولا يعبسون إلا ليبسموا . فطرت نفوسهم على التفاؤل ، أو خلقت نفوسهم من التفاؤل ؛ فلم يعرف التشاؤم إليها سبيلاً ، ولم يلق الناس منهم إلا خيراً .

كان حافظ يتمتع الساس ويحيي نفوسهم بشعره الرائع . وكان على إبراهيم ينفع الناس ويحيي نفوسهم وأجسامهم بفنه البارِع وعلمه الواسع وتفوقه الرفيع . وكان عبد العزيز يسحر قلوب الناس ويستهوئ الباهيم ، ويملك عليهم أمرهم ، وينسيهم صروف الحياة ، ويعزيهم عن آلامها بمحضرة دون أن يتكلم . فاذا تكلم فقد كان يرق بهم من عالم إلى عالم وينقلهم من حياة إلى حياة . فاذا كتب ونشر فقد كان يأخذ عليهم سبل الاعجاب ، ويضطرهم إلى أن يقرءوا ويقرءوا منفردين قد خلوا إليه دون غيره من الناس . فاذا لقي بعضهم بعضاً تحدثوا عما قرءوا ثم أعادوا القراءة ، ثم أخذوا يذهبون من الاعجاب بما يقرءون كل مذهب ، يسلكون من هذا الاعجاب سبل الجِد وسبل الفكاهة ، وربما شغلوا أنفسهم بذكر عبد العزيز في مجلسهم . كله حتى يتفرقوا ولم يقضوا منه العجب .

أما أهله الأقربون وذوو مودته من الأصدقاء والخلان ، فيذكرونه مصبحين ويذكرونه ممسين ، لا ينسونه ولا يتعزون عنه ، فليس إلى نسيانه أو إلى التعزى عنه سبيل . وأما هذه الكثرة الكثيرة من المثقفين الذين لم يلقوه ولم يستمتعوا بمحضرة ، ولم يقولوا له ولم يسمعوا منه ، ولم ينعموا بفكاهته الخلوة ودعابته الراقصة ونادرتة الحاضرة ، وإنما سمعوا عنه من بعيد أو قرءوا له بين حين وحين ، فإن أمرهم معه كأمرهم مع غيره من الكتاب والشعراء والعلماء ، يستمتعون حين يتاح لهم التمتع ، ويرضون عما استمتعوا به عجّلين ، ثم ينصرفون إلى غيره عجّلين أيضاً ، يطلبون اليهم كثيراً أكثر مما يطيقون ، ولا يعطونهم من أنفسهم إلا قليلاً أقل مما يستطيعون .

إن المثقفين جميعاً يؤمنون بأن حافظاً كان شاعراً محلاً ، وبأن عبد العزيز كان كاتباً ممتازاً ، وبأن علي إبراهيم كان جراحاً متفوقاً . قد أقرأ ذلك في أنفسهم ، وسجلوه في قلوبهم ، وآمنوا به عن علم أو عن غير علم ، ثم لم يزيدوا على ذلك . فكم عدد الذين يطيلون القراءة فيما نظم حافظ ، وما كتب عبد العزيز ، ويطيلون للتفكير فيما امتاز به علي إبراهيم !

لم يمض ربع قرن على وفاة حافظ ، والناس يعدونه الآن شاعراً من الشعراء البارعين كما يعدون الشعراء القدماء . ولم تمض إلا أعوام قليلة على وفاة عبد العزيز ، والناس يعدونه كاتباً مجيداً كما يعدون غيره من الكتاب القدماء . ولم يدر العام بعد على وفاة علي إبراهيم والناس يؤمنون له بالتفوق في الجراحة والطب ثم لا يزيدون على ذلك شيئاً . وقد يكون هذا ملائماً لطبيعة الأشياء ؛ فالملوت يلغى الزمن بالقياس إلى الموتى . ومن مات مات . وأفهم من هذه الجملة اما تستطيع أن تفهم . مات بالقياس إلى نفسه ، ومات بالقياس إلى أكثر الناس ، وربما مات إلى أشد الناس اتصالاً به وقرباً منه .

مات ولم تبق منه إلا هذه الذكرى التي تظل مضطربة متأججة في بعض القلوب حتى تخمد حين تكف هذه القلوب عن الحفقات ، وتظل في سائر القلوب أشبه شيء بهذه الأسماء التي تكتب على اللاتنات ، ينظر الناس إليها أحياناً ، ويمرون بها معرضين عنها في أكثر الأحيان . لا يعتمدون النظر إليها إلا إن احتاجوا إليها ليستعينوا بها على التماس ما يبحثون من طريق . فالذين يؤرخون الأدب الحديث سيعتمدون تذكر حافظ وعبد العزيز وإطالة التفكير فيهما . والذين يؤرخون الجراحة الحديثه سيعتمدون تذكر علي إبراهيم وإطالة الوقوف عنده . وأولئك وهؤلاء سيقفون عند هؤلاء الأشخاص كما يقف المتجول في مدينة القاهرة عند هذه اللاتنة أو تلك ليتبين طريقه إلى الغاية التي يريد أن يصل إليها .

ولست أدري أخير هذا أم شر ، ولكني أعلم أنه الحقيقة الواقعة من جهة ، وأكاد أعتقد أنه العقوق ، وأن هذا النوع من العقوق قد ركب في طبائع الناس ، فهم يسرعون إلى نسيان من أحسن إليهم ، وهم يضيعون على أنفسهم بهذا النسيان منافع كثيرة ومتاعاً عظيماً . وآية ذلك أنك تقرأ .

الأثر القديم الذي مضت عليه القرون الطوال من آثار الأدباء والعلماء ، فتجد اللذة كل اللذة والنعم كل النعم ، وترثي للذين لم يقرءوا هذا الأثر من هذه الأجيال التي لا تحصى ؛ لأنهم لم يقرءوه ولم يستمتعوا به . فالذين لا يقرءون اليوم حافظا ولا عيد العزيز قد دفعوا إلى هذا العقوق الذي ركب في طبيعة الناس ، فأضاعوا على أنفسهم شيئا كثيرا ، ما أجدرهم ، لو أحسنوا التفكير والتقدير ، أن يستدركوه ولا يفرطوا فيه .

وقد كنت من المفتونين بحديث عبد العزيز حين يتحدث ، ومن المفتونين بآثاره حين يكتب . وقد توسلت إليه حين أزمع نشر « المختار » أن يأذن لي بتقديمه إلى الناس . وشهد الله ما تكلفت ولا تزديت ، وشهد الله ما جاملت وما صانعت ، وإنما علمت فقلت بعض ما علمت ، ورضيت فقلت أيسر ما يوجب الرضا . وإني لأراني مع عبد العزيز في تلك الغرفة التي كان صديقنا على عبد الرازق قد استأجرها في ربيع من ربوع خان الخليلي وكنا نلتقي فيها حين تتفرق عن دروس الفقه وحين يرتفع الضحى لنقرأ بعض كتب الأصول أو بعض كتب

البلاغة . وكان عبد العزيز يلهينا بدعابته ونكاهته عن جد البلاغة والأصول . ثم لم يلبث أن ضاق بهذا الجد فأنسل منه كما تنسل الشجرة من العجين ، ودون أن يلقي كيذا . وأقمنا نحن على هذا الجد ننفق فيه حياتنا ، ونزعم لأفلسنا أننا كنا نغدو به العقول والقلوب . وإني لأراني مع عبد العزيز وعلى عبد الرازق في هذه الغرفة نفسها بعد أن تصلى العصر ، نقرأ معا كتاب الكامل للمبرد ، نحصل بهذه القراءة الأدب كما كنا نحصل البلاغة والأصول بقراءة الضحى . وكان مزاح عبد العزيز وتندرته يصرفاننا عن هذا التحصيل كما كانا يصرفاننا عن ذاك . ثم لم يلبث أن النسل من هذا التحصيل كما تنسل الشجرة من العجين ودون أن يلقي كيذا . ذلك لأنه ، رحمه الله ، كان أقل الناس حبا للاستقرار وميلا إلى الامعان في طريق واحدة . فطرب على حب التنقل ، على حب التنقل المادى والمعنوى جميعا . فكنت تراه مصبعا في هذا الحى من أحياء القاهرة في الأزهر أو قريبا منه ، فإذا صليت الظهر رأيته في حى آخر من أحياء القاهرة ملما بدار الكتب أو قريبا منها في قهوة من قهوات باب الخلق .

فاذا صليت العصر رأيته في حى آخر
 من أحياء القاهرة في قهوة من هذه
 القهوات التى كان الأدباء يختلفون
 إليها في حى الأزبكية . فاذا صليت
 العشاء الآخرة رأيته في غير حى من
 أحياء القاهرة ، تلقاه عند آل
 عبد الرازق في عابدين ، وتلقاه عند
 غيرهم من ذوى المكانة والجاه ، وقد
 تلقاه في قهوة من قهوات الناصرية
 مع جماعة من الأدباء صدرهم حافظ
 إبراهيم رحمه الله . كل ذلك حين كنا
 طلاباً قبل أن تشب الحرب العالمية
 الأولى ، وقبل أن تتغير الدنيا
 ويتحضر هذا الجيل من أجيال
 المصريين بعد انقضاء الحرب الأولى
 وشبوب الثورة الوطنية واشتجار
 الخلاف بين السعديين والعديلين ،
 وانتقال مركز النشاط لهذا الجيل إلى
 مكان آخر من مدينة القاهرة . فكنت
 ترى عبد العزيز في ذلك الوقت في
 « بار اللواء » أثناء الأصيل ، وفي
 « الكافيه ريش » حين يقبل الليل ،
 وفي الأهرام أو غير الأهرام من دور
 الصحف حين يتقدم الليل . وربما
 رأيته أثناء النهار أو أثناء الليل عند
 هذا العظيم أو ذاك من عطاء
 العدليين .

ثم تتغير الدنيا مرة أخرى
 ويأنلف المختلفون ويتفق المختصمون
 فاذا عبد العزيز يغشى مجالس
 السعديين وأنديتهم كما كان يغشى
 مجالس العدليين وأنديتهم . ولكنه
 على كل هذا التنقل وعلى كل هذا
 الاضطراب بين أحياء القاهرة كان
 يثبت على مكان واحد يختلف إليه
 مهما تكن الظروف والأحداث ليلقى
 فيه على إبراهيم وأصحابه ساعة من ليل .
 وفطرت نفسه على حب التنقل
 المعنوى ، فكان يشارك في علوم الأزهر
 طائعاً أو كارهاً . وماذا يصنع وهو
 ابن شيخ الاسلام وقد سلكه أبوه
 رحمه الله مع الأزهرين في نظام واحد
 وكان يشارك في أدب القدماء وفي
 أدب المحسدين وكان يلم بالأدب
 الأجنبي إلماماً قصيراً من بعيد . وكان
 يحاول أن يتعلم اللغة الفرنسية ويعرف
 منها أطرافاً ويتندر بها في حديثه
 العذب . وكان قد أدمن قراءة
 « الأغاني » ففصح لسانه إلى أبعد
 غاية من غايات الفصاحة وآثر في
 حديثه جزالة اللفظ ، وأعانه صوته
 المتين الملىء على التضخيم والتفخيم
 والترصين . وكان من أروع ما يروى
 حين تسمع إليه متحدثاً بلفظ الجاحظ
 وأبى الفرج أن تستخفك اللفظة
 الفرنسية قد اتزلفت بين هذا الكلام

العربي الرصين اللين من حيث لا تدري أنت ولا يدري هو .
ثم يريد الله أن تعدوا العوادي ، وأن تدلم الخطوب ، وأن نفقد عبد العزيز على غير توقع لفقده ، وإذا نحن نحرم هذا المتاع الغريب النادر الذي كنا نبحه حين نتحدث إليه ونستمع له وإذا نحن مضطرون إلى أن نستحضر حديثه بقراءة ما ترك لنا من الآثار ، نقرأ ويخيل إلينا أننا نسمعه يتحدث ، فتجد ذلك مزاجاً غريباً من اللذة الأليمة والسرور الحزين .

ثم يتحدث إلى أحد أصدقائي ذات يوم بأن لعبد العزيز آثاراً لم تجمع في كتاب ، نشر بعضها في المجلات وأذيع بعضها في « الراديو » وأعد بعضها للنشر أو للاذاعة ، وكان عبد العزيز يهبها كلها لتجمع في سفر أو سفرين ، فأعجله الموت عن ذلك . فلا أكاد أسمع هذا النبأ حتى ألح على صديقي في أن يصل الأسباب بيني وبين هذه القطوف ، فيتاح لي ذلك . فلا أقرأ ولا أستقصي ، وإنما أزمع نشر هذه الفصول وفاة بما لهذا الأديب العظيم من حق ، ورعاية لما لهذا الصديق الكريم من حرمة .

لا أقرأ ولا أستقصي إحلالاً لآر عبد العزيز أن نقرأ أو نستقصي قبل أن تقدم إلى المطبعة ؛ فقد كان راضياً عنها ، وهذا يكفي . تطيع هذه القطوف وترسل إلى في فرنسا ، فأخلو إليها في هذه القرية الثانية من قرى الجبل أياما ، فلا أشك في أني لم أخطئ حين وثقت برأى عبد العزيز في قطوفه ؛ فهي الأدب كل الأدب . وهي الفن كل الفن ، وهي الكلام الذي يجمع إلى رصانة الأدب القديم وجزائته خصب الأدب الحديث وثروته . وهي على ذلك كله إذا ضمت إلى ما جمع من آثار عبد العزيز صورة فذة لا نظير لها في الأدب المعاصر . فهي فصل مستقل من تاريخنا الأدبي يصور لنا من ألوان هذا التاريخ لاجده عند كاتب آخر من كتابنا المعاصرين ، لا أكاد أستثنى منهم إلا صديقنا المازني .

فبعد العزيز أشد كتابنا المعاصرين عكوفاً على حياتنا المصرية ، وعلى حياة القاهرة خاصة ، وعلى حياة الطبقة الوسطى من أهل القاهرة بنوع أخص . وهو أشد كتابنا نفوذاً إلى دقائق هذه الحياة وسرائرها ، وأشداهم تمثلاً لخلاصتها ، قد خالطت نفسه ، ومازجت دمه ، وانطلقت على لسانه حين كان يتحدث ، وجرت مع

السفر ، فاذا أنا أفرا ثم لا أشك في أنى
قد أهدبت بفسره طرفة من أقوم
الطرف وأشدها إمتاعا إلى المثقفين من
قراء العربية عامة وإلى الشباب منهم
خاصة . فما أعرف أن كاتباً من
الكتاب المعاصرين أتيح له من
التوفيق مثل ما أتيح لعبد العزيز
في هذه الفصول التى تسجل من
من حياتنا ما كاد يضيع ، وتسجله
في أروع لفظ وأبرعه وأجزله وأمله ،
وما أشك في أن كثيراً من هذه
القطوف لو ترجم إلى بعض اللغات
الأوربية لفتن به كثير من أهل
الغرب فتونا .

ولو علمت أنى أستطيع أن أثير
على وزراء المعارف فتسمع منى وتقبل
مشورتي لأشرت عليها في أن تجعل
كتب عبد العزيز البشرى ، وهذا
الكتاب منها خاصة ، بين الكتب
التي تدرس في المدارس الثانوية ؛ فإني
أعرف أقدر منه على تحبيب الأدب
العربى إلى الشباب وتربيته في قلوبهم ،
وإقناعهم بأن لغتنا الفصيحة القديمة
تستطيع أن تؤدى من المعاني
والأعراض ما تقتضيه الحياة الحديثة
دون أن يمسها من ذلك نصب
أو لغوب .

رحم الله عبد العزيز ، وحيأ

قلمه حين كان يكتب . فهى أصدق
مرآة وأصفاهها للحياة المصرية فى عصر
الانتقال . وقد كان عبد العزيز رحمه
الله يحب أن يصور المعاصرين ويجلو
صورهم فى أصول رائدة دلت سحر
بعنوان « فى المرأة » ثم جمعت بعد
ذلك فى سفر أرجو ألا يكون قد
نتج من أيدي الناس .

فأقرأ « قطوفه » هذه ، فتمتري
فى كل فصل من فصولها مرآة مصقولة
صافية صادقة أرى الصدق ، لاتعكس
صورة فرد من الأفراد ، وإنما تعكس
صورة بيئة من البيئات ، أو جماعة
من الجماعات ، أو لون من ألوان
التفكير المصرى ، أو فن من فنون
السيرة المصرية فى هذا الطور أو ذاك
من أطوار الحياة . فاذا فرغت من
قراءة هذه « القطوف » فقد استغرب
فى نفسك صورة كاملة شاملة دقيقة
لحياة مصرية ذهب أكثرها وبقى
أقلها ، ولحياة مصرية جديدة ناشئة
م يتم تكوينها بعد ، ولكن عبد العزيز
سبق يذكائه النافذ وملاحظته الدقيقة
إلى التنبؤ بحقائقها وبما سيختلف عليها
من الأطوار .

وكنت أقدر أن رعاية حرمة
الأدب والوفاء بحق الصديق هما
الذان قد دفعانى إلى نشر هذا

للأدب العربي من يقوم مقامه . كل شيء ، ورحمته وسنت كل إنسان ؛
ولولا الثقة بالله لقلت كما قال فليعوض الله من عبد العزيز خيراً ،
الحجاف في العصر القديم : « وما أراه وليسبح الله على عبد العزيز رحمة
يفعل » . ولكن قدرة الله وسعت ونعمة وثوابا .

كتاب السياسة لأرسطاطاليس ترجمة لأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد باشا
(لجنة التأليف والترجمة والنشر)

أستاذنا الجليل أحمد لطفي السيد
باشا ، داعية أرسطاطاليس في الشرق
الحديث ، كما قال صديقنا الدكتور
محمد كامل حسين بك . ولكنه داعية
الفلسفة بوجه عام ، والفلسفة
السياسية خاصة قبل أن يكون داعية
لأرسطاطاليس . عرفنا ذلك منذ عرفناه
في أوائل هذا القرن حين كنا نختلف
إليه مع أترابنا في الجريدة ، فنسمع
منه أحاديث كانت تقع من نفوسنا
أغرب المواقع وأشدها إيثاراً لحب
الاستطلاع . فقد كنا نسمع منه
أسماء غريبة لم يكن المعمون يسمعونها
في الأزهر ، ولم يكن المطربشون
يسمعونها في مدارسهم الثانوية
والعالية . كنا نسمع أسماء مونتسكيو
وفولتير ، وجان جاك روسو ، وديدرو ،
وإيمانويل كانت ، وأوجوست كونت ،
وستيوارت مل ، وجول سيمون ،
وسينسر . وربما سمعنا منه أسماء
ديكارت ، وليبنيز ، ومالبرانش ،
وسبينوزا . وكانت هذه الأسماء تثير
في نفوسنا عجباً وإعجاباً في وقت
واحد . كانت تثير العجب لوجود
طوائف من العلماء والفلاسفة لم
يكن يخطر لنا وجودهم على بال ،
ولوجود ألوان من العلم والفلسفة لم
نكن نقدر أن وجودها شيء ممكن أو
معقول . فقد كنا نحسب أن العلم
كله في الأزهر أو أن العلم كله في
المدارس المدنية ، فإذا هذا الرجل
الساحر يظهر لنا أن الأزهر والمدارس
والمعاهد العالية لم تكن تعلمنا من
العلم إلا أقله وأيسره ، ويفتح لنا
آفاقاً ما كنا نقدر أنها ستفتح لنا في
يوم من الأيام .
وقد أحس إقبالنا على هذه
الألوان من المعرفة ، وعجزنا عن أن

الأزهر ، وإلى المثقفين المدنيين بلغة الثقافة المدنية . ولعل الذين يحققون تاريخ الأدب العربى فى آخر القرن الماضى وأول هذا القرن ، ينتهون إلى أن لطفى السيد هو الذى وفق للملاءمة الرائعة بين لغتى هاتين الثقافتين . فقد كنا نحن الأزهريين نكاد نظير فرحاً حين كنا نسمع منه ألفاظ الجنس والفصل والخاصة والقول الشارح ، والجوهر ، والعرض ، والمقولات ، نجد فى ذلك شيئاً من الأنس إلى هذا المطربش المترف لم نكن نجده عند غيره من المطربشين المترفين . كنا نأنس إليه حين يحدثنا بلغتنا وأعجب به حين يحدثنا بلغة الثقافة الأوربية . وكان أترابنا من شباب المدارس يأنسون إليه . حين يحدثهم بلغة الثقافة الحديثة ، ويعجبون به حين يحدثهم بلغة الأزهر ، وكنا نلتقى جميعاً فى الإعجاب به والأنس إليه . وقد كنا نحن الأزهريين نعرف اسم أرسطاطاليس لكثرة ما كنا نسمعه فى دروس المنطق والفلسفة والتوحيد . ولكننا لم نكن نعرف من أرسطاطاليس إلا أنه فيلسوف يونانى يحسن الكلام عن الهوى والصورة ، وعن الجوهر والعرض ، وعن الموجود والمعلوم ، وعن الحد والرسم والقياس .

نبغ حاجتنا منها ؛ فأزعم أن يعلمنا من ذلك ما لم نكن نتعلم فى الأزهر والمدارس ، وسلك إلى تعليمنا طريقين : إحداهما طريق الأحاديث والحوار ، كما كان سقراط يعلم شباب الآتنيين . والمحاضرات المنظمة التى كان يلقيها هو أو يلقيها بعض أصحابه من الكبار حين يقبل المساء ، فى موضوعات بعينها تسمى فلسفة السياسة ونظم الحكم . والطريق الأخرى هى الطريق الحديثة التى يسلكها العلماء المعاصرون إلى تثقيف الشباب وتربيتهم . فقد كان يتخير الذين يحسنون اللغة الفرنسية أو الإنجليزية ، ويعطيهم بعض الكتب اليسيرة ويكفهم أن يحاولوا ترجمتها وأن يظهروه على نتائج هذه المحاولة بين حين وحين . بحيث كانت الجريدة فى أول النهار وفى أول الليل إرهاباً بالجامعة قبل أن تنشأ الجامعة ، وبكلية الآداب قبل أن توجد كلية الآداب . وكان أحمد لطفى السيد قد اتصل منذ شبابه الأول بالأستاذين الامامين جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده . واتصل كذلك بآخرين من شيوخ الأزهر الممتازين ، فدفعه هذا الاتصال إلى أن يعنى بالفلسفة الإسلامية ، ويقرأ المنطق والكلام ، وما بعد الطبيعة ، ويتحدث إلى الأزهريين بلغة

وإذا لطف السيد يظهرنا على أن
 أرسطاطاليس هذا يحسن أشياء أخرى
 كنا نفتن بها في ذلك الوقت أشد
 الفتنة ، وهي الأخلاق والسياسة .
 وقد فتننا سياسة أرسطاطاليس فتنة
 لم نجد مثلها بالقياس إلى الأخلاق .
 فقد كنا نسمع حديث الأخلاق في
 الأزهر ، وكان المتأزنون منا يقرءون
 كتاب ابن مسكويه ، فأما السياسة
 فشئ لم نفكر فيه ولم يخطر لنا على
 بال ، بل كنا إذا سمعنا لفظ السياسة
 تصورنا معنى غامضاً من هذه المعاني
 الغامضة التي كان العلم بها مقصوراً
 على فريق قليل جداً من الخاصة بل
 من خاصة الخاصة .
 ولم يكن شئ يخلب ألبابنا كما
 كانت تخلبها ألفاظ الديمقراطية
 والأرستقراطية والايولوجاركية ؛ فقد
 كانت هذه الألفاظ تقع من آذاننا مواقع
 شاذة غريبة ، وتنزل من نفوسنا منازل
 الشغف والحب ، وكنا نجد شيئاً من
 الصعوبة في النطق بها على وجهها ،
 وكثيراً من العذوبة في النطق بها
 مصححة أو محرفة . وكنا ربما تشدقنا
 بهذه الألفاظ في بيئاتنا الأزهرية الخاصة ،
 نظهر لزبائننا أننا نحسن من العلم
 ما لم يعلموا ، ونلقى من لا يتاح لهم
 لتأوهم من الناس . وكنا على ذلك

نكف أشد الكف بأن نعلم علم
 أرسطاطاليس هذا وأصحابه الذين كنا
 نسمع أسماءهم في الجريدة من الفرنسيين
 والانجليز والألمان . ثم تمضي الأيام ،
 ويتفرق هؤلاء الشباب عن أستاذهم ،
 وتختلف بهم مذاهب الحياة متباعدة
 حيناً ومقاربة أحياناً ، حتى إذا انجلت
 غمرة الحرب العالمية الأولى ، عاد كثير
 من هؤلاء الشباب إلى لقاء أستاذهم
 فاستمعوا له وتحدثوا إليه ، وإذا هو
 لم ينس أرسطاطاليس ولم يعرض عنه ،
 وإنما ازداد به كفا وله معاشرة
 وعليه عكوف . فهو لا يكتفى بالتحدث
 عن أرسطاطاليس إلى أمحابه وتلاميذه ،
 وإنما هو يعكف على ترجمة أرسطاطاليس
 يترجمه لنفسه أولاً ؛ فهو يجد اللذة كل
 اللذة في الخلوة إلى هذا الفيلسوف
 العظيم . ويترجمه للمثقفين ثانياً ؛
 فهو أبعد الناس عن الأثرة وأشدهم
 ترفاً عن اختصاص نفسه بما يمتع
 القلوب والعقول . وهو مؤمن بعد
 ذلك بأن النهضة العربية الحديثة
 لن تستقيم لها الطريق ولن تبلغ
 غايتها إلا إذا اعتمدت على نفس
 الأسس التي اعتمدت عليها النهضة
 العربية القديمة ، وهي الثقافات
 الأجنبية التي يسيغها المثقفون إلى
 ما أساغوا من التراث العربي الخالص ،

ويصنعون منها ومن هذا التراث مزاجاً معتدلاً يغذون به الأجيال التي تأتي بعدهم من الناس . وإلا إذ فسد على نفس الأسس التي قامت عليها النهضة الأوربية الحديثة ، وعلى الرجوع بحياة العقل إلى أصولها الأولى ، ووصل ما انقطع من الأسباب من المنكر حسنت وانتكهر القدم . وهو مؤمن بعد هذا وذاك بأن لغته العربية على أساسها حقاً يجب أن يمدى ، وحرمان يجب أن تمنع . وأهم هذه الحقوق والحرمان أن تمنع هذه اللغة بعد فقر ، وتخصب بعد جذب ، وترقى بعد انحطاط . وسبيل ذلك أن تعى كل ما وعته اللغات الراقية الكبرى من ضروب العلم والأدب والفلسفة ، بحيث لا يقع شيء من ذلك موقع الغرابة والشذوذ من الذين يحسنون هذه اللغة ولا يحسنون غيرها من اللغات . وكان يحدثنا بأن من الأسراف الشديد على الناس أن نكلفهم جميعاً درس اللغات الأجنبية والتصرف فيها قديمها وحديثها ، ليظهروا على ما أنشئ فيها من الآثار ، وأن من الظلم الشديد للناس ألا تيسر لهم وسائل العلم بما تنتجه العقول على اختلاف العصور من ضروب المعرفة وفنون الثقافة . وكان يحدثنا بأن

القديماء من المسلمين قد فطنوا . لهذا كله ، فأدوا إلى اللغة حقها وأدوا إلى أصحاب اللغة حقوقهم ، ونقلوا من ثقافات العالم القديم ما استطاعوا أن ينقلوا ؛ فما ينبغي للمحدثين أن يقصروا فيما لم يقصر فيه القديماء . وكان يتقدم إلينا في أن يترجم كل منا ما يستطيع ترجمته من اللغة الأجنبية التي يحسنها إلى اللغة العربية ، ثم يقول في تواضع مبسمة : أما أنا فموكل بسيدينا أرسطاطاليس .

وأحد لطف السيد باشا رجل وقي سيدنا أرسطاطاليس هذا ، لم تشغله عنه الشواغل مهما تكن ومهما تختلف : صحبه في باريس حين أنام مع الوفد في باريس ، واستراح إليه بعد عودته إلى القاهرة من لفظ الحياة السياسية ومن خطوب المناصب العامة التي وليها . لم تصرفه عن أرسطاطاليس إدارة دار الكتب المصرية ولا إدارة الجامعة ولا الوزارات المختلفة التي نهض بأعبائها ولا عضويته لمجلس الشيوخ ولا رياسته لجمع فؤاد الأول للغة العربية . وإنما كان يستريح من هذه الأعباء كلها إلى أرسطاطاليس وربما استعان على هذه الأعباء كلها بأرسطاطاليس . وهو من أجل ذلك قد أخرج من كتب أرسطاطاليس

أجلها خطراً وأعظمها شأناً وأبقاها
أثراً : أخرج الأخلاق ، والطبيعة
والكون والفساد ، وهو الآن يخرج
السياسة . ومن يدري ما الذى يحاول
أن يخرج بعد أن فرغ من ترجمة
السياسة ؟ وقد رأيت في الصيف الماضى
يحاول أن يؤلف من حوله جماعة من
شباب الفلاسفة المصريين ليعيد معهم
النظر فيما ترجم المسلمون القدساء من
منطق أرسطاطاليس .

وأحمد لطفى باشا يعلم — ولا يخفى —
أن أقومَ الترجمة ما نقل عن الأصل
مباشرة . ولكنه يعلم أن العرب قد
نقلت لم آثار اليونان من طريق
السريانية لقلة الذين كانوا يحسنون
اليونانية أيام العباسيين ، وأن الذين
كانوا يحسنون اليونانية حين بدأ هو
بترجمة أرسطاطاليس كانوا لا يوجهون
إلا في الوهم والأسل . فلم يكن من
الممكن ولا من المعقول أن ينتظر
بترجمة أرسطاطاليس حتى يوجد الشباب
الذين يحسنون اليونانية ويحاولون
الترجمة منها مباشرة . وهو يرى
أن شيئاً خيراً من لا شئ ، وأن ما وسع
المسلمين في العصر العباسى ، والأوربيين
في القرون الوسطى ، يمكن أن يسمع
الشرقيين المحدثين في هذه الأيام .
وقد أنفق لطفى باشا جهوداً عظيمة

موفقة ، يحفظها له التاريخ الجامعى
المصرى ، في إعداد جيل من الشباب
يحسنون من اليونانية واللاتينية ما لم
يحسن القدساء . وهو يرى الآن هؤلاء
الشباب يستقبلون نشاطهم الخصب ،
فيشعره ذلك رضا واعتباطاً ، ولكنه
لا يمنعه من المضى فيما استأنف من
ترجمة أرسطاطاليس على النحو الذى
ألفه . وما أشك في أنه سيكون أشد
الناس تشجيعاً لمن يريد من الشباب
أن يترجم كتب أرسطاطاليس هذه
من اليونانية ترجمة مباشرة . والشئ
الحقيق هو أن هذه الكتب التى
ترجمها ، وهى من أقوم الآثار التى
تركها أرسطاطاليس إن لم تكن أقومها .
قد أصبحت الآن بفضل لطفى باشا ،
فريضة المتناول من الذين يستطيعون أن
يقرأوها في أصلها اليونانى أو في تراجمها
إلى اللغات الأوربية الحديثة . والشئ
الحقيق أيضاً ، هو أن أستاذنا لطفى
باشا السيد ، وأستاذنا عبد العزيز
باشا فهمى ، يعدمانا ويعلمان الأجيال
الناشئة من الشباب كيف يكون
الاخلاص في ذات الثقافة ، والنهوض
بأعباء العرقة ، والتوفر على
ما ينفع الناس ، في غير ضجيج
ولا عجيج ولا إعلان ، بل في غير
شعور بأنهما يتكلفان جهداً عنيفاً

لم يتعود أمثالها أن يتكلفوه . وما أحب أن أسوء أحداً ، وما أحب أن أعجز أحداً ، وما أحب أن أسر هذين الأستاذين الجليلين ، وإنما أحب أن أقول الحق ؛ لأن الحق يجب أن يقال مهما تكن الظروف . والحق الذي أريد أن أقوله هو أن هذين الأستاذين العظيمين مكانة ممتازة بين أمثالها من أصحاب المكانة الرفيعة في مصر ، هؤلاء الذين يعنون بالسياسة والمال والاقتصاد ، ويستريحون من هذا كله إلى الفراغ ولمو الحديث ، والاكتفاء بأنهم أصحاب التفوق في السياسة والمال والاقتصاد ، ثم يتركون هذه الدنيا بعد أعمار أرجو أن يمد الله فيها ، فيذكر الناس أنهم كانوا من أصحاب السياسة والمال والاقتصاد ، ثم لا يزيدون على ذلك شيئاً .

أما هذان الأستاذان الجليلان ، فقد شاركا أمثالهما فيما يضطربون فيه من شؤون الحياة العامة ، ولكن أحدهما يفرغ لترجمة أرسطاطاليس ، والآخر يفرغ لترجمة جوستينيان . والله الأعشى حين قال :

شتان ما يومي على كورها
ويوم حيان أخى جابر

وكتاب السياسة لأرسطاطاليس ليس

ليس في حاجة الآن إلى أن تفصل القول فيه أو نجمله ؛ فقد تغيرت حياة الناس منذ أول هذا القرن ، وعرف المثقفون ما لم تكن تعرف في ذلك الوقت ، فاصبحوا في غير حاجة إلى أن تعلمهم معنى السياسة كما يتصورها الفلاسفة ، ولا أن نتبهم بأن أرسطاطاليس قد وضع في علم السياسة وفلسفتها كتاباً خالداً فتح للإنسانية آفاقاً ومهد لها طرقاً ما زالت تسعى فيها الآن ، وأن هذا الكتاب قد بلغ من العمر أربعة وعشرين قرناً ، ولكنه على ذلك مازال شاباً مكتمل الشباب ، لا يقبل عالم أو فيلسوف أو مؤرخ على السياسة أو على علم الاجتماع إلا بدأ بالخلوة إليه والنظر فيه .

وكل هذه حقائق كنا نحن نجعلها في أول الشباب ، وأصبحت بفضل لطفي السيد باشا من الأوليات التي يعرفها المثقفون من الجامعيين وغير الجامعيين . فليست في حاجة إذن إلى أن أجهل القول في كتاب السياسة أو أعصله ، ولا إلى أن أبين الصلة بين كتاب السياسة وما سبق اليونان إليه في حياتهم العاملة والمفكرة قبل أرسطاطاليس ، ولا أن أبين تأثير كتاب السياسة فيما كتب الفلاسفة والعلماء والمؤرخون وأصحاب الاجتماع إلى الآن بعد أرسطاطاليس .

لست في حاجة إلى شيء من ذلك ، وإنما أنا في حاجة أي حاجة إلى أن أئبه الشباب من المثقفين إلى هذه القدوة الصالحة التي يقدمها هذان الأستاذان العظميان . وفي حاجة أي حاجة إلى أن ألحّ على الشباب في أن يقرءوا وترجمة لطف السيد باشا لأرسطاطاليس ، وترجمة عبد العزيز فهمي باشا لجوستينيان . وفي حاجة أي حاجة إلى أن ألح على وزارة المعارف في أن تأخذ أساتذتها وطلابها بالنظر في هذه التراجم ، وفي أن تأخذ أساتذتها خاصة بتعليم طلابهم كيف ينظرون في هذه التراجم ، وكيف يوازنون بينها وبين أصولها ، وكيف يتأسسون بهذين الأستاذين العظميين من أساتذة هذا الجيل ، وكيف يعرفون لها حقهما على الشباب وفضلهما على الشفافة ، وكيف يكونون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ويرون المثل الصالحة فيجدون التأثير والاقتداء .

طه حسين

في مجلات الشرق

من تونس

الترتيب العدد ١٢ (ديسمبر ١٩٤٦)

التونسي . وهو شرح على صحيح مسلم ، ويعد الكاتب بما اجتمع فيه من الفوائد ، دائرة معارف في الحديث .

٢ - العلوم اللسانية ، ويمثلها « لسان العرب » تأليف جمال الدين ابن منظور « القفصي » ويراها بما جمع من الشواهد والآيات والأحاديث والأشعار ، أكبر دائرة معارف لغوية عند العرب ، بل في العالم .

٣ - العلوم الأدبية والتاريخية ، وقد عني بها في هذا العصر - على الأقل - ثلاثة رجال من التونسيين ، هم : محمد بن الأبار ، ونور الدين بن سعيد المغربي ، وابن خلدون . أما أولها فله مما يعد من الموسوعات :

(١) الحلة السيرة ، وفيه تراجم الشعراء من أعيان الأندلس والمغرب من المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة ، وقد نشرت

يتحدث الأستاذ عثمان الكعاك عن « عصر الموسوعات » في الحضارة التونسية ، فيعد أن يتحدث عن الموسوعة ما هي ، ويضرب لها الأمثلة مما يعرف قراءه ، كفاتح العلوم للخوارزمي ، ونهاية الأرب للتويري - يخلص للحديث عما يسميه عصر الموسوعات في تونس ، ويعني به القرنين السابع والثامن بعد الهجرة ؛ « لأنهما القرنان اللذان ألف فيهما التونسيون الموسوعات الجليلة ، ودوائر المعارف الفخمة ، والعالم المعبرة » ويشبههما بالقرن الثامن عشر الميلادي عند الفرنسيين .

ثم يقسم العلوم التي ألف فيها التونسيون الموسوعات في ذلك العصر بصفة عامة - أربعة أقسام :

١ - العلوم الدينية ، ويمثلها « إكمال العلم لفوائد كتاب مسلم » تأليف الامام أبي عبد الله محمد أبي

منتخبات من هذه الموسوعة بعناية (١) المغرب في حلى المغرب ،
المستشرق الهولاندى دوزى بليدن في خمسة عشر مجلدا .

في سنة ١٨٤٧ .

(ب) كتاب التكملة في تاريخ
أئمة الأندلس ، ويعتبر من أسهات
كتب التاريخ الأندلسي .
وأما ثالثهم عبد الرحمن بن خلدون
فلم يكن مؤرخا وحسب ، بل كان

(ج) المعجم ، وهو موسوعة
في التراجم ذات أهمية .
وأما ثانيهم ، فله موسوعتان
كبيرتان في تاريخ المغرب ، هما :
دراسة « المقدمة » .
واضع علم الاجتماع وعلم النقد التاريخي
وعلم الاقتصاد السياسى وعلم
الاحصائيات حسبما يتضح ذلك من

من لبنان

الأديب العدد الحادى عشر (نوفمبر ١٩٤٧)

يتحدث الأديب قدرى قلبي
عن « حقوق المثقفين » فيقول :
« منذ سنوات عدة نتحدث عن
واجبات المثقفين العرب ، وأحسب أنه
قد أزف الوقت لأن نتحدث عن حقوق
المثقفين العرب أيضا . فلئن كان التنبيه
إلى واجباتهم ضروريا لأن الطابع الذى
كان يميزهم هو طابع الانعزال عن
مشاكل المجتمع العربى ، فان التنبيه
إلى حقوقهم لا يقل عن ذلك ضرورة
في بلاد لا يتمتع الفكر فيها بالاحترام
الذى ينبغى له ، وقد خضعت حرية
العمل الفكرى على صعيدها لنير
الحكام المستبدين زمنا طويلا . . .
وظلت يد السياسة الرعناء منذ عهد
هولاكو إلى عهد عبد الحميد إلى
عهدنا هذا ، تحطم دائما أجنحة الثقافة
وتتعد بها عن التحليق إلى الذرى
التي تطمح إليها ، حتى اضطر أكثر
المفكرين إلى التماس الحرية فى المهاجر ،
وبقى الآخرون يجاهدون على أرض
الوطن أو يدنوا مواهبهم فى ترابه . . .
« إن شدة توكيدنا على واجبات
المثقفين قد أهملت بعض السياسيين

أن رجال الفكر يجب أن يكونوا مجرد دوايب عمياء في عجلة المترعمين من رجال السياسة . وقد بلغ من استهانة هؤلاء بقيمة الفكر - وهو أجل ما أنجبه التطور البشرى وأنبل ما تعتر به أمة على أمة - أن الرجل منهم لم يعد يهمه إلا أن يحشر حوله جمهوراً من الأنصار يصفق له ، وقل بينهم من يحيط نفسه بالمفكرين الصادقين الذين يساعدونه على السير سيرة هادية مهدية . . . »

وبعد أن يصف الكاتب بعض ما يلقاه المفكرون الأحرار من عنث السياسيين والحكام ، يقول :

« في هذه الأيام ، التي يطل فيها على بلادنا لجر حياة حرة جديدة ، يأتي دور المفكرين العرب الواعين المستنيرين في الطليعة . إن التاريخ هو الذي يدعوهم إلى هذا المكان كي يحتلوه بمجدارة وحق ؛ إذ عليهم في الدرجة الأولى يتوقف نهوض أممتنا إلى المصاف التي تطمح إليها . وإن جماهير الشعب المتيقظة هي التي ينبغي لها أن تسهم بالقسط الأوفر لبلوغ المفكرين ذلك المكان الخلق بهم . فهل لهذه الجماهير أن تعرف للمفكرين حقوقهم حتى يستطيعوا أداء واجباتهم على أحسن وجه ؟ »

العروة الجزء الثامن (أكتوبر ١٩٤٧)

يتحدث الشاعر النائب أمين نخلة عن جديد الشعر وقديمه في مقال عنوانه « في تعريف الشعر » فيقول :

« لا دخل للزمن في قضية الشعر ، ففي الشعر لاجديد ولا قديم ، المدار على الاجادة ، وما عداها عبث لا طائل تحته ! نعم لا ينكر تأثير الارتقاء ، واتساع الاختراع ، وانفساح المعارف ، وإتقان الآلات والأدوات ؛ ولكن ذلك يمس أصباغ الشعر المتحولة ولا يفضي إلى حقائقه ،

لعلاقة الأولى بعصر . دون عصر ، وسلالة دون سلالة ؛ وعلاقة الأخرى بالعصور جميعاً وبالبشر قاطبة . أضف أن الشعر مرآة الحياة كما قد قيل ، وهذه الحياة الدنيا لا تتحول حقائقها بمقدم قادم عليها وذهاب ذاهب عنها ، ولا بأحوال وأفعال أخرى مما يعرض ألفة الناس وتقلبهم ، فيكون شرط الجودة بالشعر بشريا عاما لا عصريا خاصا ، ويكون تأثير الترقيات الاجتماعية في الصبغ الزائل لا في الجوهر الباقي . »

الطريق الجزء العاشر (أكتوبر ١٩٤٧)

يتحدث المحرر عن الشعب الأوزبكي في ظل النظام الاشتراكي ، ويقول : « برز في صفوف الشعب الأوزبكي عدد من مشاهير الأدباء والعلماء ، أمثال الخوارزمي الذي وضع أول قاعدة للجبر في القرن التاسع ، وابن سينا الطبيب والفيلسوف الشهير في القرن الحادي عشر ، وأولوغ بك الشاعر الكبير ومنشئ الأدب الأوزبكي . ولقد حرم هذا الشعب النشط ، في الماضي ، من حقه في إقامة دولة قومية ، لكن النظام الاشتراكي فتح أمام الأوزبكيين آفاقاً جديدة . . . »

وبعد أن يصف المحرر ما بلغه الشعب الأوزبكي من الرقي في الزراعة والصناعة ، وما يبذل من جهد حر لزيادة اقتصاده القومي ، يقول : إن نسبة المتعلمين في البلاد قبل الثورة الاشتراكية لم تكن تزيد على ثلاثة في المائة ، ولم يكن فيها مدرسة عالية واحدة ، أما اليوم فليس في أوزبكستان أمى واحد ، وقد طبّق فيها نظام التعليم الإلزامي المجاني ، وفيها اليوم ٣٧ مدرسة عالية ، و ٦٧ مدرسة صناعية ثانوية تضم ٤٥ ألف طالب !

من العراق

البياض الجزء ٢٩-٣٠ (نوفمبر ١٩٤٧)

مقال للأستاذ صدر الدين أحمد بعنوان « إسفنج و صخر » يوازن فيه بين ما ينتجه أدباء مصر وسورية على الجملة ، وما ينتجه أدباء النجف - العراق ، فيقول : « كل شيء في ملكوت السماء والأرض يستهوى قلوب الأدباء إلى التأمل والاعجاب . . . إلى التصوف والزكّانة . . . إلى التفاؤل والطرب . . . وإلى ما أدري وما لا أدري من المعاني السافرة على الأفق المشرق . . . على الروض الشادي . . . على القنصر الصامت . . . على البحر المتماوج الأعطاف . ولكن أين أدباؤنا من

صعيداً محمداً لفيضان الانتاج ، وتهذيب
الأذواق ، وإيقاظ الحماس ، وتلميع
الأخيلة والعواطف والطباع . وهل
يغيب عن أى المتبصرين ما كان
للادب الوطنى . من أثر فى استقلال
سورية عن باريس ، ونهضة مصر . إلى
الاستقلال عن لندن ؟
« أنا لا أنفى نفيا ، أن فى النجف
أدبا مهيبا يرفرفه لمناسبات تقليدية
فى ماتم الأسوات ومحافل الأعراس
والترحيب ، وإنما الذى . . . يميز
فى حشاشة نفسى ألا يتطور هذا
الكائن من الأدب فىشارك العصر
الحديث فى أحاسيسه ، ويصاهاه فى
منازعه وأهدافه ومراميه . فاعملوا .
— يا أدباءنا — فسيرى الله عملكم
ويشكره لكم أضعاف ما سوف يشكره
لكم أيضاؤكم جيلا إثر جيل . »

مطالعة هذه الروائع الفائقة البهجة
الألوان ؟ أفلا يملكون لها عيوننا
خس ، ونفوسنا تخفق . وسدارك تعنى
وسرحم ؟
« ومشاكل الناس الاجتماعية من
يعالجها ؟ وظلاماتهم الاقتصادية من
يناجزها ؟ وأمانهم القومية من يجلوها
ويصورها ويعلمها ؟ فيا ما أتعن الأمة
إذا شقيت بتقاعس أدبائها عن نصرها
وتعضيدها على كل حال !
ليست المواهب الأدبية فى النجف
بأقل من مثيلاتها فى سورية ومصر ،
ولا هى قاصرة عنها فى معاناة شتى
أساليب التفنن والأبتكار والتنافس
والتعاون والتصادم والتعاطف والتقد
والتقريط ، ولكنها فى الواقع أصبحت
كلاسنج ، تمتص وتستوعب وتستزيد ،
وكالصخر تبخل وتشع فلا تهى

الجزيرة الجوى التاسع عشر (نوفمبر ١٩٤٧)

الحبيد ، والأدب العظيم . فالأول
يتوخى الجمال أو يتوخى اللذة
العقلية وحسب ، والآخر يتوخى فوق
الجمال واللذة ، إشاعة السعادة بين
أفراد البشر ، وإتماء العطف المتبادل
بين الناس ، وتمثيل الحقيقة التى
تتصل بنفوسنا وتعلق بصلاتنا بالعدا

مقال للاديب قواد الوندواوى
بعتوان « خواطر يثيرها أديب »
يتحدث فيه عن وجهة الأدب ، من
حيث هو فن فى ذاته ليس يقصد منه
إلا اللذة العقلية ، ومن حيث هو
وسيلة لخدمة الحقيقة والمثل الأخلاقية ؛
فيجعل الأدب نوعين : الأدب

ويمكنها أن تقوينا وتشدّد هممنا . . . عنه بدوره ، لأنه ينزع إلى مسايرة ويخلص من هذا التقسيم ووزن
 مقاييسه ، إلى الجزم بأن اتصال الحياة العادية التي كسفت خصائصه ،
 الأدب بالحياة معناه تحقق وجوده ، ومن باب أولى أن يساير الحياة المثل
 وأن انفصاله عنهما يعني تحقق التي يدعو إليها أدب الحياة . . .
 عدمه ، أراد الإنسان ذلك أو لم « وما دام الأمر كذلك فعلى
 رده . . . فهماً متقناً شاملاً ، لتستمد من وراء
 » إن الأدب نقد للحياة ، لأنه ذلك قوته المبدعة غذاءها الصالح ؛
 يخدم الحقيقة ويتمسك بالمثل العليا فبمقدار تفاوت الأدباء في هذا الفهم ،
 في دائرة قواعده الفنية ، فان انحرف تتفاوت قواهم الأدبية ولو تساوت
 عن هذه الجادة فان الذوق سيؤرّ مواهبهم الابداعية . »

في مجلات الغرب

من فرنسا

أوروبا Europe (عدد أكتوبر ١٩٤٧)

المقال الافتتاحي في هذا العدد كتبه الكاتب زلجي تحت عنوان : « الحقيقة في أمر مونيخ . » وقد كتب هذا الكاتب بحثه بعد اطلاعه على كتاب كايت فلتج عن حياة نيفل تشمبرلن رئيس الوزارة البريطانية في ذلك العهد ، ومذكرات نيفل هندرسون السفير البريطاني في برلين . وفي رأيه أن مؤتمر مونيخ لم يكن إلا مسرحية مذبذبة من قبل ، أريد بها تغطية سياسة تشمبرلن الذي كان قد سلم هتلر في اقتطاع إقليم السوديت من تشيكوسلوفاكيا ، وإضعاف تلك الدولة بل القضاء عليها ، وذلك في سبيل أمل كان يكنه تشمبرلن وهو الوصول إلى عقد اتفاق بين هتلر وإنجلترا . وهو يثبت نظريته بما نشر في كتاب حياة تشمبرلن . وكان تشمبرلن يرضى بتضحية حلفائه في سبيل الوصول إلى غرضه ، مما أدى إلى زيادة أطماع الزعيم الألماني . فكان سياسة إنجلترا

الملتوية هي التي أدت إلى الحرب بدلا من منع أسبابها . وفي هذا العدد طائفة من الشعر بقلم بعض الناشئين من الشعراء الفرنسيين . وفيه قصة بقلم أندريه برديه ، وأخرى بقلم أديث توماس ؛ كما يحتوي العدد على بحث طويل عن ستيفن زفايج الكاتب النمساوي الشهير ، وقد حلت الكتابة مؤلفاته ووصفت حياته وصفاً مسهباً قبل هجرته من بلاده وبعدها إلى أن أقدم على القضاء على نفسه بالانتحار . ومن المقالات الجديدة بالقراءة في هذا العدد نص محاضرة ألقاها ملبو أكسيوت أحد الأدباء اليونانيين ، في اتحاد الجامعات الفرنسي ، وقد وصف فيها حالة اليونان الآن ، وما تقاسيه من ظلم وبؤس وغسف باسم الديمقراطية تحت إشراف الأجنبي .

من الجزائر

فورج Forge (العدد الثالث ١٩٤٧)

وهي كراسات أدبية تصدر باللغة الفرنسية في مدينة الجزائر. كتب الأستاذ محمد زكروني في المقال الافتتاحي عن شخصية جحا في الأدب العربي. وهو يقول إن شخصية جحا من الشخصيات التي انطبعت في الأدب القصصي الشعبي، وأن الروايات تزعم أنه كان عالماً يمضي أوقاته بين المخطوطات. وقد ترك مجموعة من القصص ألفها أو اقتبسها من مشاهداته في الحياة؛ وكانت النتيجة أن صار هو نفسه موضوعاً لقصص عدة. وينقل الكاتب بعض هذه القصص إلى اللغة الفرنسية.

وتكلم الأستاذ طاهر بشوشى عن الشاعر المصري على محمود طه في مقال قصير وعن نظراته إلى الحب، ونقل شيئاً من شعره إلى الفرنسية.

وفي العدد أيضاً طائفة من الشعر للشاعر محمد السيد حو على وقد نشرت باللغتين العربية والفرنسية.

وفيه قصة لمانويل روبليس، وفيه طائفة من الشعر. لكتاب فرنسين وعرب ممن يقرضون الشعر بالفرنسية. ومن البحوث الطريفة في هذا العدد بحث عن الموسيقى العربية في الجزائر.

من أمريكا

رومانيك ريفيو Romanic Review (عدد ١٩٤٧)

وهي مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر. أصدرها محل ميشيل من القيمة اللغوية. وهو يقول إن عدد نيوتن بمنت مقالا عن تاريخ القديس لويس ملك فرنسا الذي كتبه المؤرخ القديم جوانفيل، وما للطبعة التي

أصدرها محل ميشيل من القيمة اللغوية. وهو يقول إن عدد النصوص التي يمكن منها دراسة النثر الفرنسي في القرن الرابع عشر قليل نسبياً؛ لأن المخطوطات الأصلية

وأكثرهم خطرا بالنسبة للكوارث التي يطغون سراحها ، هم الأشخاص الأقوياء الذين يجمعون بين القوة وشدة الحساسية والذين يرغبون في أن ينتزعوا من الآخرين الموهبة الارادية .

وبحث وادسويرث في كتاب لارويير الكاتب الفرنسي عن الأخلاق ، وميل الكثيرين من الناقدين إلى اخول بأنه لم يكن شديد التدين ، أو هم ينكرون تدينه . وهو يصل إلى نتيجة هي أن لارويير كان يزداد تمسكا بالدين كما يبدو من الطباعات المتتابعة لكتابه . وهو إذا كان قد غالى في الحقيقة حين قال في مقدسة كتابه سنة ١٦٩٤ ، إن الغرض الأساسي الذي يرمى إليه من وضع هذا الكتاب هو قيادة الملحدين إلى الدين ، وهذا القول منه كان ليسكت ناقديه ، فانه من الثابت مع ذلك أن هذه الفكرة كانت غرضا من الأغراض التي قصد إليها ، وقد كان شديد التحمس للدين .

وفي العدد بثمان : أحدها كتبه برايس عن مونتسكيو ، والآخر كتبه سليم عزبان عن بيير لاسير وجيته وتتشه .

وذلك عدا نقد للكتب التي ظهرت في البلاد التي تتكلم اللغات المشتقة من اللاتينية .

ولا في التليل . وأكثر خصوصاً إلى اعتماد عليها لدراسة هذا القرن كذنب في تقرير الذين سواه . ويدل في سياق المقال إن جرس الداع موى في سنة ١٢٧٠ ، وضرب الكنيسة في أمر رفعه إلى مرشد العدسين في سنة ١٢٩٧ بعد تمحيصات عدة سمعت في أثنائها شهادة جوانفيل . وبعد ذلك طبت زوج حفيده فيليب الرابع من جوانفيل أن يكتب تاريخاً سجل فيه مناقب الملك القديس لويس فبدأ يكتب مؤلفه .

ويأخذ كاتب المقال في تمحيص تاريخ وضع الكتاب ومخطوطاته وما في هذه المخطوطات من خلاف بينها .

وكتب جوينر جيتس مقالا في الأمثال التي جاءت في مسرحيات كالدرون الكاتب الأسباني .

وللكاتبة جيرمين بويه بحث في العنف ومظهره في مسرحيات راسين .

وهي تفحص هذا الموضوع بوجه خاص في مسرحيتي بريتانيكوس وبيازيد ثم اينيجينيا وفيدر . وقد قارنت هذه المسرحيات بمسرحياته الأخرى مثل اندروماك وفيدر . وهي تقول إن في ذلك اللعب الميت من أجل السلطة والارادة والحرية يكون أكثر الناس تعرضا للأخطار ،

المسرح والفنون Theatre Arts (عدد سبتمبر ١٩٤٧)

في هذا العدد مقال للاستاذ جوليان هكسلي رئيس الهيئة الثقافية للدول المتحدة UNESCO وهو يبحث في الدور الذي تقوم به هذه الهيئة في مجال الفنون ، وهو يشرح شرحا وافيا المسائل التي ستعمل لها الهيئة . وقد تكلم ستارك ينج عن فن التصوير ، والمسرح ، وهو يبين ما للتصوير من قيمة في فهم المسرحيات ، ويضرب أمثالا لما كان له من قيمة في إخراج المسرحيات والأوبرات . وكتب الموسيقى الفرنسي الشهير داريوس ميلو Darius Milhaud مقالا عن وضع الموسيقى للأشرطة السينمائية وما يعترض المؤلف الموسيقى من صعاب في ذلك . وفي العدد مقال عن مبدأ الوحدة في المسرح وشأنه في المسرحيات اليونانية القديمة وشأنه عند المؤلفين الحديثين . وفي العدد عدا ذلك بحوث أخرى عديدة جديدة بالقراءة فضلا عما تهتم به هذه المجلة من نشر صور ومناظر جديدة بالاقتراء .

المجلة الجغرافية الوطنية National Geographic Magazine (عدد أكتوبر ١٩٤٧)

في هذا العدد الملى* بالصور الملونة مقال للاميرال بيرد الأمريكي عن رحلة قامت بها بعض وحدات الأسطول الأمريكي لارتقاء أراضي القطب المتجمد الجنوبي . وقد استعان المستكشفون بأحدث المخترعات التي ظهرت في أثناء الحرب مما ساعدهم كثيراً في التغلب على الصعاب التي يجدها مرتاد هذه الانحاء . فكانت معهم في الطيارات التي أخذوها أدوات التصوير الاستطلاعي التي تقدمت في أثناء

الحرب ، والوسائل العلمية التي يمكن بها نقل الصور التي تؤخذ من الجو فتصير خرائط . ولم تكن الصعاب التي تعترضهم العدو المسلح ، وإنما كانت الضباب الشديد وسوء الرؤية وتزول الثلج وتراكم السحب . وكان مع الرواد آلة جديدة استعملت لأول مرة ، وهي عبارة عن مجتومر محمول في الهواء يمكن بواسطته معرفة طبيعة الصخر الذي تغطيه الشلوج المتراكمة وما فيه من

معادن . وكانت معهم سفن من وفي العدد مقال بالصور الملونة فيه
كاسرات الشلوج وهي التي نظم وصف لزيارة إلى بلاد جواتيمالا من
استعمالها في أثناء الحرب . بلاد وسط أمريكا .

من المجلدات

سكروتنى *Scrutiny* (عدد سبتمبر ١٩٤٧)

وهي تصدر كل ثلاثة أشهر
يبتدىء هذا العدد بمقال للكاتب
كوينتن أندرسون عن هنرى جيمس
الأديب الأمريكي الذى عاش في نهاية
القرن التاسع عشر ومبدأ القرن
العشرين ، وعلاقة كتاباته بالنظريات
التي كان يقول بها والده الفيلسوف
هنرى جيمس في بحوثه في الدين
وعلم النفس . وهو يخرج بنتيجة هي
أن الأديب تأثر كثيراً بنظريات
والده الفيلسوف وآرائه .
وفي هذا العدد مقال عن المجلات ، في الاسطوانات .

التي صدرت في نقد الأدب ؛ وقد أتى وذلك عدا باب النقد للكتب ،
المقال على تاريخ هذه المجلات وهو في هذه المجلة من أهم أبوابها .

النشرة الأدبية لمراجعة التيمس *Times Literary Supplement* (عدد سبتمبر
و أكتوبر ١٩٤٧)

في عدد سبتمبر مقال افتتاحي عن الكاتب على خلاصة محاضرة للإستاذ
طريقة الحياة في أتيينا قديماً . وفيه أتى جلبرت مري الاخصائى في الدراسات

اليونانية ألقاء في الجمعية الخاصة بهذه الدراسات . وفي رأى الأستاذ أن الاقبال زاد على دراسة آثار اليونان بعد الحرب ؛ يدل على ذلك اهتمام طلبة المدارس باختيار اللغة اليونانية وإقبالهم على دراساتها ، فضلا عن إصدار الكتب العديدة التي هي عبارة عن ترجمة لخلفات اليونان في ميادين الفكر المختلفة ، وإذاعة المسرحيات اليونانية القديمة ثم زيادة أثمان الآثار اليونانية زيادة كبيرة .

وقد أخرج كثيرون من فطاحل الباحثين الأيريكين والانجليز كتباً هامة في هذه الدراسات ، ومن أهمها كتاب للأستاذ بيزلى عن الأوائى اليونانية ، وكتاب الأستاذ باورا عن المأساة عند سوفوكليس .

ويقول الأستاذ مري في دعوته لدراسة الأدب اليونانى إن اليونان كانت أول استيقاظ للعقل الانسانى باتجاهاته المختلفة فى البحث . وراء الحقيقة ، وخلق الجمال ، والطلب الدائم لحياة طيبة يحياها الانسان .

وفى هذا العدد مقال طويل ينوه فيه كاتبه بكتاب جون ريبولد عن تاريخ التصوير المعروف بفن النظرة العابرة impressionism ويقول إنه استطاع فى كتابه هذا أن يجعل من موضوع

معقد صورة جلية مرتبة ترتيبا تاريخيا ، سسنا بنظره عامه عن الفن الفرنسى فى سنة ١٨٥٥ . ثم يمام سوره عن الفن القديم الذى تؤيده مدرسة الفنون الجميلة والمعارض المختلفة الرسمية ، وما كان من عرض الثائرين لصورهم وأشهر ما أخرجته هذه المدرسة الفنية .

وذلك عدا العشرات من البحوث عن كتب صورت فى مختلف الفنون .

وفى عدد أكتوبر اتخذ المقال الافتتاحى موضوعه من مقال نشر فى مجموعة مؤلفات الكاتب الأمريكى هويتان وهو تحت عنوان « نظرات إلى الخلف » . وقد أراد هويتان أن يعارض رأى لوتجينوس الشاعر القديم حين قال إن ما يرمى إليه الشاعر هو التأثير وأن ما يرمى إليه الناثر هو الوضوح . أما هويتان فيرى رأيا غريبا وهو أن أكبر خدمة للأدب هى ملء القارئ بالرجولة القوية والاحساس الدينى وبالقلب الطاهر . وهو ينكر أن الشعر أو أية كتابة أخرى تخدم العقل أو تصور مشاعر أو شخصيات أو حوادث .

وفى هذا العدد مقال عن الجوى الأمريكى بمناسبة ظهور كتاب جون جاتنر

المسمى « داخل الولايات المتحدة » . كبيراً في عقل القارىء ، وإن كانت
 ويرى كاتب المقال أن وصف الشعب الأمريكي بجملة أصعب من وصف
 الأوربيين مع أن الأوربيين شعوب محلنة . وهو يرى أن ستر جانتر
 قدم على عمل ضخم متنوع . وقد في فلسفه الموسيقى في نظر القارىء
 رسم صوره بطريقة سينائية تترك أثراً كبيراً كجارد .

في هذا العدد مقالات عدة
 جديده بالقراءة ، لعل من أهمها مقالة
 في فلسفه الموسيقى في نظر القارىء
 كبير كجارد .

الباب الضيق

تأليف أندريه جيد

تعريب نزيه الحكيم

مع رسالة من أندريه جيد الى المرحوم
رودولف هسبن الى أندريه جيد

« ترجمة كتبى الى لغتكم ؟ ...
الى أى قارىء يمكن أن تساق ؟
وأي الرغبات يمكن أن تلبي ؟ ذلك
أن واحدة من الخصائص الجوهرية
في العالم المسلم فيما بدا لي ، أنه وهو
الانسانى الروح يحمل من الاجوبة
أكثر مما يثير من أسئلة . أخطئ ؟ أنا ؟ »
أندريه جيد

« لم تخطئ . أنت ، وإنما دفعت
الى الخطأ لقد خالطت كثيراً من
المسلمين ولكنك لم تخالط الاسلام ...
فلو قد تعمقوا الدين تعمقاً دقيقاً
لاظهروك على ما يثير القراءن من
مسائل وما يعرض لها من جواب . »
طه حسين
[من مقدمة كتاب « الباب الضيق »]

١٤٦ صفحة

النن ١٨ قرشاً (البريد ١٢ مليا)



مدرسة الزوجات

يلها روبير و چنه شيف

تأليف أندريه جيد

تعريب صبرى فهمى

فتاة فى نشوة الحب

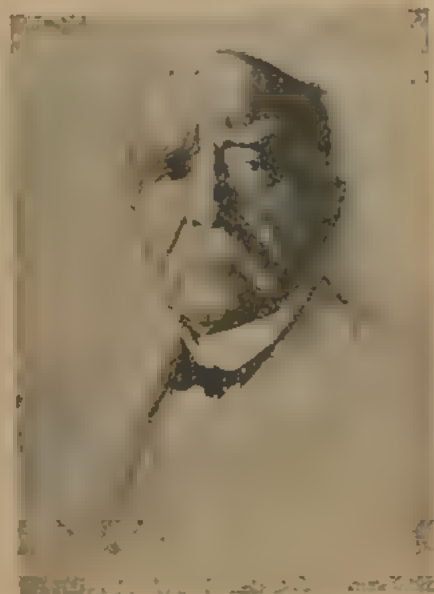
ثم زوج فى يقظة العقل تهتم زوجها

دفاع الزوج عن نفسه

حكم الابنة على والديها

٣١٢ صفحة

النن ٢٥ قرشاً (البريد ٢٤ مليا)



كايمنصور وحياته العاصفة

تأليف ليون دوديه

ترجمة حسن محمود

كايمنصور... مسقط الوزارات... النمر
الرجل الذي عاش حراً فأصبح مفلولاً
الرجل الذي طلب أن يدفن واقعاً في القبر
زعيم في السياسة بقلم زعيم في الأدب

طبعة مزينة بالصورة

٢٨٨ صفحة

النم ٣٥ قرشاً (البريد ٧٤ ملياً)



نامياسون

تأليف إميل لودفيج

ترجمه عن الألمانية

محمود إبراهيم الدسوقي

البطل الذي اكتشف لودفيج وراء
قناع بطولته محيا الانسان، فتجلت
بطولته في إنسانيته، وفاقت كل
ما عرف إلى الآن.

طبعة مزينة بالصورة في مجلدين

الجزء ٣٥٠ صفحة

نم الجزء ٤٥٠ قرشاً (البريد ٣٦ ملياً)

شبح كاتريفيل

تأليف

أوسكار وايلد

تعريب لويس عوض

وهي سجل طريف للمحن التي ألمت
بشبح قصر آل كاتريفيل حين انتقل
هذا القصر التاريخي إلى هوزي
أمريكا اشفوز في بلاط سان جيمس

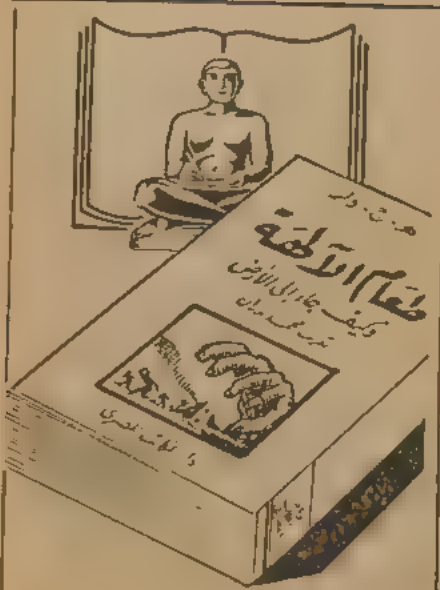
طبعة مزينة بصور مختارة من

يلم « ٢٠٠٢ ج. ٢٠٠٢ »

١٢٨ صفحة

التمن ١٨ قرشاً (البريد ١٦ ملها)

ستواصلون بشغف قراءة حوادث هذا
الشبح المسكين الذي يرتعد خوفاً ويفر
هارباً عند ما يرى شبحاً آخر !



٣٢٠ صفحة

التمن ٣٠ قرشاً (البريد ٢٤ ملها)

وازن الأرواح

تأليف أندريه موروا

عضو المجمع اللغوي الفرنسي

تعريب عبد الحليم محمود

هل توجد الروح ؟ وكم تزن ؟ هل
يمكن الاحتفاظ بها ؟ وهل يمكن
أن تمتزج بعد الموت روحان كانتا
مؤتلفتين أثناء الحياة ؟

٣٠٠ صفحة

التمن ٣٠ قرشاً (البريد ٢٦ ملها)



صورة دورمان جبرائيل

تأليف أوسكار وايلد

تعريب لويس عوض

قصة شاب جميل الطلعة يحتفظ
بشبابه بينما تهرم صورة له وتظهر
عليها كل العلام التي تنتاب
المقبلين على اللهو والملاذات .

طبعة مزيّنة بصور مختارة من فيلم

« ٢٠٠٠ ج. ٢٠٠٠ »

٣٠٠ صفحة

التمن ٣٠ قرشاً (البريد ٢٤ ملياً)

العالم الطريف

تأليف

أولس هكسلي

تعريب محمود محمود

العالم في المستقبل البعيد

بعد ما يتحكم فينا العلم . . .

وتتولد الأطفال في المعامل !



٢٩٢ صفحة

التمن ٢٥ قرشاً (البريد ٢٠ ملياً)

قلوب الناس

قصص تحليلية

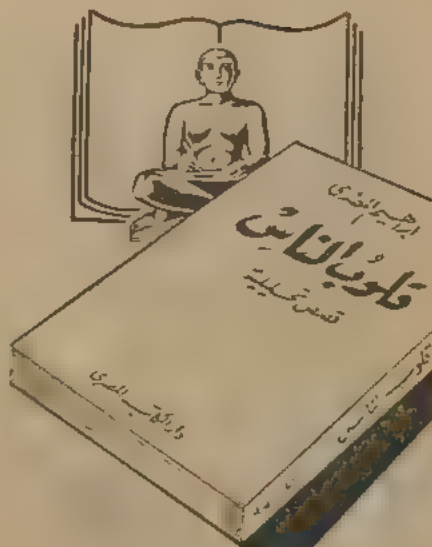
تأليف إبراهيم المصري

قصص جديدة للكاتب المعروف

إبراهيم المصري

يصور فيها بيئتنا المصرية الحديثة

في أسلوبه السهل الجذاب



١٤٤ صفحة

الثن ١٥ قرشاً (البريد ١٨ ملياً)

حكايات فارسية

بقلم يحيى الخشاب

كتاب يحمل إلى قراء العربية عبيراً
رقيقاً حسن الموقع في النفس من
هذه الحياة الفارسية الممتازة بما
فيها من رقة وفطنة وفكاهة .



١٩٦ صفحة

الثن ٢٠ قرشاً (البريد ١٦ ملياً)



٢٥٠ صفحة
الثنى ٢٥ قرشاً (البريد ٢٤ ملياً)

مِنْ حَوْلِنَا

قصص مصرية

تأليف محمد سعيد العريان

جيل من الناس في أفراحه وآلامه ،
يرى كل قارئ في مرآته صورة من
نفسه ، أو صورة من حوله ، في
إطار قصصي رائع في بيانه وفي فنه .

٢٦٠ صفحة
الثنى ٢٥ قرشاً (البريد ٢٠ ملياً)



على باب زويلة

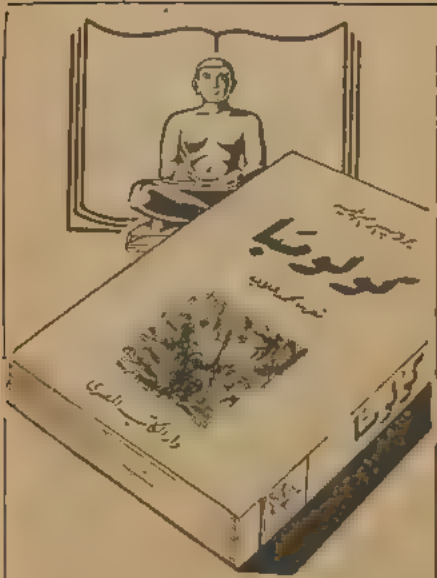
قصة تاريخية

تأليف

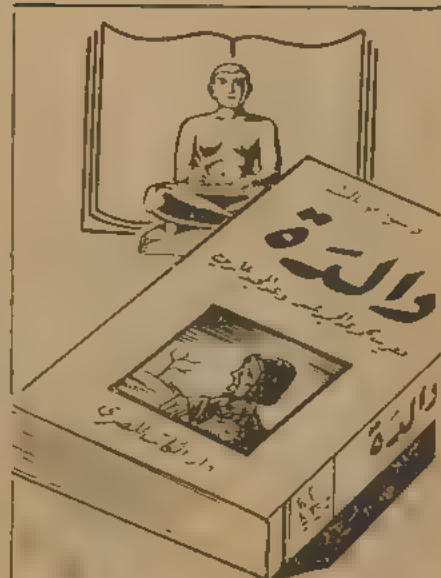
محمد سعيد العريان

كتاب رائع بأدق معاني هذه الكلمة
وأوسعها وأصدقها في وصف واحد ،
كتب من هذه السكب التاديه التي
تظهر بين حين وحين .

٣٥٠ صفحة ، طبعة مرينة بالصور
الثنى ٣٠ قرشاً (البريد ٢٨ ملياً)



٢٢٨ صفحة
الثنى ٣٠ قرشاً (البريد ١٦ ملياً)



١٧٥ صفحة
الثنى ٣٠ قرشاً (البريد ١٦ ملياً)

أرض البشر

الكاتب الطيار

أنطوان دى سانت إكسپيرى

ترتيب مصطفى كامل فوده

أرض البشر، تلك الهبة من الثرى
التأهبة بين الأجرام السماوية،
تلك الأرض الجديرة باعجابنا لأنها
وحدها تكوّن الرجال.

صعة مزينة بصور

٢٤٢ صفحة

الثنى ٢٥ قرشاً

(البريد ٢٠ ملياً)





جَنَّةُ عَلَى نَهْرِ الْعَاصِي

تأليف موريس بارس
عضو المجمع اللغوي الفرنسي
ترتيب محمد عبد الحميد عنبر
وعبد الحميد عابدين

غرام أقرب إلى العبادة ومغامرات
أقرب إلى الأحلام على ضفاف نهر
العاصي حيث تملأ السواقي بأنينها
أجواز الفضاء .

١٦٦ صفحة
الثنى ١٨ قرشاً (البريد ١٦ ملياً)

الحب الأول

تأليف إيثان ترجنيف
ترتيب محمود عبد المنعم مراد

قصة ساذجة تصور قلب شاب ناشئ
يندفع إلى الحب في غير احتياط
ولا تحفظ وما يصيبه من يأس حينما
يعلم أنه كان يحب عشيقة أبيه .

١٠٤ صفحة
الثنى ١٥ قرشاً (البريد ١٢ ملياً)

المقامر

تأليف فيدور دستويشفسكى
ترتيب شكرى محمد عباد

قصة شاب ممتحن بداء القمار لقي
من هذا الداء في حياته شراً عظيماً .
وهي قصة عنيفة تستأثر بحاجة
القارئ إلى الاستطلاع .

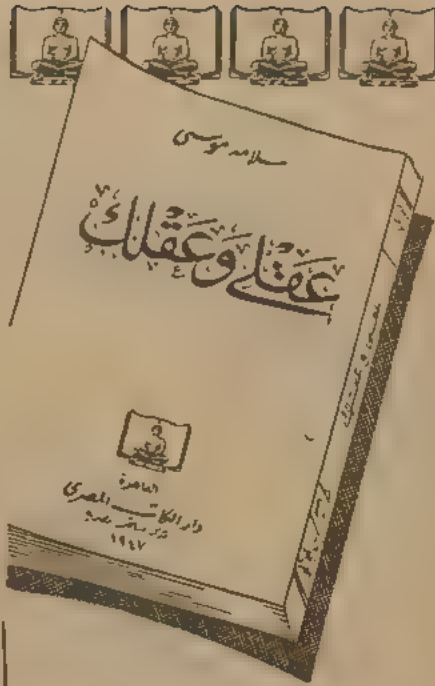
١٦٩ صفحة
الثنى ١٨ قرشاً (البريد ١٦ ملياً)

العقيدة والشريعة في الإسلام

للمستشرق العظيم
إجناس جولدتسيهر

نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه
محمد يوسف موسى
عبد العزيز عبد الحق
على حسن عبد القادر

٤٠٠ صفحة
الثن ٨٥ قرشاً (البريد ٤٠ ملياً)



عقيدة وعقائد

تأليف سلامة موسى

أولى كتاب في علم النفس الحديث
يبسط آخر المعارف عن هذا العلم
بلغة واضحة ليس فيه جملة معقدة
أو فكرة مبهمّة تقرأ فتقف منه
على أسرار النفس البشرية وحركة
التفكير .

٢٠٠ صفحة

الثن ٤٠ قرشاً (البريد ٢٨ ملياً)

فلسفة الفلسفة الأولى في العصر الوسيط

تأليف

الأستاذ يوسف كرم
مدرس الفلسفة بكلية الآداب
بجامعة فاروق الأولى

٢٦٦ صفحة

الثن ٥٠ قرشاً (البريد ٣٦ ملياً)



مَا وَنَا حِوَسْتِنِكَ

فِي الْفَقْدِ الرَّوْمَانِي

الْفَقِيهِ الْقِيَادَةِ فِي قِطْنِطِينَةٍ

الْأَمْبِلُ طُورُ حِوَسْتِنِكَ

وَنَقَلَهُ إِلَى الْعَجَرِيَّةِ أَمَامَ الْفَضْلِ فِي مَصْرٍ

مَعَالِي سَمَاءِ الْعَرَبِيِّزِ فَهِيَ بِأَشَا

أَخْرَجَتْهُ

دَارُ الْكَاتِبِ الْمِصْرِيِّ

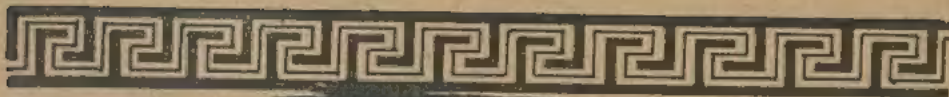
فِي طَبْعَةِ مَنَارَةِ

وَتَجْلِيدِ انْتِوَقَ

البيرد المسجل ١٠٠
واللحارج ١١٢



الشمس
١٥٠ قرشا



من أبطال الأساطير اليونانية

أوديب * ثيسبوس

تأليف أندريه جيد
ترجمة طه حسين

صديق أندريه جيد

سمعتك تقرأ لنا قصتي «أوديب» و «ثيسبوس» فمرفت الحنان الخامس
الذي تؤثرهما به . ومن أجل هذا علمتها العربية ليلقا إلى قراء
الشرق رسالتك التي هي ثقة وشجاعة واستبشار . وسيتهدأ كذلك
بما أضمر من إعجاب بك قد أصبح منذ التقينا ودأ كريباً .
طه حسين

التمن ٢٥ قرشاً



البريد المسجل ٤٤ ملياً وللخارج ٥٦ ملياً

كتابان

في مجلد واحد

تحت الطبع

سافونارولا

قصة الراهب الثائر والمصلح الديني والسياسي والاجتماعي
للدكتور حسن عثمان

الضحك

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون
تعريب سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم

غانية أطلنطا

قصة رائعة للكاتب الفرنسي بيير بنوا عضو المجمع اللغوي الفرنسي
تعريب رشدي كامل

عقدة الافاعي

قصة تحليلية لفرنسوا مورياك عضو المجمع اللغوي الفرنسي
تعريب نزيه الحكيم

قصة رجل مجهول

للكاتب الروسي انطون تشيكوف
تعريب محمود الشنيطي

١٩٤٨



مفكرات
الكاتب المصري

تباع
في جميع المكتبات